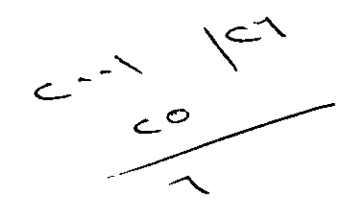
جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم التاريخ



الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الأول والثاني

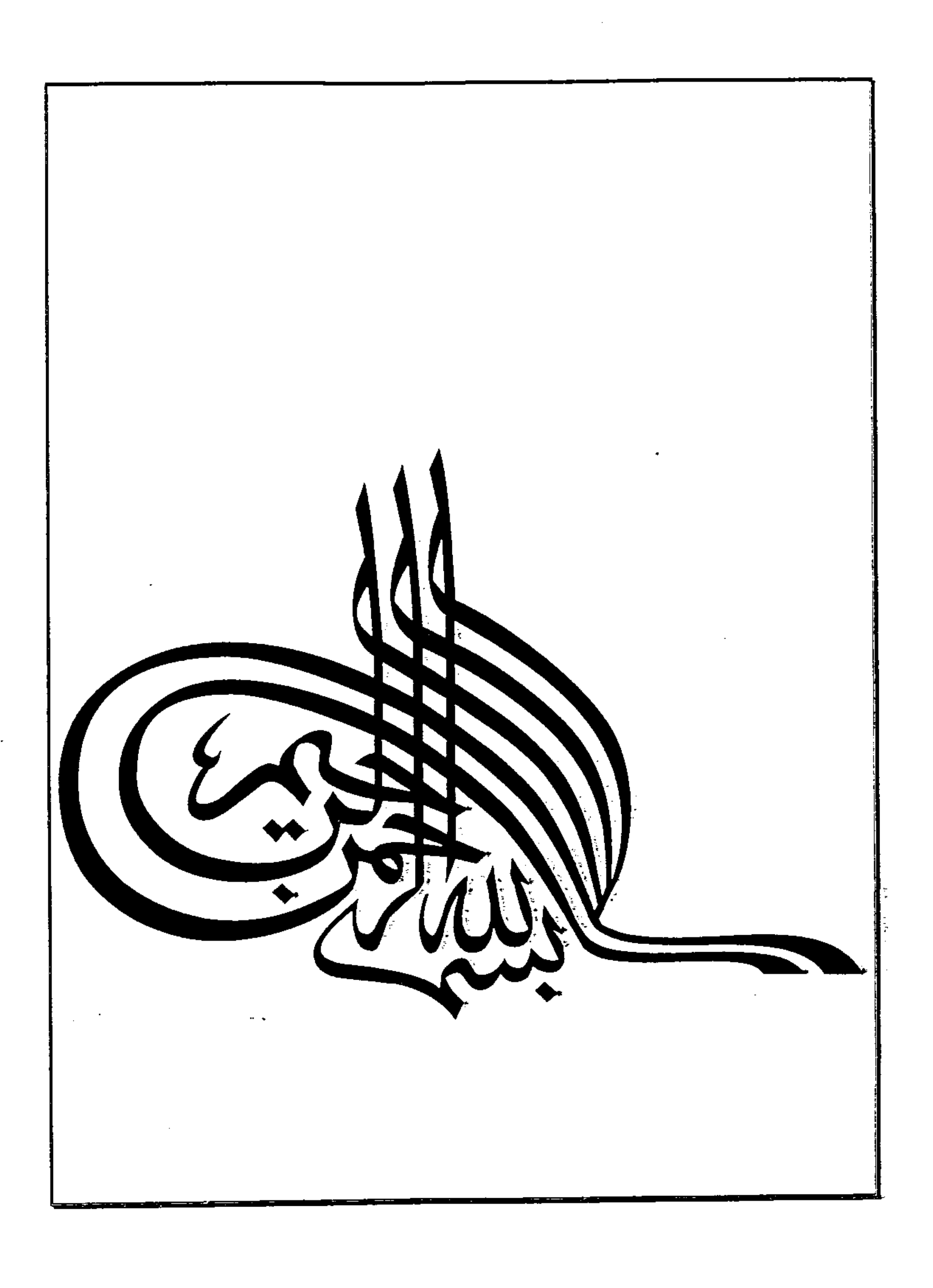
(١٣٢-٤٤٧هـ /٧٤٩-١٠٥٥م)

رسالة ماجستير

إعداد الطالبة
انتصار رشيد سلوم

اشراف
الاستاذ الدكتور: يوسف حسن درويش غوانمه

٢٠٠١م /١٤٢١هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم التاريخ

الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الأول والثاني

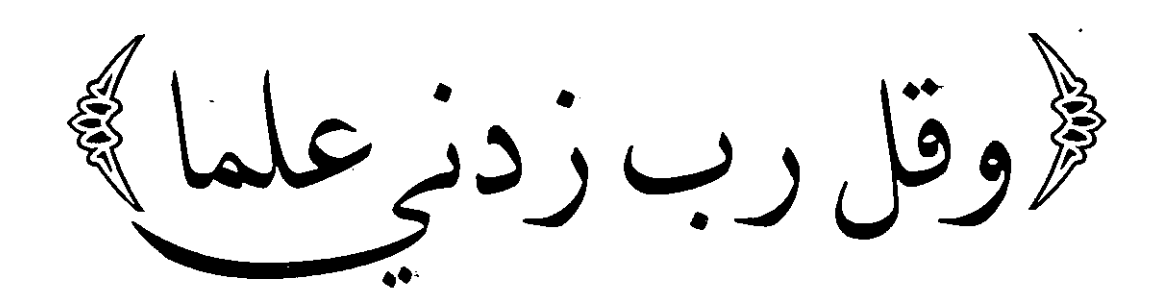
(١٣٢- ٤٤٧هـ /٧٤٩- ١٠٥٥م)

رسالة ماجستير

إعداد الطالبة
انتصار رشيد سلوم
اشراف
الاستاذ الدكتور: يوسف حسن درويش غوانمه

٢٠٠١م /١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم

قرآن كريم، سورة طه، آية ١١٤.

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ

الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الأول والثاني

(١٣٢- ٤٤٧هـ /٧٤٩- ١٠٥٥م)

اعداد الطالبة

انتصار رشيد سلوم

بكالوريوس تاريخ جامعة اليرموك/١٩٩٥

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي في كلية الآداب جامعة اليرموك للعام الدراسي ٢٠٠٠/٢٠٠١.

أعضاء لجنة المناقشة

الاستاذ الدكتور يوسف غوانمه .... مشرفا ورئيسا

الدكتور نعمان جبران .... عضوا

الدكتور صالح ابو دياك .... عضوا

٢٠٠٠ / ٢٠٠١م

الإهــــداء

إلى رمز العطاء ....أبي

إلى رمز الحنان.........أمي

إلى رمز التعاون ....أشقائي وشقيقاتي

انتصار

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة إلى نهايتها، وهـو خـير معـين.

وفي هذا المجال لا يسعني إلا أن أتوجه بالشـكر والتقديـر لأسـتاذي الفـاضل الاستاذ الدكتور يوسف غوانمه على ما حباني به من طيـب المعاملـة وغـزارة العلـم، فقد أخذ بيدي منذ أن كان هذا البحث فكرة إلى أن تجسـد علـى مـا هـو عليـه الآن، فكان مثالا للمعلم المعطاء فله جزيل الشـكر والامتنـان.

كما أتقدم بجزيل الشـكر والعرفـان إلى أعضـاء لجنـة المناقشـة لتفضلـهم بالمشاركة بمناقشة هذه الرسـالة.

كما أتوجه بالشكر إلى زوجي أحمـد القضـاه لمـا أبـداه مـن مسـاعدة لي خلال فترة طباعة الرسالة. وإلى الآنسة رشا الشنطي لجـهودها المشـكورة في طباعـة الرسـالة.

انتصار سلوم

فهرس المحتويات

الموضوع | رقم الصفحة

الفصل الأول

جغرافية جنوب بلاد الشام

الفصل الثاني

الزراعة في جنوب بلاد الشام

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية في جنوب بلاد الشام

الفصل الرابع

المجتمع في جنوب بلاد الشام

قائمة المختصرات والرموز

ص = صفحة

ج = جزء

مج = مجلد

ق = قسم

ت = توفي

ط = طبعة

هـ = هجري

م = ميلادي

(د.ن) = دون ناشر

(د.م) = دون مكان نشر

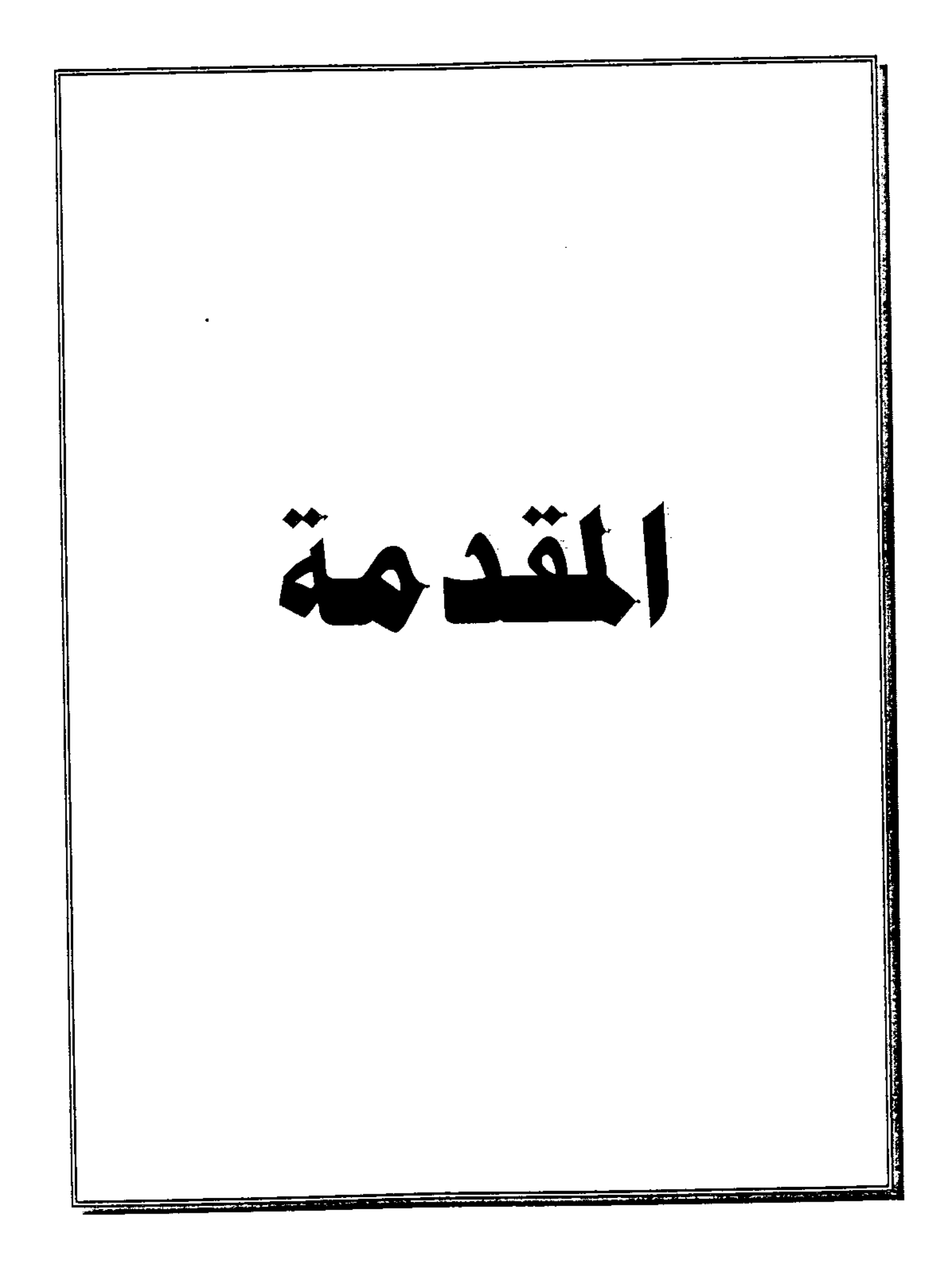
(د.ت) = دون تاريخ نشر

ورقة = خاصة بالمخطوطات، وتعني رقم الورقة

ق.م = قبل الميلاد

م = متر

P = page
Vol = Volume
N.d = No date


المقدمة

مقدمة البحث ومنهج الدراسة

لعبت منطقة جنوب بلاد الشام دورا هاما في الحياة الاقتصادية عبر المراحل التاريخية المختلفة لما حباها الله من موقع جغرافي حيث كانت حلقة اتصال مهمة بين مصر وبلاد الشام، والعراق وشمال افريقية، فقد كانت الممر الطبيعي والرئيس الذي يوصل إلى الديار المقدسة. وبذلك تعتبر ملتقى القوافل القادمة والذاهبة، إضافة إلى أيلة التي تعتبر المنفذ البحري على البحر الاحمر، والذي من خلاله اتصلت تجارة الشرق مع تجارة الغرب من خلال الموانئ التي وجدت على ساحل البحر المتوسط. فكانت المنطقة أشبه بسوق عالمي، وأدى ذلك إلى انتعاش المنطقة اقتصاديا، ومما زاد من مكانة وازدهار جنوب بلاد الشام التنوع في المحاصيل الزراعية الذي كان لتنوع التضاريس والمناخ أثر كبير في ذلك، حتى أنها تخصصت بصناعات زراعية كان لها شهرتها في مختلف أرجاء البلاد في ذلك الوقت.

أضف إلى ذلك وفرة المعادن المختلفة كالرخام في بيت جبريل، والكبريت في الغور، والملح في البحر الميت، وغيرها من المعادن التي عملت على رفع مكانة المنطقة اقتصاديا وانتعاشها تجاريا.

وكان للسكان دور هام في جنوب بلاد الشام في استغلال هذه الخيرات والموارد المتعددة، فسكان جنوب بلاد الشام كانوا من العرب بقبائلهم المتعددة، ومن بقايا الروم الذين استقروا في المنطقة، حيث كان سكان المنطقة على اختلاف دياناتهم من مسلمين ومسيحيين ويهود على وئام وتعاون على الرغم من حدوث بعض الاضطرابات والفتن القليلة ولكنها لم تؤثر على العلاقة، فالمسلمون احترموا أهل الذمة ودياناتهم حسب تعاليم الدين الاسلامي المتسامح.

وتكمن أهمية البحث في تناوله للأهمية الاقتصادية، والزراعية لمنطقة جنوب بلاد الشام خلال فترة الحكم العباسي(١٣٢-٤٤٧هـ/٧٥٠-١٠٥٥م). وفي دراستي هذه ركزت على ما كتبه الجغرافيون العرب والمسلمين الذين زاروا المنطقة، أو كتبوا عنها وقد تناولت كتاباتهم جميع مناحي الحياة الاقتصادية والزراعية والديموغرافية، ولكن بشكل مختصر نوعا ما ومع ذلك فقد كانت الفائدة منها طيبة.

وقد جاء اهتمامي بموضوع الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام خلال فترة الدراسة المذكورة كي أوضح الجوانب الخفية للأحوال الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام خلال فترة الحكم العباسي، حيث لم تتوافر دراسات مختصة في هذا المجال، فكان جهدا آمل أن يكون مقبولا. وقد قمت بالتركيز ما كتبه هؤلاء الرحالة العرب والمسلمون عن كل من:

- الموارد الطبيعية والتي كانت مستغلة في المنطقة، وما لها من أثر اقتصادي، واجتماعي في حياة سكان جنوب بلاد الشام.
- الواقع الزراعي والصناعي والتجاري لهذه المنطقة خلال فترة البحث، وأهم المحاصيل الزراعية وأنواعها.
- تبيان أهمية الموقع الجغرافي للمنطقة ودورها في التجارة والطرق التجارية.
- أهم المدن ودورها في الحياة الاقتصادية للمنطقة.
- أهم العادات والتقاليد لدى السكان في المنطقة.

واجه البحث صعوبات ولكـــن ليســت بالكثــيرة تكمــن في أن المعلومـــات المتوافـــرة حول المنطقة خلال فترة الدراسة من قبل من زاروا المنطقة قليلـــة وأحيانـــا تكـــاد تكـــون نـــادرة فمعظم المصادر تتحدث عن بلاد الشام بشكل عام، وتركز على دمشـــق بشـــكل خـــاص.

وتدور هذه الدراسة حول ثلاثة محـــاور: **الأول**: يتنـــاول الموقـــع الجغـــرافي وأهميتـــه في الاتصال بين الشرق والغرب وأثر ذلك علـــى انعـــاش المنطقـــة اقتصاديـــا وتأثـــير ذلـــك علـــى مستوى المعيشة لسكان المنطقة من خلال الصناعات الـــتي وجـــدت.

الثاني: المحاصيل الزراعية والاسلوب المتبع في الزراعـــة وأثـــر هـــذه المحـــاصيل وانتاجـــها وتصنيعها في انعاش التجارة والاقتصـــاد.

الثالث: السكان وطبيعة حياتهم وانعكـــاس ذلـــك في أســـلوب معيشـــتهم وســـلوكهم والعادات والتقاليد التي مارسوها والتي لا يزال أثرها موجودا حـــتى وقتنـــا الحـــاضر.

وقد قسم البحث إلى أربعة فصـــول:

تناول الفصل الأول: جغرافية جنوب بلاد الشـــام فكان البـــدء بمعرفـــة الأجنـــاد الـــتي تتكون منها منطقة جنوب بلاد الشام(الاردن وفلســـطين)، فكـــان ذلـــك داعيـــا لمعرفـــة الآراء والنظريات التي طرحـــها الجغرافيـــون العـــرب والمســـلمون وغـــيرهم في الســـبب وراء الاســـم والمدلول والاشتقاق لكل من الشـــام، والاردن، وفلســـطين.

ولبيان أهمية الموقع الجغرافي لجنوب بلاد الشام كان لابـــد مـــن التطـــرق للحديـــث عـــن الطبوغرافية التاريخية للمنطقة، وذلك بالحديث عـــن التضـــاريس الـــتي تشـــكلت منـــها الطـــرق

والدروب والمسالك التي سلكتها القوافل التجارية، والتطـرق إلى أهـم المـدن في جنـوب بـلاد الشام، ودورها في الحياة الاقتصادية للمنطقـــة.

أما الحدود الجغرافية لمنطقة جنوب بلاد الشـام خـلال فـترة الدراسـة كـانت تـأخذ الشكل العرضي لا الطولي كما هو في الوقت الحالي، وقد حاولت توضيـح هـذه الحـدود علـى اكمل وجه قدر الامكـان.

وكان لمنطقة جنوب بلاد الشام أهمية خاصة عنـد الأمويـين فلذلـك سـكنوها وبنـوا فيها القصور الصحراوية وغيرها من المبـاني العظيمـة كالمسـجد الأقصـى لأهميتـه الدينيـة في نفوس المسلمين. وعندما آل الحكم إلى العباسين وانتقلت إليها ممتلكـات الدولـة الأمويـة ومـن ضمنها جنوب بلاد الشام لم يقلل ذلك من أهميتـها خاصـة أن فيـها الحميمـة مركـز منطلـق الدعوة العباسية خلال المرحلة السرية. فالعباسيون لم ينسـوا جنـوب بـلاد الشـام أو يتركوهـا بعد نقل العاصمة من الشام إلى العـراق.

وتناول الفصل الثـاني: البحـث في الزراعـة باعتبارهـا المصـدر الرئيسـي للحيـاة الاقتصادية لجنوب بلاد الشام، فقد اعتمدت على مـا تقدمـه الارض مـن منتوجـات والـذي كان لوفرة المياه، وخصوبة التربة وتنوع المنـاخ الأثـر الواضـح في تنـوع المحـاصيل الزراعيـة. ففي بعض مناطق جنوب بلاد الشام اشتملت على مزروعات لا تجتمـع إلا بهـا. حيـث قـامت المنطقة بتصدير الفائض إلى البلاد المجـاورة.

وقد تطرق البحث إلى أصناف الأراضي الزراعية وكيف كان يتـم التعـامل معـها قبـل الدولة الاسلامية من حيث زراعتها وتحصيل الضرائب المختلفـة عليـها.

أما الأسلوب الزراعي فكان له الأثـــر في نجـاح المزروعـات، فكــانت هنــاك طــرق مختلفة لاستخدام الارض ومنها الاستثمار الشخصي من قبـــل صــاحب الارض بمســاعدة عائلتــه ويحدث في حالة صغر مساحة الارض، أمـــا في حالــة اتســاع مســاحة الارض فــإن صــاحب الارض كان يلجأ إلى طرق اخرى لاستغلال الارض منــها المزارعــة، أو المســاقاه، أو المغارســة، أو الضمان أو التضمين وهذه الطـــرق مــازال بعضــها يمارســها أصحــاب الأراضــي الى الآن كالتضمين أو الضمـــان.

واتبع الفلاح أسلوبا ورثه عن أجـــداده في الزراعــة وهــو أســلوب التبويــر أو نظــام الحقلين وذلك لإراحة الارض لإعطاء محصول افضل فاســـتخدم الآلات الزراعيــة المختلفــة مــن محاريث، لتقليب تربة الأرض التي كان لها عدة أنـــواع، كمــا اســتخدم آلات ســاعدته علــى أعمال الزراعة الأخرى، بالاضافة إلى الحيوانات كالحمــير والبغــال والثـيران. اضــف إلى ذلــك وسائل الري فالارض روحها المياه لانبات الزرع فكان هناك عـــدة مصــادر للميــاه أولهــا ميــاه الامطار التي كان يقوم أهالي جنوب بلاد الشام بتجميعها وتخزينـــها في صــهاريج للانتفــاع بهــا وقت الحاجة. كما أن لنهر الاردن الدور الاكبر في ايجاد نـــوع مـــن الزراعــة المرويــة في الغــور الذي يعتبر سلة الخير والبركة لأهالي جنوب بـــلاد الشــام.

وتميزت جنوب بلاد الشام بأنها أنتجت محاصيل زراعية متعـــددة، وجمعــت أكــثر مــن منتج زراعي لا يجتمع فيها فبذلك فاقت على جيرانها وامتـــازت، وقــامت بتصديــر الفــائض إلى انحاء المعمورة في ذلك الوقت، فالبلقاء وصفت بأنها معدن الحبــوب، والحولــة معــدن الأقطــان، وعسقلان معدن الجميز وغير ذلك الكثـــير.

وعلى أساس ذلك كانت صناعات زراعية متعددة كـــانت تصـدر الى مختلـف البقــاع من ذلك عصر الزيت والطرق التي استخدمت في ذلك المجال فصناعـــة عصـر الزيـت قديمـة في جنوب بلاد الشام، وكذلك صناعة الصابون الذي فـاقت شـهرته خاصـة الصـابون النابلسـي الذي كان مطلوبا ويصدر للمناطق المجـــاورة.

كما قامت صناعات غذائية متعددة كالفواكه المجففـــة خاصـة التـين والزبيـب الـذي كان له طرق معينة في تجفيفه والحفاظ عليه لحـين اسـتهلاكه.

وتناول الفصل الثالث: التجارة والصناعة في جنوب بـــلاد الشـام فالتبـاين الطبيعـي في التضاريس من حيث الامتداد والارتفاع كان لـــه الأثـر في ايجـاد الطـرق والمسـالك الـتي سلكتها القوافل التجارية بكل سهولة. فالموقع الجغـــرافي المتوسـط الـذي ربـط بـين الـدول المجاورة لبلاد الشام والعراق ومصر بالديار المقدسة كـــان لــه أكـبر الأثـر في انعـاش اقتصـاد المنطقة برفدها بالبضائع المختلفة. التي كانت بحكم موقعـــها المتوسـط، ووجـود منفـذ بحـري مهم على البحر الاحمر(أيلة) واتصالها بالتجــارة الشـرقية بالاضافـة الى الموانـئ البحريـة علـى البحر المتوسط كل ذلك أدى الى ان يكون لها علاقات اقتصاديـــة مـع الشـرق والغـرب معـا. وجنوب الشام أشبه بمنطقة حره للتسوق، تجمع بضائع من مختلف الاقطــار والبلـدان ومـن هنـا فقد قامت الاسواق، واهتم الخلفاء بالدروب وشـــقها وتوفـير الأمـن والاسـتقرار، وشـجعوا الصناعات المختلفة كصناعة المعادن، والزجاج، والنســيج الـذي توفـرت لـه المـواد الأوليـة لصناعتها. ووجد نوع من التنظيم الحرفي الذي هو بمثابة النقابة في وقتنـــا الحـاضر، كـل ذلـك له الأثر الاكبر في انعاش اقتصاد المنطقة، وانعكاس ذلك على مستوى معيشـــة الافـراد فيـها.

كما أن للموارد الاقتصادية التي حصلتها الدولة من منطقـــة جنـــوب بـــلاد الشـــام مـــن الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية بأنواعها وعلى التجـــارة مـــن خـــلال المكـــوس الـــتي ظهرت وبشكل بارز و واضح في العصر العباسي كان له أثـــر واضـــح في رفـــد خزينـــة الدولـــة بـــالأموال.

وتناول الفصل الرابع: في المجتمع واسلوب معيشتهم، فكـــانت هنـــاك الطبقـــة الخاصـــة التي تألفت من الولاة والحكام والأفراد الذين كانوا من ذوي الأمـــوال والأمـــلاك لـــذا أصبحـــوا من المقربين من الخلفاء والسلاطين، بالاضافـــة الى عامـــة الشـــعب الذيـــن كـــانوا يشـــتغلون في المهن، والحرف والصناعات المختلفـــة.

أما أسلوب الحياة فكان لطبيعة المنطقة الجغرافيـــة الـــتي ســـكنها الأهـــالي دور في نمـــط حياة تلك الفئات. فهناك أهل المدن وهم الحضر الذين اســـتقروا في المـــدن وكـــان لهـــم دورهـــم في نشأة الحضارات التي تحتاج الى الاستقرار. وأهـــل الريـــف الذيـــن كـــانوا يشـــكلون الســـواد الأعظم من السكان وعملوا في الارض وزراعتـــها فعاشـــوا بمجتمـــع يتســـم بالبســـاطة والتعـــاون الاجتماعي الواضح. وأهل البادية الذين ســـكنوا الصحـــراء وكـــانوا في أغلبـــهم قبـــائل عربيـــة نزلت جنوب بلاد الشام وفضلوا حياة البادية، ورفضوا حياة القـــرى والفلاحـــين لأنهـــم كـــانوا يعتبرون أنفسهم من أعلى رتبة لكونهـــم محـــاربين في الدرجـــة الاولى، ثم هـــم رعـــاة ومربيـــين للأغنام والجمـــال.

وما العادات والتقاليد التي نمارس بعضها في وقتنا الحـــالي مـــا هـــي إلا امتـــداد لعـــادات وتقاليد أجدادنا، وما نصنعه من أطعمة وأشربة فنحن لم نأت بالجديد إنمـــا نتـــوارث ذلـــك منـــذ القـــدم.

فعناصر البحث في فصوله الأربعة كان كل يكمل الآخر في بيان الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي، حاولت الباحثة بما توافر لديها من مصادر أن تعطي صورة طيبة عن هذه المنطقة، وأنها لا تدعي بأنها ألمت بكل جوانب الموضوع، فلا شك أن هناك معلومات لم تصل الباحثة إليها، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

الفصل الأول: جغرافية جنوب بلاد الشام

- التسمية والطبوغرافية التاريخية لمنطقة جنوب بـــلاد الشـــام

- الاسم والمدلول والاشـــتقاق.

- الطبوغرافية التاريخية لمنطقة جنوب بـــلاد الشـــام.

- التقسيمات الادارية، والحدود الجغرافية لمنطقة جنـــوب بـــلاد الشـــام.

- الاهمية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام في العصـــر الأمـــوي.

- الاهميـــة التاريخيـــة لمنطقـــة جنـــوب بـــلاد الشـــام في العصـــر العباســـي الاول والثـــاني.

التسمية والطبوغرافية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام

الاسم والاشتقاق والمدلول

الأردن وفلسطين يشكلان معا، منطقة جنوب بـــلاد الشـــام، فالشـــأم: بفتـــح أولـــه، وســـكون همزته، أو فتح الهمزة، ويجوز بدون همزة، وتكون ممدودة، كما في قول زامـــل بـــن غفـــير الطـــائي مادحـــا الحارث الاكـــبر:

وتأبى بالشآم مفيدي   حسسرات يقددن قلـــبي قـــدا[1]

(البحر المديـد)

ويجوز التأنيث للاسم كما في قول جواس بـــن القعطـــل:

جئتم من البلد نياطـــه   والشأم تنكر كهلـــــها وفتاهـــا

(البحر الكـامل)

كما يجوز التذكير للاسم كما في بيت الشـــعر التـــالي:

يقولون إن الشأم يقتل أهله   فمـــن لي إن لم آتـــه بخلـــود؟[2]

(البحر الطويـل)

---

[1] ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت٦٢٦هـــ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٩٩٥، ج٣، ص٣١١. وسيشار له فيما بعد: ياقوت، معجم البلدان.

[2] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـــ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ج١٢، ص٣١٥-٣١٦. وسيشارله فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب.

ولاشتقاق الاسم من الفعل شأم دلالتان: الاولى، الاتجاه نحو الشـــمال، والثانيـــة التشـــاؤم[1].

ولقد تعددت الآراء عند الجغرافيين العرب حـــول السـبب في التســمية؛ فقيـــل سميـــت الشـــام شاما، لأنها تقع الى الشمال من الكعبة، كمـــا سميـــت اليمـــن لأنهـــا عـــن يمـين الكعبـــة[2]، أو لوجـــود شامات بها حمر وبيض وسود[3]، وهذه صفة جمالية تميزت بها بلاد الشـــام لمـــا حباهـــا الله مـــن تنـــوع في تربتها، أدى الى تنوع في الأشجار، والنبات، وتباين في قراهـــا المتدانيـــة مـــن بعضـــها فـــأصبحت كمـــا الشامة في البدن تميزه في منطقة دون أخرى، وتزيده حســـنا، وجمـــالا[4].

ومما قيل في سبب التسمية أيضا: أنه عندما حدث التفريق ببابل، تشـــاءم قـــوم مـــن بـــني كنعـــان بن حام اليها فوسم الاسم بها[5]، أو لنـــزول سام بن نوح، وكان أول من نزلهـــا فتطـــير العـــرب عندمـــا

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٣١٤.

[2] ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت٣٤٠هـ/٩٤٥م)، مختصر كتاب البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص٨٩. وسيشار له فيما بعد: ابن الفقيه، مختصر البلدان.

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص٦٩. وسيشار له فيما بعد: المسعودي، مروج الذهب. وانظر: المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته، وهوامشه، وفهارسه، محمد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص١٣٤. وسيشار له فيما بعد: المقدسي، احسن التقاسيم. البكري، ابو عبيد(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢، ج٢، ص٤٦٥. وسيشار له فيمابعد: البكري، المسالك.

[3] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٣٤. ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين ابو سعيد العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٥، ج١، ص١٠. وسيشار له فيما بعد: ابن عساكر، تاريخ دمشق. وانظر: القلقشندي، احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه، وقابل نصوصه: محمد شمس الدين، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧، ج٤، ص٨١. وسيشار له فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى.

[4] المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٧٠. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣١٢. وانظر: سترانج، لي، فلسطين في العهد الاسلامي، ترجمة: محمود عمايرة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان،١٩٧٠، ص٣٣. وسيشار له فيما بعد: سترانج، فلسطين.

[5] المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٦٩. البكري، المسالك،ج٢، ص٤٦٥. ابن عساكر، دمشق، ج١، ص٧-٨. ياقوت، معجم البلدان، ج٣،ص٣١٢.

سكنته، فجعلت السين شين[1]. والشـــام بالســـريانية هـــي: الطيـــب سميـــت بذلـــك لطيـــب هوائـــها وخصبـــها[2].

أما الأردن: بضم الألف، وسكون الراء المهملة، وضـــم الـــدال المهملـــة، وتشـــديد النـــون[3]، في اللغة ضرب من الخز الاحمر[4]، والر دن بالتحريك: القز، وقيل: الحرير، ومـــن حيـــث اللفـــظ قـــد تبـــدل الميم نونا، والعكس، وقد قيل في بيـــت أبي داؤد الأيـــادي:

أسأدت ليلة ويوما، فلما دخلت في مســـربخ مـــردون

(بحر خفيف فعـــلات)

وقال بعضهم: أراد بالمردون، المردوم، فأبدل الميم نونـــا، والمســـربخ: الواســـع[5].

والاسم: يدل على النهر والبلد، واشتقاقهما ماوراه ياقوت الحمـــوي، وابـــن منظـــور، وغيرهمـــا: فيقول أهل السير: إن الاردن وفلسطين ابنا سام ابن آرم بن نـــوح عليـــه الســـلام[6].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٦٩. البكري، المسالك،ج٢، ص٤٦٥. ابن عساكر، دمشق، ج١، ص١٠. وانظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم الصناجي(ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥، ص٢٠٣، وسيشار له فيما بعد: الحميري، الروض والمعطار.

(2) قساطلي، نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص٣. وسيشار له فيما بعد: قساطلي، دمشق الفيحاء.

(3) ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ج١، ص٤١. وسيشار له فيما بعد: ابن الأثير، اللباب.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٧٧.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٧٧.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٤٧.

ويذكر ابن السكيت ان الاردن تدل على النعاس الغـــالب، ويدلـــل علـــى ذلـــك بقـــول أبـــاق الزبـيوي:

قد أخذتني نعسة أردن   وموهب بها منبز بهـــا مصـــن[١]

(بحر رجز مقطع فيه خبن وطـــي)

أما ياقوت يورد بيت الشعر: قد علتـــني نعســـة أردن[٢]

وكذلك البكري يذكر: أن أصل التسمية النعاس[٣]، وهـــذا لربمـــا راجـــع إلى أن الأغـــوار تـــأتي ذات مستوى منخفض تحت سطح البحر، والحرارة والرطوبـــة عاليتـــان، وهـــذا يشـــجع علـــى الخمـــول والكسل، والشعور بالنعـــاس.

ومن المعاني الأخرى الـــتي دل عليـــها الاســـم: الشـــدة والغلبـــة[٤]، النـــازل والمتدهـــور[٥]. أو المنحدر والمتدحرج[٦]، وهذا ما عرف عن نهر الاردن، بأنه شديد الانحدار ســـريع الجريـــان. ولقـــد

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٧٨.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٤٧.

(٣) البكري، ابو عبدالله بن عبدالعزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧، ج١، ص١٣٧. وسيشار له فيما بعد: البكري، معجم ما استعجم.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٤٧.

(٥) غوانمه، يوسف حسن درويش، التاريخ السياسي لشرقي الاردن في عصر دولة المماليك الاولى، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ١٩٧٩، ص١٤٢. وسيشار له فيما بعد: غوانمه، التاريخ السياسي. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ق١، ج١، ص٦٣. وسيشار له فيما بعد: الدباغ، بلادنا فلسطين.

(٦) سترانج، فلسطين، ص٦٩.

عرف الرومان النهر باسم(O'Lopoavis)، ولا يعرف أصل هذه التسمية، ولكن يذهب البعض الى أنها اسم نهر في اقريطش[1]، وبعد الحروب الصليبية عرف نهر الاردن في بعض المصادر باسم نهر الشريعة – مورد الشاربة–، وهو الاسم المتداول به لدى عامة الناس حتى وقتنا الحاضر[2].

أما فلسطين: بكسر الفاء، وفتح اللام وسكون السين المهملة، وكسر الطاء، وسكون الياء تحتها نقطتان، وفي آخرها نون[3] أرض كنعان[4]، وهو الاسم القديم والاصيل التي عرفت به المنطقة قبل أن تأتي جماعة من شعوب البحار، وهم الفلستينيين الذين احتلوا بداية الجزء الجنوبي لساحل البحر المتوسط، وأصبحت تعرف باسمهم، إلى أن أصبحت التسمية تشمل جميع المناطق الكنعانية[5].فأول إشارة ترد للمنطقة باسم فلستيا في وثيقة مصرية رسمية تعود الى حوالي عام(٧٥٠ق.م) [6]، بينما ورد الاسم في العهد القديم باسم بلاد البلاشتيم[7]، وفي كتابات الجغرافيين اليونان، والرومان ترد باسم بالستاين[8]، التي عربها العرب، وأصبحت تعرف

---

[1] دائرة المعارف الاسلامية، مج١، مادة الاردن، ص٥٨٩.

اقريطش: جزيرة في البحر الشامي(البحر المتوسط)، وهي جزيرة عامرة، وبها مدن عامره، وبينها وبين ساحل البحر، يوم وليلة. الحميري، الروض المعطار، ص٥١. (كريت الحالية).

[2] ابو الفداء، المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الافضل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٢٠م، ص٢٤٧. وسيشارله فيمابعد: ابو الفداء، تقويم البلدان. غوانمه، التاريخ السياسي، ص٤٢.

[3] ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٤. ابن الاثير، اللباب، ج٢، ص٤٣٢.

[4] أطلق هذا الاسم في أول الأمر على الساحل، وغربي فلسطين، ثم أصبح الاسم الجغرافي المتعارف عليه لفلسطين، وقسم كبير من سوريا، وهو نسبة الى الكنعانيين الذين سكنوا المنطقة، حيث وردت أول إشارة الى هذه التسمية في حفريات تل العمارنة باسم كيناخي أو كيناخخي(أرض القصب البردي أو اللون القرمزي)، والتي يرجع عصرها الى خمسة عشر قرنا قبل الميلاد(حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، وعبدالكريم رافق، أشرف على مراجعته وتحريره: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨، ج١، ص٨٥–٨٧. وسيشار له فيمابعد: حتي، تاريخ سورية.

[5] حتي، فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت،(د.ت)، ص٧٧. وسيشار له فيمابعد: حتي، الشرق الأدنى. خان، ظفر الاسلام، تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص١٨. وسيشارله فيمابعد: ظفر الاسلام، فلسطين.

[6] ظفر الاسلام، فلسطين، ص١٨–١٩. شعث، شوقي، فلسطين أرض الحضارات، (د.ت)، (د.م)، ١٩٩٤، ص٨–٩. وسيشار له فيمابعد: شوقي، ارض الحضارات.

[7] The Jwish Encyclopedia, volume Ix, P479.

[8] ظفر الاسلام، فلسطين، ص١٩. شوقي، أرض الحضارات، ص٩.

بفلسطين[١]، وهو الاسم المتداول به حتى الوقت الحالي مع اختلاف في الحدود الجغرافية، وقد وجدت لفلسطين أسماء تدل على مكانتها الدينية مثل: البلاد المقدسة، أرض الميعاد، أو البلاد الموعودة، وبلاد التوراة[٢].

ولم تخل كتب الجغرافيين العرب من ايراد الأسباب حول سبب التسمية، والتي يرجعونها نسبة الى نزول احد أبناء سيدنا نوح عليه السلام في فلسطين، فابن الفقية يذكر: سميت فلسطين بفيلشين بن كسلوخيم بن صدقيا بن كنعان بن حام بن نوح[٣]، والبكري يذكر: سميت فلسطين: لأن أول من نزلها فلستين بن كيسوجين يقطن بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام[٤].

---

(١) The Islamic Encyclopedia, volume 11, P107.

(٢) ظفر الاسلام، فلسطين، ص٢٢.

- وجدت نظريات متعددة، ومختلفة حول أصل الفلسطينيين، وكيفية مجيئهم من البحر، ولمعرفة المزيد حول ذلك انظر: مهران، محمد بيومي، بلاد الشام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص٤٥٥-٤٦٣. وانظر: الاحمد، سامي سعيد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٧٩، ص٤٥-٥٠.

(٣) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص٩٩.

(٤) البكري، المسالك، ج٢، ص٤٦٤. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٤. الحنبلي، مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣، ج٢، ص٦٧. وسيشار له فيما بعد: الحنبلي، الأنس الجليل.

الطبوغرافية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام.

تشكل منطقة جنوب بلاد الشام، وحدة جغرافية متكاملة تمتد بشكل طولي من الشمال الى الجنوب، ضمن أربعة نطاقات جغرافية متباينة- وهي امتداد لشمال بلاد الشام- تبدأ بالسهل الساحلي غربا، وتنتهي بسيف البادية شرقا[1].

ويمتد السهل الساحلي على طول ساحل البحر المتوسط من مدينة صور[2] شمالا، الى رفح[3] آخر أعمال بلاد الشام باتجاه مصر. ويضيق هذا السهل في الشمال، ويتسع كلما اتجهنا نحو الجنوب حسب اقتراب المرتفعات الجبلية، أو ابتعادها عن الساحل، وقد عرف هذا السهل بخصوبته ووفرة غلاته كسهل مرج ابن عامر[4]، وسهل سارون[5].

وقد ضم هذا النطاق السهلي عددا من المدن الساحلية: كالرملة[6]، وفيها نهر أبي فطرس أو العوجاء، الذي شهد المعركة التي كانت فيها نهاية الدولة الأموية عام(١٣٢هـ/٧٥٠م)، وبداية

---

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦٠. سترانج، فلسطين، ص٣٣-٣٤. وانظر: الدومنكي، أ.س مرمرجي، بلدانية فلسطين العربية، منشورات المجمع الثقافي، ابو ظبي، ١٩٩٧، ص١٧٠. وسيشار له فيمابعد: الدومنكي، بلدانية.

[2] صور : مدينة حصينة على الساحل من جند الاردن، وهي داخلة في البحر كالكف بالساعد، محاطة بالمياه من جميع الجهات، الامن الجهة الرابعة وهي الجهة الشرقية المطلة على البر، والتي بها الباب، وبها دار الصناعة، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم، وأهلها أخلاط من الناس. (اليعقوبي، احمد بن واضح الكاتب(ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، كتاب البلدان، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٨٨، ص٨٨. وسيشارله فيما بعد: اليعقوبي، البلدان. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣).

[3] رفح: وقيل في معنى الكلمة: انها تعني الثروة، وقيل من قرون البقر الارفخ، وهو الذي تذهب قرناه قبل أذناه. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٤٥١. الدباغ، بلادنا فلسطين، ق١، ج١، ص٤٥.

[4] مرج بني عامر: المرج: هي ارض واسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب، والجمع مروج. وعرف بذلك نسبة الى بني عامر الذين نزلوا المنطقة عند الفتح الاسلامي، حيث عرف المرج فيما سبق بمرج اللجون وهو يفصل بين جبال الجليل، وجبال نابلس. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٢. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٦٤. وانظر: الدباغ، بلاد فلسطين، ق١، ج١، ص٥٠. الخالدي، احمد سامح، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٦٨، ص٦٨. وسيشارله فيمابعد: الخالدي، ريف فلسطين.

[5] كان العرب الكنعانيون يسمون الساحل من يافا الى حيفا باسم صارون وشارون، بمعنى السهل ومرج خصب، وعنهم أخذ اليهود هذه التسمية وأصبح يطلقون عليها اسم سارون. الدباغ، بلادنا فلسطين، ق١، ج١، ص٢٨.

[6] الرملة: مركز جند فلسطين، بناها سليمان بن عبدالملك عندما كان واليا على فلسطين، في عهد أخيه الوليد بن عبدالملك، وسميت كذلك لغلبة الرمل عليها، وموقعها متميز متوسط بين البحر والجبل. -

والمسيحين، واليهود. فجبال الجليل[1] تنقسم الى قسمين: الجليل الاعلى، والجليل الادنى، وفيها مدينة الناصرة التي يزعم المسيحيون أن عيسى أصله منها[2]، وعلى بعد ثلاثة أميال منها تقع مدينة طبرية[3] المشهورة بحماماتها العلاجية، وكذلك بحيرتها التي يتم من خلالها نقل البضائع التي تأتي من القرى التي حولها، أو تنقلها من الطرف الشمالي الى الطرف الجنوبي[4]، ومدينة صفد التي برزت كمملكة في العصر المملوكي[5]، ويعتبر جبل الجرمق(١٢٠٨متر) من أعلى الجبال ضمن السلسلتين، وبالاتجاه نحو الجنوب تأتي جبال نابلس، والتي تقوم فيها مدينة نابلس بين جبلي عيبال(١٠١٦متر)، وجرزيم(٨٨١متر)، اللذان يحيطانها كسور حصين، وتشتهر بصناعة الصابون، وهي مدينة السامرة والذي يعتقد اليهود ان بيت المقدس بها، واليها يصلون[6]، وبالاتجاه نحو الجنوب تأتي جبال القدس

---

[1] الجليل:وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل،وماكان بالاردن فهو جبل الجليل.ياقوت،معجم البلدان، ج٢،ص١٥٨.

[2] ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧٥. انظر: الدومنكي، بلدانية، ص٣٢٦-٣٢٨.

[3] يقال: أن من بنى المدينة هو طيباربوس أحد ملوك الروم، والى اسمه أضيفت فعربتها العرب حين افتتحت البلاد فقالت: طبرية، الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٥. وانظر: التطيلي، بنيامين(٥٦١-٥٦٥هـ/١١٦٥-١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، تحقيق: عزراحداد، الشرق للطباعة، بغداد، ١٩٤٥، ص١١١. وسيشارله فيمابعد: بنيامين، رحلة.

[4] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.

[5] صفد: حصن بقبة كنعان في ارض الجرمق. كانت قرية فبني مكانها حصن سمي صفت، ثم قيل: صفد. الدمشقي، شمس الدين ابوعبدالله بن ابي طالب الأنصاري الصوفي المعروف بشيخ الربوة(ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٧٧. وسيشارله فيمابعد: شيخ الربوة، عجائب. ولمزيد من المعلومات حول دور مدينة صفد التاريخي من العصر المملوكي انظر: الطراونة، طه ثلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١، ص٩٠. وسيشارله فيمابعد: الطراونه، صفد.

[6] الاصطخري، المسالك، ص٤٦. الأقاليم، ص٣١. ابن حوقل، ابو القاسم ابن حوقل النصيبي(ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧، ص١٥٩. وسيشارله فيمابعد: ابن حوقل، صورة الارض. وانظر: بنيامين، رحلة، ص٩٦.

التي تحتضن مدينة بيت المقدس[١]، وفيها مسجد الصخرة[٢]، والمسجد الاقصى[٣]. قال تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله"(سورة الإسراء، آية١). وللمسيحية في بيت المقدس كنيسة القيامة المبنية في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب الذي صلب عليه المسيح[٤]، ويزعم اليهود أن حائط البراق هو حائط المبكى الذي يقومون بالصلاة عنده، وفي اعتقادهم أنه بقايا سور اورشليم القديمة[٥]. والى الجنوب من القدس تقع مدينة بيت لحم[٦]، وفيها كنيسة المهد، واليها يحج المسيحيون من أنحاء العالم[٧].

---

[١] بيت المقدس أو القدس: وهي من أشهر مدن العالم القديم، بناها اليبوسيون، واطلقوا عليها اسم: مدينة السلام نسبة الى سالم أو شالم" اله السلام"، وكذلك عرفت باسم يبوس، واختفى هذا الاسم عندما احتلها النبي داود عليه السلام، واطلق اليهود على المدينة اسم اورشليم، وهو كذلك عندهم حتى الآن، ومن الاسماء الاخرى التي عرفت بها: ايلياء، النحال، محمد سلامه، فلسطين ارض وتاريخ، منشورات فلسطين، بيروت، ١٩٨١، ص١٨٦-١٨٧. وسيشارله فيمابعد: النحال، فلسطين.

- ذكر الرحالة و الجغرافيون العرب والمسلمين مدينة القدس، وقاموا بذكر تفاصيلها من حيث: البناء، والابواب، والأماكن الدينية، ولمعرفة المزيد: انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣-١٤٥. خسرو، سفرنامه، ص٤٣-٤٧. وانظر: الدومنكي، بلدانية، ص٥٦-٧٢.سترانج، فلسطين، ص٩٦-٩٨.

[٢] مسجد الصخرة، وهو من بناء الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان عام(٧٢هـ/٦٩١م)، ويرجع اهتمام المسلمين بالصخرة بعلاقتها بأنها المكان الذي قدم ابراهيم الخليل ولده اسماعيل ذبيحا، وكذلك لعلاقتها بقصة الاسراء والمعراج. النحال، فلسطين، ص٢٠١. وانظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧. سترانج، فلسطين، ص١٢٣-١٢٨.

[٣] المسجد الاقصى: وهو يرتبط بحادثة الاسراء والمعراج، فمنه عرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى السموات العلى، والمسجد شرع في بنائه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان، وانهى بنائه ابنه الوليد بن عبد الملك لمعرفة صفة بناء المسجد، وتفاصيله انظر: المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٥-١٤٦. سترانج، فلسطين، ص١١١-١٢٢.

[٤] العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة العارف، القدس، ١٩٦١، ج١، ص٥١٧. وسيشارله فيمابعد: العارف، تاريخ القدس. سترانج، فلسطين، ص١٨٢-١٨٥.

[٥] العارف، تاريخ القدس، ص٥٤٤.

[٦] بيت لحم: معنى الاسم بيت الخبز، وهو دلالة على خصب المنطقة ووفرة حاصلاتها الزراعية. (جمقان، حنا عبدالله يوسف، جولة في تاريخ الارض المقدسة من اقدم العصور حتى اليوم، نشره:حنا جمقان، بيت لحم، ط٢، ١٩٩٤، ج١، ص٣٢). وسيشار له فيمابعد: جمقان، بيت لحم.

[٧] خسرو، سفرنامه، ص٥٢. وانظر: الدومنكي بلدانية، ص٥٢-٥٥. سترانج، فلسطين، ص١٥٨-١٥٩.

وجبال القدس عرفت في العصور الاسلامية بطور زيتا[1]، وجبل الخمر لكثرة كروم العنب فيه[2]. والى الجنوب من جبال القدس، تأتي جبال الخليل، وفيها مدينة الخليل التي ضمت في ثراها جثمان الأنبياء: سيدنا ابراهيم الخليل، وزوجته سارة، وابناءه وزوجاتهم[3]، والخليل محاطة بقرى مزروعة بالكروم والتفاح ومختلف الفواكه التي تحمل الى مصر، وتتميز بأن فيها ضيافة دائمة، وطباخا وخبازا وخدما، مرتبون يقدمون العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء، ويدفع الأغنياء إذا أخذوا من بيت الضيافة[4].

أما السلسلة الجبلية الشرقية، والتي تبدأ شمالا من جبال عجلون[5]، والتي تمتد بين نهري اليرموك، والزرقاء ويبلغ ارتفاع هذه الجبال بين(٨٠٠-٩٠٠متر) فوق سطح البحر، وفيها مدينة عجلون فوق جبل عوف[6]، المشهورة بالقلعة التي بناها عز الدين اسامه لمواجهة الصليبيين في محاولاتهم للسيطرة على البلاد العربية، وتعرف هذه القلعة باسم قلعة الربض أيضا، والى الشمال من

---

(1) طور زيتا: ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة التين، آية(١). وهذا الجبل مشرف على المسجد الاقصى، وفيما بينهما وادي جهنم، ومنه رفع عيسى المسيح، وعليه الصراط ينصب، وفيه مصلى عمر بن الخطاب، وفيه قبور الانبياء. ابن الفقيه، بلدان، ص٩٨. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٨٥.

(2) ياقوت، شهاب الدين ابو عبدالله بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، المشترك وضعا المفترق صقعا، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠، ص٩٥. وسيشارله فيمابعد: ياقوت، المشترك.

(3) الخليل: سميت كذلك نسبة الى سيدنا ابراهيم الخليل، وفيها قبره وزوجته ساره، وقبور الانبياء: يعقوب واسحاق وزوجاتهم عليهم السلام، ومبني على القبور مسجد يعرف الآن بالمسجد الابراهيمي. ويقال: ان الله تعالى اوحى الى سيدنا سليمان عليه السلام الى اقامة بناء يميز القبور كي تعرف لمن سيأتي من بعد. وعرفت المدينة قديما باسم حبرى او حبرون. الحنبلي، الأنس، ج١، ص٤٢-٤٣. وانظر: سترانج، فلسطين، ص٢٥٧-٢٦٨.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧-١٤٨.

(5) عجلون، لفظ سامي، وقديم مشتق من جذر عجل، ويعني مكان مستدير، أو مكان للتدحرج، وعجلون اسم علم فأحد ملوك مؤاب اسمه عجلون، وقد حارب هذا الملك الاسرائيليين، وانتصر عليهم، وخضعوا له مدة ثمانية عشر عاما. ودللت الكشوف الأثرية على وجود عجلون منذ العصور القديمة، وقد تبوأت مركزا ممتازا في العصور التالية: الهلنستي، والروماني، والبيزنطي. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٠٥. غوانمه، يوسف حسن درويش، المساجد الاسلامية القديمة في منطقة عجلون، منشورات مركز الدراسات الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦، ص٤٥. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، مساجد اسلامية.

(6) جبل عوف: عرف بهذا الاسم نسبة الى قوم من بني عوف من جرم قضاعة فعرف بهم. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨٩.

هذه الجبال تقع مدينة اربد[1]، أما المناطق الواقعة الى الشمال منها فقد عرفتها المصادر العربية بالاقحوانه، وقسم منها يسمى الآن بالكفارات[2].

وحول أربد عرفت مدن كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية، والتجارية في العصور الاسلامية. كجدر او ام قيس، وبيت راس[3]، والى الجنوب من اربد تقع مدينة جرش، بآثارها الرومانية، والتي تعتبر أكبر مدينة أثرية متكاملة، وهي على طريق المسافر من دمشق الى عمان. والى الجنوب تمتد جبال البلقاء[4]، والتي تمتد بين نهري الزرقاء، والموجب(ارنون)، ويتراوح ارتفاعها بين(٨٥٠-١٠٠٠متر) فوق سطح البحر، وعلى سفوح هذه الجبال على الجهة الشرقية لوادي

---

(1) اربد: بالفتح ثم السكون والباء الموحدة، مدينة بالاردن قرب طبرية، عن يمين الطريق للمغرب. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٤، ج١، ص٥٣. وسيشارله فيمابعد: البغدادي، مراصد. وانظر: غوانمه، يوسف حسن درويش، مدينة اربد في العصر الاسلامي، منشورات مركز الدراسات الاردنية، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٨٦، ص١٦-١٨. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، اربد.

(2) غوانمه، اربد، ص١٦.

(3) جدر: بالراء والتحريك، قرية بالاردن. البغدادي، مراصد، ج١، ص٣٤٣.

بيت راس: مدينة الى شمال اربد، وكان اسمها(Capitolias)، وكانت احدى كور الاردن على الطريق من دمشق الى طبرية، واشتهرت بصناعة الخمور، وذكرها حسان بن ثابت في شعره فقال:

قد عفا جاسم الى بيت راس — فالجوابي فحارث الجولان — (البحر الخفيف)

كما ذكرها في موقع آخر، وقال:

كأن سبيئة من بيت راس — يكون مزاجها عسل وماء — (البحر الوافر)

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبدالله بن عبدالله(٣٠٠هـ/٩١٣م)، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص٧٤-٧٥. وسيشارله فيمابعد: ابن خرداذبة، المسالك، والممالك، وانظر: غوانمه، التاريخ السياسي، ص٤٠. غوانمه، يوسف حسن، التاريخ الحضاري لشرقي الاردن في العصر المملوكي، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٩٨٢، ص٢٤٠. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، التاريخ الحضاري.

(4) البلقاء: كلمة عربية جاءت من الاشتقاق اللغوي للبلق، بمعنى السواد، والبياض المختلط، والارض المستوية وهي كورة من أعمال دمشق بين الشام، ووادي القري قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة، ومزارع واسعة وجودة حنطتها مضرب المثل. ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٢٥. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٨٩. وانظر: خريسات، محمد عبد القادر، البلقاء منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري" دراسة سياسية ادارية"، مجلة الدراسات التاريخية، سوريا، السنة السابعة، العددان،٢١،٢٢، آذار-حزيران، ١٩٨٦، ص٤٩-٥١. وسيشارله فيمابعد: خريسات، البلقاء.

الاردن تقوم مدينة الصلت[1]، وفي الجهة الجنوبية تقــع مدينــة حسـبان[2]، الــتي لعبــت دورا بــارزا في العصر الايوبي والمملوكي، وفي وسط هذه الجبال تقع مدينة عمــان، أو ربــة عمــون[3]، وعرفــت عمــان والبلقاء بكثرة قراها، وكثرة انتاجها للحبوب، ولذلك عرفــت "بمعــدن الحبــوب"[4].

وتأتي أهمية مدن البلقاء بأنها تقع على طريق الحج الشامي مثــل: الزرقــاء[5]، وزيــزاء[6].

وبالاتجاه جنوبا تأتي جبال مؤاب والشراة، وتمتد ما بين نهــر الموجــب شمــالا الى خليــج العقبــة جنوبا، وأعلى قمم هذه الجبال جبل هارون نسبة الى وجود مقام النــبي هــارون هنــاك[7]، والــذي يبلــغ ارتفاعه(١٣٣٦متر) فوق سطح البحر، وتنتشــر المــدن في هــذه الجبــال، وأوديتــها، فمدينــة مؤتــه[8] شهدت المعركة التي سميت باسم المدينة والتي دارت بين المســلمين والــروم، والحميمــة[9]، الــتي شــهدت

---

[1] الصلت: بالالف ولام لازمتين في أوله، وفتح الصاد المهملة المشددة، وسكون اللام وبعدها تاء مثناه تصحيف للكلمة الرومانية اللاتينية (Saltus)، وتعني: الغابة، وقد أكدت المصادر العربية غنى منطقة الصلت بالغابات الكثيفة، حتى أن الملك المعظم عيسى الايوبي بنى قلعة الصلت مكان (شعراء ملتفة)، وتعني الغابة ايضا. وهي بلدة لطيفة من جند الاردن، وهي من البلقاء والى الجنوب من عجلون، وبها بساتين كثيرة.
(ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٥. الظاهري، غرس الدين بن شاهين، زبدة كشف الممالك، وبيان الطرق، والمسالك، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٩. وسيشارله فيمابعد: الظاهري، مسالك. غوانمه، يوسف، صفحات من تاريخ القدس، وفلسطين والاردن في العصر الاسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٩٩، ص٨٣، ٩١. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، صفحات.
[2] حسبان: كانت قاعدة البلقاء، وبها بساتين واشجار، وزروع وبها واد فيصل بغور زغر. ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٢٧.
[3] عمان: بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، بلد في طرف الشام، وكانت قصبة أرض البلقاء، وعرفت في العهد البيزنطي باسم فيلادلفيا، سميت ربة عمون نسبة الى العمونيين الذين حكموا المنطقة منذ (١٢٠٠ق.م)، ولقد ازدهرت المدينة منذ أقدم العصور لوقوعها على طريق التجارة من الجزيرة العربية، والبحر الاحمر، وكذلك لمرور قافلة الحج الشامي فيها. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٥١. غوانمه، يوسف حسن، عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان، ١٩٧٩، ص٢٨، ص٣١-٣٦. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، عمان.
[4] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.
[5] الزرقاء، مدينة الى الشمال من عمان على طريق قوافل الحج الشامي، ويمر منها نهر الزرقاء. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٢٠.
[6] زيزاء: من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحجاج، ويقام بها سوق، وفيها بركة عظيمة. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٣.
[7] الاصطخري يقسم هذه المنطقة الى اقليمي الجبال والشراة. الاصطخري، المسالك والممــالك، ص٤٢.
[8] مؤته: قرية من قرى البلقاء، في حدود الشام، وبها قبر جعفر بن ابي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحه. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٥.
[9] الحميمة: قرية بأطراف الشام بالشراه من أرض دمشق بالبلقاء، كانت منــزل بني العباس في أيام بني امية. ياقوت، المشترك، ص٣٥.

أول حركة سرية في الاسلام والدعوة العباسيين، والكرك[١] بقلعتها التي لعبت دورا بارزا في العصر الايوبي لمواجهة الافرنج ومحاولاتهم للسيطرة على بلاد الشام، ومصر والمقدسات الاسلامية في الحجاز، ووادي موسى[٢]، الذي يحتضن مدينة البتراء الوردية او الرقيم، كما ذكرتها المصادر العربية، وهي من بناء الانباط الذين اشتهروا بالتجارة، وماتزال هذه المدينة الوردية قائمة حتى الوقت الحالي.

ومدينة معان[٣]، وهي محطة استراحة للقوافل التجارية، وقافلة الحج الشامي، وهي كذلك حتى الوقت الحاضر. وفي نهاية هذه السلسلة الجبلية تقوم مدينة العقبة أو أيله[٤]، وهي على الذراع الشرقي من البحر الاحمر، حيث لعبت دورا كبيرا في التجارة العالمية منذ أقدم العصور الى هذا اليوم. وامتازت هاتان السلسلتان بكثرة عيونها، وينابيعها التي جعلتها مزدانة بالأشجار الحرجية المختلفة، من البلوط والسنديان والسرو والصنوبر والجميز، اضافة الى اشجار الفواكه المختلفة، وأشجار الزيتون، وكروم العنب.

---

[١] الكرك: كلمة اعجمية لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء وهي كلمة أرامية الاصل، وهي تصحيفا لكلمة " كرخا" او "كارلو " التي تعني القلعة. وذلك لحصانتها. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٣. غوانمه، يوسف حسن، امارة الكرك الايوبية، منشورات بلدية الكرك، الاردن، ١٩٨٠، ص٤٥-٤٩. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، امارة الكرك.

[٢] وادي موسى: وهو وادي في قبلي بيت المقدس، بينه وبين الحجاز، وسمي وادي موسى لانه عندما خرج سيدنا موسى مع بني اسرائيل من التيه كان معهم حجر الذي ذكر الله في القرآن الكريم فكان اذا انزل ارض القاه فخرجت منه اثنتا عشر عينا. تتفرق على اثني عشر سبطاً عرف كل واحد مشربهم، وعندما أحس سيدنا موسى بدنو أجله عمد الى الحجر، وثبته بالارض فخرجت اثني عشر عينا، وتفرقت على اثني عشرة قرية، ثم مات سيدنا موسى في ذلك الوادي، وسمي الوادي باسمه، وبقي الحجر في مكانه. ياقوت، معجم البلدان، ج٤،ص٤٥. البغدادي، مراصد، ج٢، ص٨٥.

[٣] معان: بالفتح وآخره نون، هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٣. البغدادي، مراصد، ج٢، ص١٦٢.

[٤] أيله: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم(البحر الاحمر) مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. ياقوت معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢. ولقد ذكرت المدينة كثيرا في المصادر التاريخية والجغرافية العربية، ولمعرفة المزيد عن المدينة انظر: غوانمه، يوسف حسن درويش، أيلة(العقبة)، والبحر الاحمر، وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٤. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، أيله. وانظر: الدومنكي، بلدانية، ص٣٥-٣٨.

وما بين هاتين السلسلتين يقع الغور بقراه العديدة، وغلاله الوفيرة، فمساحته تبلغ ٤٨١كيلومترا مربعا، ويمتاز بارتفاع درجة حرارته، وأهله أغلبهم من ذوي البشرة السوداء[١]. ويجري في الغور نهر الاردن أو نهر الشريعة الذي يصب في البحر الميت[٢].

ويتصل الجزء الغربي بالجزء الشرقي للنهر بعدة جسور منها: جسر بنات يعقوب (جسر داميه)، الذي ذكره المؤرخون والجغرافيون العرب[٣]، وجسر دامية[٤]، وجسر الصنبرة الواقع بالقرب من ملتقى نهر الاردن بنهر اليرموك[٥].

وبالاتجاه شرقا، وكلما ابتعدنا عن الجبال الشرقية تبدأ البادية[٦] بالظهور، وهي على شكل هضبة عالية تتعرض للرياح الجافة التي تهب من الصحراء أو الرطبة[٧]، وهذه البادية تمتد نحو الجنوب الصحراوي لتتصل بالجفار[٨] وتيه بني اسرائيل[٩]، والصحراء في جنوبي الشام تعرف حاليا بصحراء النقب، وفيها مدينة بئر السبع[١٠]، حيث وجدت في هذه الصحراء الكثير من القبائل العربية التي

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥١.

(٢) البحر الميت: عرف في العصور الاسلامية بعدة أسماء: البحيرة المنتنه، بحيرة زغر، ويقال لها المقلوبة، والبحيرة الميتة، وهي غربي الاردن قرب اريحا، وهي في غاية النتن لا روح فيها من نبات أو حيوان. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٢. وانظر: الدومنكي، بلدانية، ص٤١-٤٤. سترانج، فلسطين، ص٧٨-٨١.

(٣) الدباغ، فلسطين، ق١، ج١، ص٧٦.

(٤) العمري، المسالك، ج١، ص٨٢.

(٥) غوانمه، التاريخ السياسي، ص٤٦.

(٦) يعتبر المقدسي أول من ذكر بادية العرب بتفاصيلها، وطرقها وحدودها. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٠٤-٢٠٨.

(٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦٠. وانظر:
Smith, George Adam, The Historical Geography of The Holy Land, the fontana library technology and philosophy, 1965, P62-64.

(٨) الجفار: بالكسر، وهو جمع حفر: البئر القريبة القعر الواسعة لم تطو، وهي أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر، أو لها رفح من جهة الشام، وهي متصلة برمال تيه بني اسرائيل. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٤٥.

(٩) التيه: هي الارض التي هام فيها بنو اسرائيل أربعين سنة، وطوله من نحو ستة أيام، وهي بين أيلة ومصر، وبحر القلزم – البحر الاحمر–، وجبل السراة من ارض الشام. الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٧٦. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٥١. الدومنكي، بلدانية، ص٧٧.

(١٠) بئر السبع: (السبع) ناحية في فلسطين بين بيت المقدس، والكرك فيها سبع آبار سمي الموضع بذلك، وكان ملكا لعمرو بن العاص أقام به لما اعتزل الناس. (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٨٥).

كانت امتدادا للقبائل العربية الموجودة في الجزيرة العربية التي سكنت منطقـــة جنـــوب بـــلاد الشـــام قبـــل الفتح الاسلامي للمنطقة وبعـــده[1].

[1] لمعرفة المزيد عن هذه القبائل، وأماكن نزولها انظر: عاقل، نبيه، فلسطين في العهد الاموي والعباسي والفاطمي، الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات الحضارية،(د. ن) بيروت، ١٩٩٠، ق٢، ج٣، ص٢٩٤-٢٩٧. وسيشارله فيمابعد: نبيه، موسوعة فلسطينية.

التقسيمات الادارية، والحدود الجغرافية لمنطقة جنوب بلاد الشام، في العصر الاموي، والعباسي الاول، والثاني.

كانت بلاد الشام في العهد البيزنطي ولاية واحـــدة مقســـمة الى مقاطعـــات اســـتنادا الى مـــا ورد في قانون جستـــنيان الذي يرجع الى القرن الخامس الميلادي، وهو علــــى النحـــو[1] التـــالي:

أ-فلسطين، وقد قســـمت الى:

- فلسطين الاولى، وعاصمتها قيسارية، وتضم القدس، ونابلس، ويافـــا، وغـــزة، وعســـقلان.

- فلسطين الثانية، وعاصمتها بيسان، تضم الجليلين، والقســـم الغـــربي مـــن بيريـــا(الجـــولان) ومدنها الرئيسية جدارا، وطبريـــا.

- فلسطين الثالثة، وتضم أدوميا، ومدينتها الرئيســـية البـــتراء.

ب- فنيقيا، وقد قســـمت الى:

- فنيقية الاولى، وعاصمتها صور، ومن مدنها الرئيســـية: عكـــا، صيـــدا، وبـــيروت، وجبيـــل، وطرابلـــس وأرواد.

- فنيقية الثانية أو لبنان، وعاصمتها دمشق، وتضم حمـــص وتدمـــر.

---

[1] سترانج، فلسطين، ص٤٣-٤٤. حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٣٨٨. وانظر: عباس، احسان، تاريخ بلاد الشام من ما قبل الاسلام حتى بداية العصر الاموي(٦٠٠-٦٦١م)، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٠، ص١٦٩-١٧١. وسيشارله فيمابعد: احسان، الشام قبل الاسلام. حماش، نجدة، الادارة في بلاد الشام في العصر الاموي، دار الكتاب العلمية، بيروت،١٩٨٣، ص٣٦-٣٧. وسيشارله فيما بعد: حماش، الادارة.

ج- سورية وقد انقسمت الى:

- سورية الاولى، وعاصمتها أنطاكية، ومن مدنها الرئيسية سلوقيا، واللاذقية، وجبلة، وحلب.

- سورية الثانية، وعاصمتها أفاميا، ومن المدن التابعة لها: حماة، والرستن، وشيزر.

وعندما تم للعرب فتح بلاد الشام عام(١٨هـ/٦٣٩م)، في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب وجدوا هذه التقسيمات الادارية، فاهتدوا بهديها في ترتيب البلاد، وفق ما يلائم طبوغرافية بلاد الشام ذات المساحة الواسعة المترامية الاطراف، فقام الخليفة عمر بن الخطاب بتقسيم البلاد الى اربعة أجناد هي: جند حمص، جند دمشق، جند الاردن، جند فلسطين[1]، إلا أنه في العصر الاموي أصبح عدد هذه الاجناد خمسة باضافة جند قنسرين[2]، وفي العصر العباسي وجد الخليفة العباسي هارون الرشيد أن لابد من تقسيم جند قنسرين المتضخم، فأوجد إقليما جديدا هو العواصم، والثغور[3].

أما بالنسبة للتقسيمات الادارية لمنطقة جنوب بلاد الشام الذي تألف من جندي: الاردن وفلسطين، فإن جند الاردن حل محل الولاية البيزنطية التي كانت تسمى فلسطين الثانية، وقد

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص٨٥-٩٠.

- الاجناد: جمع جند، وهم الاعوان والانصار أو العسكر، ويضيف ابن منظور: والجند المدينة، وخص ابو عبيدة به مدن الشام، وأجناد الشام خمس كور.... ويقال لكل مدينة جند. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٣٢. فالواضح أن المقصود من لفظ جند قسم اداري او قطر ينقسم بالتالي الى عدة كور.

(٢) ابن الفقيه، مختصر بلدان، ص٨٩. ابن رسته، ابو علي أحمد بن عمر، الاعلاق النفيسة، ليدن المحروسة، مطابع بريل، ١٨٩١، ص٣٣٥. وسيشارله فيمابعد: ابن رسته، الاعلاق النفيسة.

(٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٣. الاقاليم، ص٣٠، ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٥. المقدسي يقسم اقليم الشام الى ست كور: أولها من قبل أقور قنسرين ثم حمص، ثم دمشق، ثم الاردن، ثم فلسطين ثم الشراة وقصبتها صغر. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٣٦. =

احتوى هذا الجند شريطا ساحليا، ومنطقة الجليل كلــــها، والجــولان(ثم فصلـــت بعـــد) وشمـــال شـــرقي الاردن، ومعنى ذلك أنه لم يكتف بفلسطين الثانية بل ضم إليـــها اجـــزاء مـــن فلســـطين الثالثـــة، وأجـــزاء أخرى من فينيقية. وكان تفكيك فينيقية، والحاق أجزائها بهذا الجنـــد أو ذاك ســـببا في نـــزع جـــرش مـــن تبعيتها لدمشق، والحاقها بجند الاردن، وكذلك نزع بانياس، وضمـــها الى الجـــولان الـــذي ضـــم بـــدوره الى الاردن[1]، وأصبحت عاصمة الجند مدينة طبريا - بدلا من بيســـان -، وللجنـــد مـــن الكـــور: صـــور، عكا، قدس، وبيسان، وفحل، وجرش، والســـواد[2]، وبذلـــك يمكننـــا رســـم الحـــدود الجغرافيـــة لجنـــد الاردن، والذي يقع الى الغرب والجنوب الغربي من جنـــد دمشـــق[3]، وتتســـم الحـــدود الشـــمالية لجنـــد الاردن بأنها تتماشى مع الظواهر الطبيعية، وتبـــدأ مـــن الشـــمال مـــن مصـــب نهـــر الليطـــاني في البحـــر المتوسط شمال مدينة صور، لتتماشى الحدود مع النهر نحو الشمال باتجـــاه ســـهل البقـــاع، ثم تمتـــد جنوبـــا الى المنابع الغربية لنهر الاردن(نهر الحاصباني) [4] فتتجه جنوبا الى ســـبخة الحولـــة(قـــدس)، حيـــث يشـــكل نهر الاردن بعدها الحد الشرقي لكورة الجولان الواقعة الى الشرق من النـــهر، والـــتي كـــانت بداية جـــزءا من هذا الجند ثم صارت بعد ذلك من كور جنـــد دمشـــق[5].

= فالمقدسي يجعل الشراة اقليما لوحده، وكان الاصطخري، وابن حوقل قد ذكرا بأنها مضمومة الى جند فلسطين اضافة الى اقليم الجبال الذي يتمم الواحد الآخر.

[1] ستراتج، فلسطين، ص٤٣. احسان عباس، الشام قبل الاسلام، ص٣٤٧.

[2] اليعقوبي، البلدان، ص٨٨. ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص١١١. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج١، ص١٦٣.

ستراتج، فلسطين، ص٤٧. حماش، الادارة، ص٤١.

قدس: مدينة صغيرة قرب الحولة على سفح جبل كثيرة الخير، وهي معدن الأقطان، والازهار، وفيها أغوار وأنهار. المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٠،١٤٥.

فحل: موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٧).

السواد: موضعان احدهما نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها. (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٢).

[3] ستراتج، فلسطين، ص٤٦.

[4] لرسم الحدود الجغرافية لجند الاردن اعتمدت على البحث الذي قام به الدكتور مصطفى الحياري، تحت اسم جند الاردن ملاحظات حول حدوده الجغرافية، مجلة الابحاث، السنة٣٥، ١٩٨٧، ص١٣-١٧. وسيشارله فيمابعد الحياري، حدود جند الاردن.

[5] اليعقوبي، البلدان، ص٨٢.

وعندما يصل خط الحد الى الطرف الشمالي من منطقة البطيحة الحالية التي تقع الى الشمال الشرقي من بحيرة طبرية ينعطف نحو الجنوب الشرقي حتى يمر بمنطقة متوسطة بين خسفين[1]، من جند دمشق، وأفيق[2] من جند الاردن. ثم يتجه الحد باتجاه الشرق مع ميل الى الجنوب حتى مصب(أو وادي) علان الذي يرفد نهر اليرموك من الشمال. ويسير الحد للجند بعد ذلك مع وادي نهر اليرموك باتجاه الشرق حتى يلتقي النهر بوادي الشلالة[3] الحالي، حيث يصبح هذا الوادي الثاني الحد بين جند الاردن، وولاية البلقاء في الفترة الاموية والعصر العباسي الاول. (وولاية البلقاء كانت تتبع جند دمشق ثم أصبحت ولاية تحت ادارة مستقلة).

ويتجه الحد بعد وادي الشلالة جنوبا مع الطرف الغربي للهضبة الذي يشكل بدوره امتدادا لحد ولاية البلقاء من جهة الغرب.

وأما حد جند الاردن مع ولاية البلقاء في المنطقة بين نهر الزرقاء شمالا، والبحر الميت جنوبا فغير واضح، وتقع نهاية حد جند الأردن في مكان ما بين عمتا والجميلة[4]. والحد بين جند الأردن وجند فلسطين فربما كان يتمثل بوادي الزرقاء قرب يافا الذي يصب في البحر المتوسط وسهل عرابة[5] الى الجنوب من جنين[6]. وتبقى منطقة الغور الغربي من حد كورة بيسان شمالا حتى البحر

---

[1] خسفين: قرية من أعمال حوران بعد نوى في طريق مصر بين نوى والاردن بينهما وبين دمشق خمسة عشر فرسخا. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٧١.

[2] أفيق اوفيق: قرية من حوران في طريق الغور، أو العقبة المعروفة بعقبة أفيق. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٣٣.

[3] الشلالة: موقع قرب مدينة الرمثا، شمال مدينة اربد. (الباحثة)

[4] عمتا: قرية بالاردن، وهي في وسط الغور، اثنا عشر فرسخا ومنها الى مدينة طبرية(ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٣)

الجميلة: قرية في الأغوار. (الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٤٢).

[5] عرابة: من أعمال عكا بالساحل الشامي. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٩٢)

[6] جنين: كانت تعرف بالقدم بعين جنيم بمعنى عين الجنائن وعند فتحها العرب حرفوا الاسم فذكرت جنين. (شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧، ص٢٧٦. وسيشار له فيمابعد: شراب، معجم).

الميت، وليس من الواضح أكانت هذه المنطقة من جند الأردن أم من جند فلسطين، ذلك لأن التغييرات الإدارية تجعل الدقة في تحديد كل جند أمرا عسيرا.

أما بالنسبة لجند فلسطين، فإن فلسطين الأولى هي النواة التي تكون منها الجند، والتي كانت قيسارية العاصمة في السابق فخلفتها اللد ثم الرملة، كما أضيف إليه القسم الأعظم من فلسطين الثالثة[١]، ولجند فلسطين من الكور: بيت المقدس، ونابلس، وعمواس[٢]، وسبسطية[٣]، وقيسارية[٤]، يافا، غزة[٥].

والحد الغربي لجند فلسطين[٦] يساير خط الساحل ابتداء من جنوبي رفح إلى نقطة شمالي قيسارية، وعند تلك النقطة يبدأ الحد الشمالي قبل أن يتجه إلى الداخل في اتجاه جنوبي شرقي جاعلا نتوء الكرمل خارج الجند قبل أن يتبع التلال الجنوبية لمرج ابن عامر. وخارج الحد شمالا تقع جنين واللجون[٧]. وبعد أن يدور حول الزاوية الشمالية الشرقية من السلسلة الفلسطينية يتبع الحد الشرقي طريقا معقدا على طول الطرف الغربي من منحدر وادي الأردن الى البحر الميت. وإلى الجنوب من بيسان حيث المنحدر يجور على الوادي فإن الحد يصل نهر الأردن أو يكاد. وبعد وادي فسايل ليتراجع عن النهر غربا، ويظل الحد متجها معه. لكن أريحا وقعر الوادي يقعان خارج جند فلسطين ويتبعان جند دمشق[٨]. ثم يتجه الحد شرقا الى الجنوب من أريحا متبعا المنحدر أيضا حتى يلتقي

---

(١) سترانج، فلسطين، ص٤٣. (احسان عباس، الشام قبل الاسلام، ص٣٤٩).

(٢) عمواس: كورة من فلسطين، بالقرب من بيت المقدس. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٧)

(٣) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان. (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٨٤)

(٤) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تعد من أعمال فلسطين بينها وبين فلسطين ثلاثة أيام. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٢١)

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص٨٩. ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص٩٩. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق١، ج١، ص٢٠٤. وانظر: سترانج، فلسطين، ص٤٥. الدومنكي، بلدانية، ص٤٩.

(٦) اعتمدت في رسم الحدود الجغرافية لجند فلسطين، ما كتبه الدكتور احسان عباس، تاريخ بلاد الشام قبل الاسلام، ص٣٤٩-٣٥١.

(٧) اللجون: بلد بالاردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا، والى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلا. (ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٣)

(٨) يذكر المقدسي: أن أريحا تابعة لجند فلسطين.(للمقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٥).

بالشاطىء الغربي للبحر الميت، فأما الحد الجنوبي فإنه يسير على محـــور وادي عربـــة تاركـــا جبـــال شـــرقي الأردن الجنوبية في جند دمشـــق.

ومن الملاحظ أن هذه التقسيمات الإدارية لجنوب بلاد الشـــام قـــد اتخـــذت الشـــكل العرضـــي، لا الطولي - كما في الوقت الحالي- وذلك كي لا يحرم أي جنـــد مـــن منطقـــة ســـاحلية مضافـــة إليـــه، وذلك لتسهيل حركة التجارة، والمصالح الاقتصادية لكـــل منـــهما[1].

بقي جندا الأردن وفلسطين وحدات إدارية تدار مـــن مركـــز الخلافـــة في المدينـــة، أو دمشـــق أو بغداد حتى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث أصبحت منطقة جنـــوب بـــلاد الشـــام الـــتي تتكـــون مـــن هذين الجندين، وبعض كور جند دمشق، ولاسيما الجنوبية منـــها مثـــل: حـــوران، والجـــولان، والجبـــال، ومؤاب، وزغر والشراة جزءا من البلاد التابعـــة للدولـــة الاخشـــيدية في مصـــر والشـــام، ثم أصبحـــت في النصف الثاني من نفس القرن تابعة للدولـــة الفاطميـــة.

---

[1] عباس، احسان، فصول حول الحياة الثقافية، والعمرانية في فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص٥. وسيشارله فيمابعد: احسان عباس، فصول.

الأهمية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام

برزت الأهمية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام منذ أقدم الأزمان، فموقعها المتوسط وخصوبة أرضها، واعتدال مناخها شجع على قيام العديد من الحضارات فيها، إضافة إلى ما جاورها من حضارات في مصر والعراق، فكانت حلقة اتصال بينهما، فهي الطريق البري الوحيد الذي يصل الجزء الآسيوي بالجزء الأفريقي، إضافة إلى الطرق البرية التي تخترق المنطقة بمختلف الاتجاهات، أضف الى ذلك فإن اشرافها على واجهتين بحريتين قد لعب دورا كبيرا في التجارة البحرية العالمية، فالبحر المتوسط في الغرب، هو طريق التجارة القادمة من أوروبا، والبحر الأحمر يتصل بالتجارة القادمة من الشرق الأقصى، وقد شجع ذلك الدول في مختلف العصور التهافت للسيطرة عليها، ومن هنا فقد امتزجت فيها حضارات أمم متعددة، وأعطاها ذلك ميزة خاصة في العطاء الحضاري على مر العصور، حتى أن الزائر حاليا للمنطقة يشعر وكأنه في متحف ينتقل من عصر الى عصر يعيش اللحظات التاريخية، التي حدثت في جنوبي بلاد الشام.

وقد احتلت هذه المنطقة مكانة دينية عند المسلمين، والمسيحيين، واليهود، لذا فإن الحكام الذين حكموا المنطقة، أولوا هذه الأماكن الدينية اهتماما خاصا، من حيث بنائها، واصلاحها، واعادة ترميمها.

وتنقسم الأهمية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام خلال فترة الدراسة إلى عصرين:

١- الدولة الأموية.

٢- الدولة العباسية الأولى، الثانية.

الأهمية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام في العصر الأموي

(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م)

بتولي بني أميه مقاليد الحكم عام (٤١هـ/٦٦١م)، انتقل مركز الخلافة من المدينة المنورة، إلى دمشق، ونتيجة لذلك أصبح موكب الحج ينطلق من العاصمة دمشق، وكان يضم هذا الموكب غالبية أهل الشام، كما كان ينظم إلى هذا الركب حجاج آسيا الصغرى[١]. حتى أن حجاج غرب العالم الاسلامي كالأندلس، وشمال افريقية، ومصر كانوا ينضمون الى هذا الركب عند نزولهم في أيلة[٢]، وعرف الطريق الذي يسلكه الحجاج باسم طريق الحج الشامي، أو الركب الشامي[٣]، وكانت قوافل الحج الشامي تسير من دمشق، وتتجمع في رأس الماء (مزيريب قرب درعا) [٤] لتمر بعدة أماكن في جنوب الشام هي: الرمثا التي كان الحجاج يقيمون فيها للراحة، وللبيع والشراء[٥].

---

[١] دراد كه، صالح، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية، عمان، المطابع العسكرية، ١٩٩٧، ص٧٣. وسيشارله فيمابعد: دراد كه، طرق الحج.

[٢] مؤلف مجهول، كتاب المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض،١٩٦٩، ص٦٥١. وسيشارله فيمابعد: الجاسر، مناسك. وانظر: حريس، غيثان ابن علي، بحوث في التاريخ والحضارة الاسلامية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ج١، ص٤٦. وسيشارله فيمابعد: غيثان، حضارة.

[٣] دراد كه، طرق الحج، ص٧٣.

[٤] ابن بطوطه، ابو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي، (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة برحلة ابن بطوطه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٨، ص١٢٩. وسيشارله فيمابعد: ابن بطوطه، الرحله. والجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن ابراهيم الأنصاري(ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض،١٩٨٣، ج٢، ص١٢٥٥. وسيشارله فيمابعد: الجزيري، درر الفرائد.

[٥] غوانمه، يوسف حسن، التجارة الدولية في مناطق شرق الاردن (من جنوب الشام) في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٣-٢٤، كانون اول، ١٩٨٦، ص٨٩. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، التجارة الدولية.

ثم يرتحل الركب إلى المفرق(الفدين)[1]، ومنها يتجهون إلى الضليل الواقعة بين المفرق والزرقاء، ومنها إلى الزرقاء، فيقيمون بها يوما أو يومين[2]، ثم يتجهون الى زيزاء[3]، ومنها إلى اللجون، ثم إلى الثنية خارج الكرك[4]، فتقيم أياما ثم تواصل سيرها إلى معان[5]. ومنها إلى عقبة صوان، وذات حج في طريقها إلى الحجاز[6]، ومن هنا جاء الاهتمام بمنازل الحج لتسهيل مشاق ومتاعب السفر على الحجاج، وعلى كل من يسلك الطريق سواء كان مسافرا أم تاجرا، وكذلك لإيصال البريد بأسرع وقت ممكن بين دمشق، والمدن المقدسة بالحجاز[7]، وذلك لوجود عبدالله بن الزبير الذي شكل خطرا هدد دعائم الحكم الأموي، وكان من طبيعة بني أمية حب البناء، والتعمير كي يتركوا أثرا يخلد أسمهم، ووجدوا في جنوبي الشام الجو الملائم لذلك، فكثرت الأبنية المعمارية، والعمرانية التي خلدت اسمهم حتى الوقت الحالي، مثل: الرملة، والمسجد الاقصى، ومسجد الصخرة، وكان بنو أمية يعاملون أهل المنطقة بلطف، ومودة فكانوا يحبون جوارهم[8]، وبنى الخلفاء الأمويون القصور في مختلف الأماكن، وكانوا يديرون شؤون البلاد عند نزولهم في هذه المناطق[9]: كقصر

---

(1) سمي المفرق كذلك لأن الحجاج إذا رجعوا تفرقوا منه إلى أوطانهم. كبريت، محمد بن عبدالله الحسيني الموسوي(ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م)، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٦٥، ص٢٣١. وسيشارله فيمابعد: الموسوي، رحلة الشتاء.

(2) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٦. الموسوي، رحلة الشتاء، ص٢٣٢. غوانمه، التجارة الدولية، ص٨٩.

(3) الجزيري، درر الفرائد، ج٢، ص١٢٦٦.

(4) ابن بطوطه، الرحلة، ص١٣٠. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٦. الموسوي، رحلة الشتاء، ص٢٣٢.

(5) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٤.

(6) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٧. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦٢. غوانمه، التجارة الدولية، ص٨٩.

(7) أحمد، رمضان احمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٠، ص٩. وسيشارله فيمابعد: احمد رمضان، الرحلة والرحاله.

(8) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٢٢٦.

(9) زيادة، نقولا، عربيات حضارة وتاريخ، لندن، رياض الريس للنشر، ١٩٩٤، ص١٣٩. وسيشارله فيمابعد: نقولا، عربيات.

المفجر شمال أريحا[١]، والصنبرة أو قصر المنية في الجنوب الغربي من بحيرة طبرية[٢]، اضافة الى ذلك القصور المتناثرة وخصوصا في بادية (الاردن الحالي)، فكان بنو أمية يحبون الصيد، وأحيانا يستخدموها للراحة، والاستجمام، ولعبت هذه القصور دورا أساسيا تمثل بأن يكون خلفاء بني أميه قريبين من القبائل العربية كي يكسبوا ودهم، وتأييدهم[٣].

[١] وهو من بناء الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. (طوقان، فواز، الحائر، بحث في القصور الأموية في البادية، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩، ص١٤٤. وسيشارله فيمابعد: طوقان،الحائر. وانظر: العابدي، محمود، آثار الأردن وفلسطين، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٣، ص١١١. وسيشارله فيمابعد: العابدي، آثار).

[٢] قصر الصنبرة: كان يطل على بحيرة طبريا، ويحتوي على العديد من الزخارف، والملحقات. طوقان، الحائر، ص٤٥٠.

[٣] طوقان، الحائر، ص١١٤.

وكان الخلفاء يعينون الولاة على المنطقة من أبناء العباسيين لما عرف عن المنطقة، من ولائها وتأييدها لبني أميه، ويلخص محمد بن علي ذلك بقوله:" أما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل ابي سفيان وطاعة بني مروان عداوة لنا راسخا وجهلا متراكما"[(١)].

واهتم الخلفاء العباسيون بالأماكن الدينية في المنطقة، وطرقها من حيث البناء والترميم، فالخليفة المنصور زار بيت المقدس عدة مرات أثناء رجوعه من الحج في الديار المقدسة[(٢)]، وخلال زيارته الثانية لبيت المقدس أمر باقتلاع صفائح الذهب، والفضة الموجودة في أبواب المسجد الأقصى لسكها، وانفاقها على اصلاح وترميم المسجد، أثر زلزال أصاب المنطقة عام (١٥٤هـ/٧٧٠م)[(٣)]، كما قام الخليفة المهدي بإعادة وترميم المسجد الأقصى أثر زلزال حدث للمرة الثانية في المنطقة عام (١٥٨هـ/٧٧٤م)، وهدم ما قام الخليفة المنصور بترميمه، حتى أن أغلب الناس انقطعوا عن الصلاة فيه وبقي الأمر كذلك حتى عام (١٦٣هـ/٧٧٩م)، فأدخل الخليفة المهدي التحسينات حيث أقام به قبة أخذت زينتها من الذهب، والفصوص الملونه[(٤)]، وفي عهد الخليفة المأمون الذي زار بيت

[(١)] الدينوري، ابوعبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٣٣. وسيشارله فيمابعد: الدينوري، الأخبار.

[(٢)] الطبري، تاريخ الرسل، ج٩، ص٢٣٠ و ص٢٤٥. محمود، شفيق جاسر احمد، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين، والمسيحين فيها حتى الحروب الصليبية، ط٢، مكتبة الايمان، (د.م)، ١٩٨٩، ص٢١٥. وسيشارله فيمابعد: شفيق، تاريخ القدس.

[(٣)] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٥. شفيق، تاريخ القدس،ص٢١٥. يوسف، حمد احمد عبدالله ، بيت المقدس من العهد الراشدي، وحتى نهاية الدولة الأيوبية، (د.ن)، القدس، ١٩٩٢، ص١١٥. وسيشارله فيمابعد: حمد، بيت المقدس.

[(٤)] كرد، علي، محمد، خطط الشام، (د.ن)، بيروت، ١٩٦٩، ج٢، ص٢٨١. وسيشارله فيمابعد: كرد علي، خطط الشام.

المقدس، وأمر بترميم مسجد الصخرة بعد أن كان قد أصابه بعض الخراب، وانتهى العمال من الترميم عام (٢١٦هـ/٨٣١م) [١].

ومن الأماكن التي اهتم بها العباسيون مدينة عمان، والتي كانت مركزا للوالي المسؤول عن البلقاء، ومنطقة الشراة الممتدة الى جنوب الاردن الحالية[٢]، ومن الولاة الذين تولوا إدارة المنطقة: صالح بن علي[٣]، وصالح بن سليمان[٤]، ومحمد بن طغج بن الاخشيد[٥]. كما شهدت الرملة محاولات عدة لجعلها مركز دولة مستقلة لآل الجراح[٦].

---

[١] يذكر ابن الاثير: عن حادثة التزوير الذي قام بها العمال أثناء عملية الترميم وذلك تقربا من الخليفة المأمون، حيث نقشوا النص التالي:" بنى هذه القبة عبدالله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة أثنتين وسبعين تقبل الله منه أمين"، وهذا النص نقش على الرواق القريب من الناحية الجنوبية الى الشرق.(ابن الاثير، عز الدين بن محمد، ت(٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ج٩، ص٤٦٧. وسيشارله فيمابعد: ابن الاثير، الكامل. حمد، بيت المقدس، ص١٢٠).

[٢] غوانمه، عمان، ص٥٥. غوانمه، صفحات، ص٧٦.

[٣] ولد بالشراة من أرض البلقاء من أعمال دمشق سنة ست وسبعين هجرية، ومات سنة احدى وخمسين ومائة، ولاه الخليفة العباسي السفاح على البلقاء وفلسطين. (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٣، ص٣٥٧-٣٥٩. غوانمه، صفحات، ص٧٦. غوانمه، عمان، ص٩٣-٩٤).

[٤] ولاه جعفر بن يحي البلقاء من أعمال دمشق، اذ ولي الشام من قبل الرشيد. (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٣، ص٣٣٤. غوانمه، عمان، ص٩٤).

[٥] ولي دمشق في خلافة المقتدر سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، ولد سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد ومات بدمشق ود فن في بيت المقدس، كان واليا على المنطقة الممتدة من عمان شمالا حتى أيلة جنوبا. (ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٣، ص٢٨٥-٢٨٦. غوانمه، عمان، ص٩٧. وله: صفحات، ص٧٦).

[٦] انظر: نبيه عاقل، موسوعة فلسطينية، ق٢، ج٣، ص٣٣٥-٣٥٠. صادق جوده، الرملة، ص١٢١-١٣٣.

الفصل الثاني: الزراعة في جنوب بلاد الشام

- أصناف الأراضي الزراعيــــة.
  - طرق الاستثمار و زراعـــة الأرض.
  - الأساليب الزراعيـــة.
  - الأدوات الزراعيـــة.
  - نظام الري، وأدواته ووســـائله.
- **نظام استغلال الأرض الزراعيـــة.**
- **المحاصيل الزراعية، وأنواعـــها.**
  - محاصيل الحبـــوب.
  - الخضـــراوات.
  - المحاصيل الزراعية الصناعيـــة.
  - الأشجار المثمرة والفواكـــه.
  - الأزهار والأعشاب الطبيـــة.
  - الأشجار والغابات والمراعـــي.
- **الصناعات القائمة على المحـــاصيل الزراعيـــة.**
  - صناعة عصر الزيـــت.
  - صناعة الصـــابون.
  - طحن الغلال – الحبـــوب –.
  - صناعة المواد الغذائية – الفواكـــه المجففـــة –.
  - صناعة الســـكر.
  - صناعة الـــورق.
  - صناعة الخمـــور.
  - صناعة البلســـم.
- **الثروة الحيوانيـــة.**

الزراعة في جنوب بلاد الشام

اعتمدت جنوب بلاد الشام في اقتصادهـا علـى مـا تقدمـه الارض مـن منتوجـات زراعية، متنوعة، فوفرة المياه، وخصوبـة التربـة، والمنـاخ الملائـم، أدى إلى أن تكـون منطقـة جنوب بلاد الشام منطقـة زراعيـة بالدرجـة الاولى، غطـت احتياجاهـا، وقـامت بتصديـر الفائض إلى المناطق المجاورة، حتى أن المنطقة تميزت بأنهـا جمعـت مزروعـات لا تجتمـع إلا بهـا، وقامت بها صناعات زراعية متنوعة، فاقت بها على غيرها مـن المنـاطق المجـاورة.

وقد اختلفت الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية تبعـا لنـوع المحصـول وكميتـه وطريقة ريه. وقد اضطررت في اعداد هذا الفصل الى الاعتمـاد علـى بعـض المصـادر المتـأخرة أو المراجع الحديثة لندرة المعلومات في المصـادر المعـاصرة او القريبـة مـن فـترة الدراسـة، لأن كثيرا من الوسائل المتبعة في الزراعة ظلت متوارثة منذ قـرون عديـدة.

أصناف الأراضي الزراعية

وجد في جنوبي الشام – كما في الديار الشـامية والعـراق- عـدة أصنـاف للأراضـي الزراعية وهي كالتـالي:-

أ- أراضي الخراج: وهي الأراضي التي بقيـت بـأيدي أهلـها بعـد الفتـح العـربي للمنطقة، حيث يقومون باعمارها، مقابل أداء ما يتوجـب عليـهم مـن أمـوال الى بيت مال المسلمين، فهذه الاراضـي اعتـبرت ملكـا مشـتركا للأمـة، أي وقفـا، بحيث يضمن من خلالها مصدرا ماليـا دائمـا، يرفـد الدولـة لتقضـي مصلحـها،

وحاجاتها المختلفة[١]، وأخذت هذه الاراضي بالتقلص تدريجيا نتيجة بيعها للعرب الذين اكتفوا بدفع العشر[٢].

ب- اراضي الصوافي: وهي الاراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا، ولا وارث لها، فوضعت الدولة يدها عليها سواء كانت هذه الاراضي عامرة، أو غير عامرة، بما فيها من المعادن الظاهرة، والباطنة[٣].

فبعد أن تم الفتح لبلاد الشام، وجدت أراض لا مالك لها تخص، إما الامبراطور، أو الدولة، أو أحد النبلاء، وكبار الموظفين الذين قتلوا في المعارك، أو لحقوا هرقل بأرض الروم بعد أن هزمهم العرب المسلمون في معركة اليرموك، تاركين خلفهم مزارعهم، وضياعهم، وأملاكا مختلفة[٤]، فأصبحت هذه الاملاك خالصة الى بيت مال المسلمين، وللخليفة حق

---

(١) عندما تم للعرب فتح بلاد الشام، اختلف الصحابة في مصير الارض، وأرادوا أن يقوم الخليفة عمر بن الخطاب بتقسيمها بين المسلمين، إلا أن الخليفة استقر رأيه بأن تعتبر أراضي بلاد الشام خراجية وقفا للامة لأنها تشكل مورد مالي دائم لبيت مال المسلمين. (أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٣هـ/٧٩٩م)، الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٦-٢٧. وسيشارله فيمابعد: ابو يوسف الخراج. القرشي، يحي بن آدم(ت٢٠٣هـ/٨١٨م)، الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٨. وسيشارله فيمابعد: القرشي، الخراج. الازدي، محمد بن عبدالله(القرن الثاني الهجري)، فتوح الشام، تحقيق: عبدالمنعم عبدالله عامر، مؤسسة سجل العرب،(د.م)، (د.ت)، ص١٤٠-١٤١.وسيشارله فيمابعد: الازدي، فتوح. ابن عساكر تاريخ دمشق، ج٢، ص١٨٦-١٨٧. وانظر: حسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الاموي، (د.ت)، (د.م)، ١٩٧٨، ص٤٢-٤٨. وسيشارله فيمابعد: فالح، حياة زراعية).

(٢) أمر الخليفة الاموي عمر بن العزيز عماله بالنهي عن بيع أو شراء اراضي لخراج، حيث كره الفقهاء بيع اراضي الخراج باعتبارها وقف اسلامي للدولة، ورعاياها، فالارض الخراجية تبقى كذلك حتى لو انتقلت من ذمي الى مسلم. (ابو يوسف، الخراج، ص٢٦. ابو عبيد، القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ/٣٣٨م) الاموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت،١٩٨١، ص٤٢. وسيشارله فيمابعد: ابو عبيد، الاموال ابن رجب، زين الدين ابو الفرج، الاستخراج لاحكام الخراج، تحقيق: جندي محمود شلاش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٩، ص٣٦. وسيشارله فيمابعد: ابن رجب، الخراج).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص١٧٠. الدوري، عبدالعزيز، النظم الاسلامية، بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص٥٢. وسيشارله فيمابعد: الدوري، نظم اسلامية.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص١٩٠. ولنظر: المصري، عبدالمهدي عبدالهادي، الارض الخاصة بالدولة في الاسلام، اراضي الصوافي، دار أم القرى، الاردن، ١٩٨٩، ص٥٧-٦١. وسيشارله فيمابعد: للصري، أراضي الصوافي.

التصرف فيها وفق مصالح الامـــة[1]، وذلك إمـا باسـتغلالها كـأن يؤجرهـا، أو مـا عـرف بالمزارعـة، فـابن عسـاكر يذكـر ذلـك بقولـه:"إن الخليفـة كـان يقبلـها -الارض- كما يقبل الرجل مزرعته... فلم تزل تلك المـزارع موقوفـة، مقبلـة تدخـل قبالتـها بيت المال[2]". أو أن يقوم الخليفة بالانفاق على الارض لاسـتغلالها مـن بيـت مـال المسـلمين، فيستأجر من يقوم بعمارتها، ويكون فضلها للمسلمين، وإن شـاء الخليفـة أقطعـها الرجـل ممـن له غناء عن المسلمين[3]. من ذلك قرية بقنس أو قبيـس بالبلقـاء[4]، واعتـبر هـذا النـوع مـن الاراضي بداية لنشأة الاقطاع الذي كان يعطي بملكية تامـة، وسميـت بالقطـائع[5].

ج- اراضي العشور: وهي الاراضي التي كان يملكـها العـرب، ودخلـوا في الاسـلام قبل القتال، كذلك الارض الـتي صـولح اهلـها ثم أسـلموا، والارض الـتي فتحـت عنـوة ثم

---

(1) ابو يوسف، الخراج، ص٢٨.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص١٩١. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي(ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه: عبدالقادر بدران(ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، دار المسيرة، (د.م)، ١٩٧٩، ج١، ص٧٢. وسيشارله فيمابعد: ابن عساكر، تهذيب.

(3) القرشي، الخراج، ص٢٢.

(4) الصوافي التي كانت في البلقاء، هي مزرعة، وأراضي شاسعة تعود ملكيتها للخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان، ولوالده من قبله، وبعد انتهاء الدولة الاموية، اعتبرت الدولة العباسية هذه الاراضي صوافي. (البلاذري، فتوح، ص١٥٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص٩٢. وانظر: الصالح، صبحي، النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٨٢. وسيشارله فيمابعد: صبحي، نظم اسلامية).

(5) الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، دار الانصار، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧، ص٣٢٠ وسيشارله فيمابعد: الريس، نظم مالية. صبحي، نظم اسلامية، ص٣٨١. كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر،(د.م)، ١٩٧٧، ص١٢٣-١٢٤.وسيشارله فيمابعد: كلود، تاريخ العرب.

وسلم:" من أحيا أرضا مواتا فهي له، ومن أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها[1]". ومثل هذا النوع من الاراضي لم يوجد في جنوبي الشام بكثرة، حيث لم ترد اشارات دالة على ذلك.

هـ- **ارض الالجاء**: وهذا النوع من الاراضي ظهر نتيجة احساس الفلاحين، أو ذوي الاملاك البسيطة بعدم القدرة على حماية ممتلكاته، فيضطر الى نقلها باسم بعض ذوي القوة، والنفوذ احتماء بهم، وفرارا من ثقل الضرائب، والتعسف الذي كان يقوم به الجباة[2]، وأدى هذا الى تبديل في ملكيات الاراضي، فاصبح المالك الفعلي للارض هو المدافع عنها، والمالك الاصلي هو العامل فيها[3].

و- **اراضي الوقف**: وهذا النوع من الاراضي، يقوم اصحابها من اهل الخير، أو الفقهاء، او الحاكم برصد الارض وما تنتجه لغايات انفاقها على منشآت دينية، وانسانية،

(1) ابو يوسف، الخراج، ص٦١،٦٤،٦٥،١٠١،١٠٢. القرشي، الخراج، ص٨٤-٩٠. الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٢٢٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص٩٥. ابن عساكر، تهذيب، ج٢، ص٢٢٠. وانظر: فالح، الحياة الزراعية، ص٥٢-٥٥. المظفر، احياء ارض، ص٨٠-٨٣.

(2) مصطفى، شاكر، دولة بنى العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ت)،ج١، ص٥٨٧. ومبشارله فيمابعد: شاكر، دولة بني العباس، كلود، تاريخ العرب، ص١٢٨. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٥٢، (مادة لجأ). المظفر، احياء ارض، ص١٩٧-٢٠٠.

(3) قدامه، الخراج، ص٢٤١.

كالمدارس أو المساجد، أو رعاية الايتـــام، او للخدمـــات العامـــة[١]، والاوقـــاف علـــى نوعـين:

١- **الاوقاف الخاصة**: وهـــي الـــتي يوقفـــها الشـــخص مـــن أصحـــاب الامـــوال الاغنياء، او مجموعة من الناس من أجـــل اســـتخدامها في غـــرض معـــين، ولا تجـــوز إلا في ممتلكاتهم الخاصة بهـــم.

٢- **الاوقاف الرسمية**: وهي أن يقوم الخليفة بوقفها، مـــن أجـــل تحقيـــق مصلحـــة معينة للامة. والاوقاف بشكل عام لا يمكن بيعـــها، أو شـــرائها، ويقـــوم علـــى ادارة شؤونها مجموعة من رجال الدين، والقضـــاة والمحتســـب وخطيـــب الجـــامع والـــوالي للتأكد من عدم استغلالها، أو العبث فيها[٢]. ومـــن الاوقـــاف الـــتي عرفـــت لفـــترة طويلة من الزمن في جنوب الشام، وقـــف تميـــم الـــداري في بيـــت عينـــون، شمـــال مدينة الخليـــل[٣].

---

[١] الصابيء، ابو اسحاق ابراهيم، الرضى ابو القاسم علي بن الحسين، رسائل الصابي، والشريف الرضي. تحقيق: محمد يوسف نجم، وزارة الاعلام، الكويت، ط٢، (د.ت)،ص٢٨٦. وسيشارله فيمابعد: الصابيء، رسائل.

[٢] الماوردي، الاحكام، ص٢٣٥. مسكويه، ابو علي بن محمد، تجارب الامم، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٠، ج١، ص٢٩٥. وسيشارله فيمابعد: مسكويه، تجارب.

[٣] أقطع الرسول صلى الله عليه وسلم تميم الداري، منطقة في حبرون(الخليل)، تدعى بيت عينون، ومن ثم أصبحت وقفا لزوار المسجد الابراهيمي، المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧-١٤٨. ابن عساكر، تهذيب، ج٣، ص٨٠-٨٥. كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٥٢.

نظام استغلال الأرض الزراعية

للحصول على محاصيل زراعية وفيرة ذات نوعية جيده، وكميات كبيرة، لابد من استغلال الأرض بطرق صحيحة سليمة يصل الفلاح من خلالها إلى هدفه، وغايته المنشودة، وهذا ما دأب عليه الفلاحين سواء كانوا عربا مسلمين، أو أهل ذمة، منذ القدم ويبدو ذلك جليا من خلال الكتب الارشادية التي ألفت في مجال الزراعة في مختلف مجالاتها ومراحلها، وذلك للحصول على محصول سليم، باعتبار الارض مصدر ثروة مالية تدعم اقتصاد الفلاح، والدولة التي هي قوية طالما اقتصادها قوي.

فالتوجيهات النبوية الكريمة، وحضه للمسلمين للعناية بالمزروعات بكافة أنواعها، وعدم التعرض لها بالاذى سواء كانت في حالة سلم، أو حرب، فمن ذلك قوله:" ما من مؤمن يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير، أو بهيمة إلا كان له به صدقة[1]".

طرق استثمار زراعة الارض

استغلت الارض الزراعية في جنوب بلاد الشام - خلال فترة الدراسة- بعدة طرق، وذلك وفقا للمساحة المراد استثمارها، وهذه الطرق هي كالتالي:

---

[1] وانظر: خطبة الخليفة الراشدي، ابو بكر الصديق لقادة الفتوح بقوله:" لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، لا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا، ...، ولا تعقروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة ولا بعيرا". الطبري، تاريخ الرسل، ج٢، ص٢٢٦. ابن كثير، ابو الفداء، الحافظ الدمشقي(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دقق اصوله وحققه: احمد ابوملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٨، ج٣، ص٣٩. وسيشارله فيمابعد: ابن كثير، البداية والنهاية. وانظر: صبحي، نظم اسلامية، ص٣٧٩. كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص١٤٥-١٤٦.

١- طريقة الاستثمار الشخصي والاستثمار الجماعي: وهي الطريقة التي يقوم بها صاحب الارض بالزراعة والعناية بالمزروعات بشكل مباشر، وذلك عائد لصغر مساحة الارض، فيستغلها مالكها بمساعدة من أفراد عائلته، وبمعونة القليل من العمال، وذلك للتوفير في النفقات، والتشجيع على العمل وتحسين الارض[١].

أما إذا كانت مساحة الارض واسعة، وصاحب الارض من ذوي الحال الميسور، فإنه يقوم باستئجار العمال للقيام بأعمال الزراعة، مقابل أجر معين متفق عليه - يومي، اسبوعي- سنوي- أو بأجور عينية كحصة من المردود، أو الغلة، وأحيانا قد يكون ملاك الاراضي ممن يقطنون في المدن كالوزراء الذين يرسلون من ينوب عنهم للعناية بالارض، وزراعتها ويعرفون بالوكلاء[٢].

وقد يعمد مالك الارض الى تأجير ارضة سنويا مقابل مبلغ من المال[٣]. هذا وقد عرفت جنوب الشام طرقا أخرى في استغلال زراعة الارض، وضحها الفقه الاسلامي لتحدد طبيعة العلاقة التي تربط مالك الارض، باليد العاملة من الفلاحين لقاء أجر عيني من منتوج الارض وهي كالتالي:-

---

(١) الدواداري، ابوبكر بن عبدالله بن أيبك(ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: المنجد، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، (د.ت)؛ القاهرة، ١٩٦١، ص٢١٢. وسيشارله فيما بعد: الدواداري، الدرة المضيئة. السبع، محمد، أسس الزراعة ونظمها عند العرب، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب بعنوان" اسهامات في علم الملاحة"، مؤسسة الكويت، الكويت، ١٩٨٣، ص٩٤. وسيشارله فيمابعد: السبع، اسس الزراعة.

(٢) الصابيء، ابو الحسن الهلال بن المحسن، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢١٦. وسيشارله فيمابعد: الصابيء، الوزراء. وانظر: الدوري، العرب والارض، ص٣٤. السبع، أسس الزراعة، ص٩٤. فالح، الحياة الزراعية، ص٩٤.

(٣) السبع، اسس الزراعة، ص٩٤، فالح، الحياة الزراعية، ص٩٤.

أ- المزارعة: وهي طريقة في استغلال الارض تقوم على اساس أن يقدم المالك ارضه مع مايلزم الارض من بذار(أو جزء منه)، والحيوان، والمعدات اللازمة، في حين يقدم الفلاح جهده وعمله، وأحيانا جزءا من الآلات[1]، ويقسم الناتج بينهما بنسبة يعينها العقد او العرف كأن تكون الحصة إما النصف، أو الثلث، أو الربع[2].

وقد اختلف الفقهاء في جواز المزارعة أو النهي عنها، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم عمل بها وأصحابه من بعده، فعامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر مما أقر أن الثمر بيننا، وبينهم[3].

ب- المساقاة: وهي تختص بالاراضي المشجرة، حيث يقوم المالك بدفع الشجر لمن يعتني به، فيتعهده بالرعاية بسائر العمليات الزراعية، لقاء حصة معلومة من المحصول كالنصف، أو الثلث، أو الربع[4]. والاصل في المساقاة هو معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر، حيث ساقاهم على النصف من سوادها(الأرض الكثيفة الأشجار)، والنصف من بياضها(الأرض القليلة

---

(1) "المعجم الوسيط"، ابراهيم مصطفى، واحمد الزيات وآخرون، المكتبة العلمية، طهران،١٩٨٣، ج١، ص٣٩٣، (مادة زرع). وسيشارله فيمابعد: المعجم الوسيط، القاسمي، محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨، ج٢، ص٤٣٠. وسيشارله فيمابعد: القاسمي، قاموس صناعات.

(2) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، المطبعة الاميرية، (د.م)، ط٣، ١٣٠٠م، ج٣، ص٣٣، (مادة زرع)، وسيشارله فيمابعد: الفيروز آبادي، القاموس المحيط. النووي، محي الدين ابن شرف(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تهذيب الاسماء واللغات، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)، ق١، ج١، ص٨٧. وسيشارله فيمابعد: النووي، تهذيب الاسماء.

(3) ابو يوسف، الخراج، ص٥٠-٥١. القرشي، الخراج، السبكي، تقي الدين (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، الفتاوي الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب، بيروت، ج١، ص٤٠١. وسيشارله فيمابعد: السبكي، الفتاوي، ابو عبيد، الاموال، ص٦٦،١٠٨،١٠٩.

(4) المعجم الوسيط، ج١، ص٤٣٧، (مادة سقي). سابق، سيد، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٣٤٣. القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٢١٩، ٤٢٧. كلود، تاريخ العرب،ص١٢٨. الشهابي، مصطفى، تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، آذار، ١٩٢٧، مج٧، ص١٠٩. وسيشارله فيمابعد: الشهابي، تاريخ الزراعة.

الإنتاج)، مقابل تعهدهم بما يلزمهم من أعمال[1]، وقد حذا المسلمون حذوه فكانوا يعطون على الارض الثلث والربع[2].

ج- **المغارسة**: وهو نظام استثمار يختص بالارض الموات، وهي عقد بين طرفين، فمالك الارض البيضاء يدفعها الى من يقوم بغرس الارض بالاشجار، ويتعهدها بالرعاية، لقاء حصة معلومة من الارض، والشجر كالنصف او الثلث أو الربع، وذلك حسب الشروط الموقع عليها في وثيقة العقد[3]. وتختلف مدة الاتفاق بحسب عدد السنوات التي تحتاج اليها الاشجار لبدء انتاجها ولذلك يجب بيان جنس الغرس ونوعه-عنب، تين، نخيل- وذلك لاختلاف نوع الاشجار في وقت الاثمار. لان الاصل في عقد المغارسة في الزرع الدائم، أي في الغرس الذي يدوم زمنا طويلا فلا ينقطع خلال فترة قصيرة من وقت بدء الزراعة، وكذلك تحديد عدد الاشجار[4]. ويكون صاحب الارض في المغارسة هو صاحب النصيب الاكبر دائما في الحصة من الغرس[5].

---

[1] السبكي، فتاوي، ج١، ص٤١٥.

[2] ابن قدامه، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن احمد(ت٦٣٠هـ/١٢٣٠م)، المغني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص٤٥،٤٦. وسيشارله فيمابعد: ابن قدامه، المغني.

[3] الاجهوري، علي بن محمد(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، رسالة في المغارسة، ميكروفيلم عن مخطوطة مكتبة الكونجرس، المحفوظة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، تحت رقم ٤٦٤، ورقة ١. وسيشارله فيمابعد: الاجهوري، مغارسة. انظر: كلود، تاريخ العرب، ص١٢٦. حتي، تاريخ سورية، ج٢، ص٢٦٢.

[4] الاجهوري، المغارسة، ورقة ٢.

[5] السبع، اسس الزراعة، ص٩٦.

د- الضمان او التضمين: عرفت هذه الطريقة منذ العصر الاموي، ومازالت شائعة حتى الوقت الحاضر، فكان يحصل اتفاق بين صاحب البستان، وأي رجل لديه رأس مال معين يدفعه لقاء جني محاصيل الثمار أو غيرها دون القيام بأي عمل زراعي آخر[1]، وعملية الضمان لهذه الاشجار تتم منذ بداية عقد الثمار على الاشجار، وينتهي العقد بانتهاء موسم القطاف[2]، وهذا الاسلوب شائع بشكل كبير خاصة في موسم قطاف الزيتون. ولهذا الاسلوب مساوئ قد يتضرر منها صاحب رأس المال وتحصل له الخسارة وذلك لاسباب مناخية، أو بيئية طارئة، أو تدهور في الاسعار في ذلك الموسم[3]. كما قد يتضرر صاحب البستان اذا كانت طريقة جني الثمار غير صحيحة، فان ذلك يؤدي الى اصابة الاشجار اصابات بالغة في فروعها، وبراعمها، وأزهارها لموسم واحد، فيؤدي ذلك الى انخفاض في مستوى المحصول التالي بعد انتهاء مدة ضمان البستان[4].

هـ- التسليف: ومضمون الاتفاق هنا هو الثمار فقط، فصاحب المال يدفع الى صاحب الشجر أو الزرع، ثمن الثمار، ويكون الناتج من المحصول للطرف الاول عند جنيه، وهذه الطريقة يكون المكسب فيها لصاحب المال لأنه اشترى المحصول

---

(1) القاسمي، قاموس الصناعات، ج1، ص284، 285. السبع، اسس الزراعة، ص96. فالح، الحياة الزراعية، ص71.

(2) ابو البقاء، عبدالله بن محمد البدري الدمشقي، (ت887هـ/1482م)، نزهة الأنام في محاسن الشام، المكتبة العربية، بغداد، المطبعة السلفية، القاهرة، 1921، ص312. وسيشارله فيمابعد: البدري، نزهة الانام. الزيود، محمد احمد، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني، وحتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1992، ص106-107. وسيشارله فيمابعد: الزيود، حالة بلاد الشام. السبع، أسس الزراعة، ص97.

(3) السبع، أسس الزراعة، ص97.

(4) خير، صفوح، غوطة دمشق، دراسة في الجغرافية الزراعية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1966، ص342. وسيشارله فيمابعد: صفوح، غوطة.

بسعر زهيد لقاء حاجة مالك الارض للمال، قبل أوان موعد جني الثمر[١]، وهذه الطريقة تشبه ما عرف بالمخابرة، التي يقوم صاحب الارض بفلاحة ارضه فيبذرها ويشرف عليها، ثم يحصدها شخص آخر[٢]. فالتسليف يكون على ثمار الاشجار كالزيتون، والتين، أما المخابرة فتكون على الزروع، وقد تكون المخابرة بتأجير الارض لشخص يعمل بها في جهة معينة من الارض لصاحب الارض، وفي الجهة الاخرى للعامل[٣].

الاساليب الزراعية

اتبع الفلاحون الكثير من الطرق الزراعية التي توارثوها عن اجدادهم عبر الزمن، وهذه الطرق والاساليب الزراعية التي كانت تستعمل فيماسبق، مازال بعضها مستخدما حتى وقتنا الحالي. ومن هذه الاساليب الزراعية، طريقة التبوير للارض، أو استخدام نظام الحقلين او المناوبة.

وهذا الاسلوب في الزراعة متبع منذ العصر الروماني، وسار الفلاح على نفس المنهج في الزراعة وهو ما عرف بنظام الحقلين. وهو الاكثر شيوعا. ويقوم على اساس ان يقسم الفلاح أرضه الى قسمين، ويزرع قسما من أرضه سنة، ويريح القسم الآخر، وفي السنة التالية يعمل العكس[٤]. وقد أشار النويري الى هذه الطريقة بقوله:" فإن عادتهم بسائر

---

(١) فالح، الحياة الزراعية، ص٧١.

(٢) النووي، تهذيب، ق١، ج٢، ص٨٧.

(٣) الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، دار الاحياء الثقافي، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٣. وسيشارله فيمابعد: الخوارزمي، مفاتيح.

(٤) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٦-٥٧. علي، سعيد اسماعيل، النبات والفلاحة والري عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٣، ص٢٤٧-٢٤٨. وسيشارله فيمابعد: اسماعيل، النبات والفلاحة.

بلاد الشام أن كل فلاح يقسم الاراضي التي بيده شطرين فيزرع شطرا، ويريح الشطر الذي كان به الزرع هذا دأبهم[1]". والغاية من اتباع هذا الاسلوب في الزراعة هو اراحة الارض، وعدم اجهادها، لتحسين المنتوج والحصول على الافضل في الانتاج الزراعي.

وللتربة دور كبير في نوعية الزراعة ومن هنا اهتم الفلاح بأنواع التربة، وخصائصها، وذلك من خلال علماء الفلاحة وماكتبوه عن شؤون الزراعة المختلفة، فمن الطرق التي اتبعوها لفحص التربة ان كانت صالحة للزراعة أم لا طريقة الشم، والذوق، وذلك بحفر حفرة في الارض عمق ذراعين، فتؤخذ عينة من التراب، وتوضع في إناء زجاجي، ويوضع عليها ماء عذب، ثم يترك حتى يصفو، ويذوقوه ويشمونه، فان كان الماء منتن الرائحة فالارض رديئة، وان كان طيب الطعم فالارض جيدة للزراعة[2] (وعلى قدر الذوق والطعم تعرف الارض). كما ان الارض الجيدة لا تظهر فيها تشققات اذا اشتد الحر، ولا يمكث الماء فيها لانها تنشف سريعا[3]، واعتبرت التربة السوداء افضل انواع الترب، وذلك لامتصاصها للمياه، واحتفاظها بنسبة عالية من الرطوبة، ولها قدرة على تحمل

---

(1) النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالله(ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م). نهاية الارب في فنون الادب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ج٨، ص٢٥٦. وسيشارله فيمابعد: النويري، نهاية الارب.

(2) ابن حجاج الاشبيلي، احمد بن محمد (من اعيان القرن ٥هـ/١١م)، المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار وجاسر ابوصفية، تدقيق واشراف: عبدالعزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٢، ص٦. وسيشارله فيمابعد: ابن حجاج، المقنع. قسطوس، ابن لوقا الرومي، الفلاحة اليونانية، ترجمة: سرجس ابن هليا الرومي، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص٢١. وسيشارله فيمابعد: قسطوس، الفلاحة. لمعرفة انواع التربة واماكن توزعها الجغرافي في بلاد الشام(ومنها جنوب الشام) انظر: الشهابي، مصطفى، الزراعة العملية الحديثة، مطبعة الحكومة، دمشق، ١٩٢٢، ص٥٢-٥٧. وسيشارله: الشهابي، الزراعة العملية.

(3) ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه، خوسي ماريه ميلس بييكروساد ومحمد عزيمات، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥، ص٤١،٥٥. وسيشارله فيمابعد: ابن بصال، الفلاحة. ابن حجاج، المقنع، ص٦.

شدة الحر، وهي لا تحتاج الى كثير من الجهد في الحراثة، لان تربتها مفككة، ولا تحتاج الى كميات كبيرة من السماد إلا في فصل الشتاء، وذلك لاعتدال رطوبته، وهذه التربة تصلح لزراعة جميع النباتات ماعدا نبات الكرمة[١]. والتربة الحمراء تجود فيها من الشجر، التفاح، والاجاص، وعيون البقر، واللوز، والورد، ومن خصائص هذه التربة انما تحتاج الى جهد وعناية، ولكنها لا تحتاج الى الزبل من اجل حراثتها[٢]، ومن انواع الاراضي الزراعية الارض البيضاء - الارض الجبلية- وهي أقرب الى اليباس وتنمو فيها اشجار التين والكروم، والزيتون، ولا تحتاج الى الماء الكثير، انما الى الخدمة والسماد[٣].

أما التربة الصفراء، وهي اقرب الى الارض البيضاء، في الطبع والجوهر، فلا يصلح فيها من الثمار إلا ما كان له جذر يخترقها وينفذها، مثل اشجار الخروب، والزعرور، والبلوط، والجوز، والنخيل وغيرها من الاشجار ذوات الجذور القوية، إلا أن هذه التربة تحتاج الى جهد كبير، وتعب وسماد لتجود الاشجار وتثمر[٤]. واشتهرت بعض مناطق جنوب الشام بالارض الرملية - كمدينة الرملة-، وتجود في هذه التربة المقاثي، والكتان،

---

[١] مجهول(من اعيان القرن ٨هـ/١٤م)، مفتاح الراحة لاهل الفلاحة، تحقيق: محمد صالحية، و احسان العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٨٤، ص١. وسيشارله فيمابعد: مجهول، مفتاح الراحة. ابن حجاج، الفلاحة، ص٦.

[٢] ابن حجاج، المقنع، ص٦. ابن بصال، الفلاحة، ص٧٤٧. (عيون البقر: عنب اسود ليس بالحالك عظام الحب مدحرج يعمل منه الزبيب، وليس بصادق الحلاوة، وعيون البقر بفلسطين يطلق على ضرب من الاجاص. معجم اسماء النباتات الواردة في تاج العروس، جمع وتحقيق: محمود مصطفى الدمياطي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٥، ص١١١. وسيشارله فيمابعد: الدمياطي، معجم اسماء النباتات. كرد علي، ج٤، ص١٧٢).

[٣] مجهول، مفتاح الراحة، ص١١٠. ابن بصال، الفلاحة، ص٤٢، ٤٣، ٤٦.

[٤] ابن بصال، الفلاحة، ص٤٦.

ومن الاشجار: السرو، والنخيل والصنوبر، وهذه التربة لا تحتمل الماء كغيرها من الاراضي لان القليل من الماء يكفيها، ويتغلغل الى اعماقها بسرعة[1]. ولم يكتف علماء الفلاحة باعطاء النصائح لاختيار نوعية التربة لتتوافق من نوع المنتوج الزراعي المراد، انما في كيفية اختيار البذار، او الغراس المراد زراعتها، فالبذور يجب ان تتصف بالجودة بالشكل الصحيح. وافضلها ما زرع منها ابن عام أو عامين، وما تجاوز ذلك فلا خير فيه، واما الغراس فيختار منها ماكان طريا في اول نموه، وان يكون يابس الورق ليعطي ثمارا جيدة[2]. واعتبر افضل الاوقات لسقاية المزروعات هو وقت الصباح الباكر، او بعد غروب الشمس وذلك كي لا تتبخر المياه بشكل سريع فلا يستفيد النبات منه شيئا. مع معرفة المقدار الواجب لحياة النبته. وتغرس الاشجار في بلاد الشام، – ومنها منطقة الجنوب– وفق نسق وترتيب معين حيث تجعل صفوفا بشكل مستقيم، فهي بذلك كسطور الكتابة مرتبة[3]، حيث يترك فراغات بين الاشجار، وهذه الطريقة اكثر ما تستخدم في زراعة اشجار الزيتون بحيث تكون المسافة بين الشجرة والاخرى مسافة عشرين ذراعا[4]. والهدف من ذلك السماح للرياح بالدخول والخروج بدون عوائق ولذلك أيضا فائدة في تسهيل عملية الحرث والنكش للحقل.

---

(1) ابن بصال، الفلاحة، ص٤٤. مجهول، مفتاح الراحة، ص١٠٩.

(2) ابن حجاج، المقنع، ص١١.

(3) ابن وحشية، ابو بكر احمد ابن علي بن قيس الكداني(من اعيان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي))، الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٥، ج١، ص٢٣٠. وسيشارله فيمابعد: ابن وحشية، الفلاحة النبطية.

(4) ابن بصال، الفلاحة، ص٦. النابلسي، عبدالغني القادري،(ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م))، علم الملاحة في علم الفلاحة، منشورات دار الآفاق، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ص٢٥،١٠٠. وسيشارله فيمابعد: النابلسي، علم الملاحة.

ولاهتمام الفلاح بالحصول على منتوج وافر، ونوعية جيدة اهتم بتسميد الارض للحصول على تربة خصبة، وافضل السماد هو مخلفات الانسان، وروث الحيوان[1]، وافضل طريقة لتسميد الارض هي: القيام بالتجوير حول جذور الاشجار، ثم وضع السماد حول الجذور ثم تتم السقاية[2]، وافضل انواع السماد(الزبول)، ما مر عليها فترة طويلة تتراوح مابين سنة واربع سنوات[3]، ويجب ان تكون كمية السماد متوافقه مع نوعية النبات كي لا تتلف، وتفسد الارض[4]. وللاسمدة دور كبير في استصلاح الاراضي من اجل الزراعة، وذلك باضافتها الى التربة حتى تصبح صالحة للزراعة[5]. كما ينصح بعدم ترك بعض الاراضي بدون زراعة في فصل الصيف، وذلك لأنها ستكون عرضة لعوامل التعرية[6]. وللماء الأهمية الكبرى في حياة المزروعات، فافضل المياه هي: مياه الامطار، إلا أن الفلاح يحتاج الى مصدر مياه اضافي فحاول استخراج المياه من باطن الارض بحفر الابار، وللاستدلال على وجود المياه، علامات تدل على ذلك[7]، منها وجود بعض النباتات في

---

(1) أفرد ابن وحشية بابا في ذكر عمل الازبال التي تصلح بها الارض، والمنابت. (ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٣٦١-٣٧٧. قسطوس، الفلاحة، ص٢١.

(2) ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ج١، ص٣٦٥. ابن العوام، الفلاحة، ص٦٦، ٦٨.

(3) ابن حجاج، المقنع، ص١٠.

(4) النابلسي، علم الملاحة، ص٤٥.

(5) ابن بصال، الفلاحة، ٤٢٣.

(6) واطسون، اندريو، الابداع الزراعي في بدايات العالم الاسلامي، ترجمة: احمد الاشتر، جامعة حلب، حلب، ١٩٨٥، ص٢٧٤-٢٧٥. وسيشارله فيمابعد: واطسون، الابداع الزراعي.

(7) عرف العلم الذي يستدل به على وجوده للمياه هو علم الريافة، الذي يقوم على معرفة كيفية استنباط المياه من الارض، بواسطة الامارات الدالة على وجوده. (حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، ج١، ص٩٣٩. وسيشارله فيمابعد: حاجي خليفة، كشف الظنون. صالحيه، محمد عيسى، علم الريافة عند العرب، الجمعية الكويتية، الكويت ١٩٨٢، ص٧. وسيشارله فيمابعد: صالحية، علم الريافة

الارض، وهي: الحلفـــاء، والعليـــق، والبطـــم، والســـعدى، والـــبردي، والخمـــاض، والعوســـج، ولسان الثور، والبرشياوش، وهو المعروف بكزبرة المـــاء، والبـــابونج واكليـــل الملـــوك. فحيثمـــا وجدت هذه النباتات مجتمعة كلها او بعضها، بشكل دائم، وخضره، وملتفـــه فـــهو دليـــل علـــى وجود المياه بكثرة في باطن الارض[1]. وكما اســـتدل الفـــلاح علـــى وجـــود الميـــاه في بـــاطن الارض، استدل على سقوط الامطار بعدة طرق منـــها: لمعـــان الـــبرق مـــن جهـــة الجنـــوب، او الشمال ويسمى خلبا، واذا رأوا البرق متألقا استبشـــروا خـــيرا [2].

---

[1] ابن حجاج، المقنع، ص٧. الكرخي، ابو بكر محمد بن الحسن الحاسب(ت في القرن ٦هـ/١٣م)، كتاب انباط المياه الخفية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٤٠، ص١٤. وسيشارله فيمابعد: الكرخي، انباط المياه. صالحية، علم الريافة، ص٧.
الحلفاء: نبت من الاغلاس، وهو ينبت قرب الماء او في بطن وادي، وهي حلبة المسك لا يكاد احد يقبض عليها مخافة ان تقطع يده، وقد يأكل منها الابل والغنم أكلا قليلا، وهي احب الى البقر. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص٤٤).
العليق: نبت يتعلق بالشجر، ويقال له بالفارسية سرند، وهو من شجر الشوك لا يعظم، واذا نشب فيه الشيء لم يكد يتخلص منه كثر شوكه، وله ثمر شبيه بالفرصاد منابتها الغياض والاشب. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص١٠٧)
البطم: وهو شجر ينبت في مغابض المياه، وثمرها لونه اخضر الى لون محمر وهو قريب الشبه من الغر. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص٢٠-٢١)
السعدي: من العروق الطيبة الريح، وهي ارومة مدحرجة سوداء صلبة كانها عقدة تقع في العصر، والادوية.(الدمياطي، اسماء النباتات، ص٧٢)
البردي: هو نبت يشبه القصب، واكثر منبته الماء (آل ياسين، محمد حسن، معجم النبات والزراعة، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٩، ج٢، ص٢٤٨. وسيشار له فيمابعد: آل ياسين، معجم الزراعة)
الخماض: بقلة برية تنبت في مسايل الماء، ولها ثمرة حمراء، وهي من ذكور البقول.(الدمياطي، اسماء النباتات، ص٤٥)
العوسج: شجرة من الشوك، وله ثمر احمر مدور كانه فرز العقيق.(الدمياطي، اسماء النباتات، ص١٠٩)
لسان الثور: كزنار عشبة منفرش من الجنبة لها ورق منفرش خشن كانه المساحي يسمو من وسطها قضيب كالذراع طولا في رأسه نورة كحلاء. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص١٣٨،١٣٩)
كزبرة البئر: وهو نبات الجلجان، وهي من الابازير. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص١٣٤)
البابونج: وهو نبت طيب الريح حواليه ورق ابيض، وسطه اصفر. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص١٣،١٧)
اكليل الملك او الملوك: نباتان احدهما ورقة كورق الحلبة، ورائحته كورق التين، ونواره اصفر في طرف كل غصن منه اكليل كنصف دائرة فيه بذر كالحبة شكلا، ولونه اصفر، وهي المعروفة باقداح زبيدة، وثانيهما ورقة كورق الحمص، وهي قضبان كثيرة تنبسط على الارض، وزهره اصفر وابيض، في كل غصن اكاليل صغار مدورة. (الدمياطي، اسماء النباتات، ص٢٤)

[2] الخلب: السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره، ثم يخلف وينقشع، ويقال: برق خلب. المعجم الوسيط، ج١، ص٢٤٨. (مادة خلب).

وكذلك القيام بملاحظة الشمس عند شروقها، فـــان كـــانت اشـــعتها نقيـــة لا يغطيـــها شيء من بخار، او قتام دل ذلك على ان الجـــو صـــافي، واذا خـــلا الجـــو مـــن الســـحاب قبـــل غروب الشمس، او قبيل غيابها دل على تأخر ميـــاه الامطـــار[1]. وبعـــد الانتـــهاء مـــن تحضـــير الارض وزراعتها، يقوم الفلاح بعزق الارض، ويكون ذلك بـــالتخلص مـــن النباتـــات الضـــارة، التي تنمو حول النبات او الشجر الذي زرع، ويكون ذلك في فصل الربيـــع عنـــد بـــروز النبـــات من الارض، وعقد الثمار على الاشجار، واكـــثر مـــن يحتـــاج الى العـــزق اصحـــاب الكـــروم، وذلك لابقاء الارض رخوة للسماح للجـــذور بـــالتغلغل في الارض[2].

ويعتبر وقت السحر الى أول ســـاعة في النـــهار، وآخـــر النـــهار أفضـــل أوقـــات جمـــع المحصول، أو قطف الثمار، وذلك ليبقى غضا طريا فيه نوع مـــن الرطوبـــة ليكـــون المحصـــول ذو نوعية جيدة[3]، خاصة عند حصاد القمح وذلك كي لا تتساقط حبـــات القمـــح عـــن الســـنابل وتسهل عملية جمعه[4]. ويكون قطـــف الثمـــار وخاصـــة الزيتـــون باهتمـــام لكـــي لا يـــؤذي الأغصان فيقل كمية الانتاج في السنوات القادمة، ومن الطرق الـــتي شـــاعت في جنـــوب الشـــام لقطـــف الزيتـــون هـــو ضـــرب الاغصـــان بالعصـــا، ولكـــن هـــذه الطريقـــة أخـــذت

---

(1) الكاتب، عريب بن سعيد ابو الحسن، الانواء، طبعة ليدن، بريل، ١٩٦١، ص٩،١١. وسيشارله فيمابعد: عريب، الانواء.

(2) القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٣٩.

(3) ابن حجاج، المقنع، ص١٥. النابلسي، علم الملاحة، ص١١٠.

(4) النابلسي، علم الملاحة، ص١١٠.

بالتلاشي تدريجيا عندما عرفت مضارها فاتبعوا طريقة القطف باليد[1]، وأخذت هذه الطريقة بالانتشار رغم بطئها ولكن لها نتائج جيدة في المستقبل على الاشجار، والثمار[2]، ولذلك استخدموا السلالم في قطف الثمار في الاشجار العالية وفي موسم الزيتون تظهر في المنطقة مهنة الفراط[3].

أما في مجال مكافحة الآفات، والحشرات، استخدم الفلاح في جنوب الشام، مادة الحمر، والتي يلقيها البحر الميت، وذلك بطلاء هذه المادة على جذوع الاشجار، لمنع الدود من الصعود الى الشجر[4]-وهي الآن تسمى بالتكليس-، وقام فلاحو المنطقة بتلقيح كرومهم ببراعة، واتقان، فابن حوقل يذكر:" ان اهل زغر بفلسطين يلقحون كرومهم، وكروم فلسطين كما يلقح النخل بالطلع"[5]. ولان الزراعة تحتاج الى جهد، وتعب فانه من الافضل اختيار العمال من الشباب لانهم اصح بدنا، ولهم قدرة على التحمل في العمل في

---

[1] قسطوس، الفلاحة، ص١٠٢. النابلسي، علم الملاحة، ص٨٢.
(ذكر عن هشام بن عبدالملك الخليفة الاموي انه وقف يوما قريبا من حائط له فيه زيتون فسمع نفض الزيتون بالعصا فقال لرحل: انطلق اليهم فقل لهم التقطوه لقطا، ولا تنفضوه نفضا فتفتأ عيونه وتتكسر غصونه. الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٣٠٦)

[2] القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٣٣٨.

[3] القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٣٣٨.

[4] الاصطخري، مسالك وممالك، ص٤٧. الاقاليم، ص٣٥. ويذكر المسعودي:" ان المناحل تطلى بهذه المادة (الحمر) ويكسح به الكروم ليؤمن من الدود عليها". (المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت(٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والاشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨١، ص٦٥. وسيشارله فيمابعد: المسعودي، التنبيه).
والحمر نوعان: احدهما يوجد على السواحل عندما يقذفه البحر، والآخر - يحتفر عليه ويستخرج من تلك الاراضي بقرب الساحل. ويصفونه بما اختلط به من الحصى والتراب، بالماء الحار والنار، كما يصفون الشمع من العسل، وهذا يكون مطفي اللون، كمدا، وأما الذي تقذفه البحيرة، يكون في الشتاء عند هيجان البحر، فهو بصاص وغير مطفى اللون، وفي رائحته شبه النفط. والمحتفر عليه أجود من الطافي. (المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٦٥-٦٦. وانظر: الخالدي ، ريف فلسطين، ص٥٠-٥١.

[5] الاصطخري، مسالك وممالك، ص١٥٢.

الحر والبرد، وغير ذلك من الامور الاخلاقية التي يجب توافرهـــا في العمـــال مـــن ديـــن، وامانـــة، وصلاح حـــال[١].

واتبع الفلاح في زراعته الجدول الزمني او ما عرف بـــالتقويم الزراعـــي. حيـــث ان لكـــل منتج زراعي فصل معين لزراعته، وزمن معين لنضوجه وقطفـــه، وكـــان لكـــل منطقـــة جـــدول زمني تتبعه يتلاءم مع طبيعة المناخ، والظروف الطبيعيـــة الملائمـــة[٢].

الأدوات الزراعية

يحتاج المـــزارع الى الآلات، والادوات الـــتي تســـاعده في عمليـــات تنظيـــم، وحـــرث الارض وبذرها، فهناك العديد من الادوات الـــتي ســـاعدت الفـــلاح في العنايـــة بـــالارض منـــذ تهيئة الارض للزراعة، الى مابعد جني المحصول، وأغلب هـــذه الادوات الـــتي كـــانت متداولـــة في الاستعمال في ذلك الوقت ما تزال مستخدمة في وقتنا الحاضر، مـــع ادخـــال بعـــض التحســـينات اليها. ومن هذه الادوات واهمـــها:

المحراث الخشبي: وهو محراث بســـيط لـــه ســـكة ذات رأس مدبـــب مـــن الحديـــد أو الخشب، وبسبب خفته فان السكة، لا تتعمـــق في الارض كثـــيرا اضافـــة الى قصـــر الســـكة ولا يزيد عمق الحراثة في هذا المحراث الى أكثر مـــن ٨-١٠ســـم[١].

---

(١) ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، ص٤٦.

(٢) آشتور، آي، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالهادي عبله، مراجعة: احمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥، ص٦٣. وسيشارله فيمابعد: آشتور، تاريخ اقتصادي. نبيه، موسوعة فلسطينية، ق٢، ج٢، ص٣١٧. وانظر: الجدول الزمنية لزراعة المحاصيل المختلفة عند: فالح حياة زراعية، ص٩٠-١٠٥. ومكاحله، نهى، الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الاداب، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٩٥، ص١٢٧-١٦٤. وسيشارله فيمابعد: مكاحله، الزراعة في العصر المملوكي. ريسلر، جاك. الحضارة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٣، ص١١٨. وسيشارله فيمابعد: جاك، حضارة.

ويجر هذا المحراث عادة زوج من الثيران يطلق عليه في بلاد الشام اسم الفدان[٢]، واستخدمت كذلك البغال، والجمال الى جانب الابقار في جر المحراث[٣]، كما استخدمت الحمير والثيران في حراثة الارض[٤]، وكذلك الجواميس[٥]. في حين استخدمت الإبل في منطقة بئر السبع لجر المحراث بدلا من الثيران[٦]. وأصل المحراث الخشبي يعود الى المحراث الروماني القديم الذي يتكون من خشبة معقوفة من احد طرفيها، ويشكل الطرف المعقود سكة المحراث، وفي الطرف الآخر الطويل للخشبة يشد الحبل الذي يربط بالدابة، وعلى الطرف المعقود عمود خشبي آخر وفي أعلاه خشبة صغيرة وهي اليد التي يرتكز عليها الحراث ضاغطا على المحراث ليغرز السكة في التراب[٧].

المحراث البلدي: وهو متطور عن المحراث الخشبي، إلا أنه يتكون من الخشب أيضا، والسكة هي أهم أجزاء هذا المحراث، وهي مركبة من عدة مفردات فأما طرفها الذي يحرث الارض فهو حديدة تسمى نصلا، طولها ذراع، حادة من الاسفل يزداد عرضها كلما

---

(١) قسطوس، الفلاحة، ص٢٢. آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٦٣.

(٢) ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل(ت٤٥٨هـ/١٠٦٥)، كتاب المخصص، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق، بيروت(د.ت)، ج٩، ص١٥٢. وسيشارله فيمابعد: ابن سيده، المخصص، البيشاوي، سعيد، نابلس والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال الحروب الصليبية، (د.ن)، عمان، ١٩٩٠، ص٢١٤. وسيشارله فيمابعد: البيشاوي، نابلس.

(٣) السبع، أسس الزراعة، ص١٠٣. البيشاوي، نابلس، ص١٢٤. الشهابي، الزراعة العملية، ص٢٠٤.

(٤) زيادة، نقولا، رواد المشرق العربي في العصور الوسطى، هدية المقتطف، ١٩٤٣، ص١٦٢. وسيشارله فيمابعد: نقولا، رواد المشرق.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥. متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥، ص١٥٢. وسيشارله فيمابعد: متز، حضارة.

(٦) العارف، عارف، تاريخ بئر السبع وقبائلها، مطبعة بيت المقدس، القدس، ١٩٣٤، ص٩٣. وسيشارله فيمابعد: العارف، تاريخ بئر السبع.

(٧) ابن سيدة، المخصص، ج٩، ص١٥٣.

ارتفعت، وهي ذات جناحين، وتدخل هذه السكة بطرف خشبي يعـــرف بـــالذكر الـــذي تكـــون في اعلاه الكابوسة، وهي التي ترتكز عليها يد العـــامل أثنـــاء الحراثـــة، وتقـــع الســـكة في نقطـــة تلاقي الذكر مع الحنية، وهي عبارة عن خشبة محنية في وسطها، وتبـــدأ مـــن الســـكة ممتـــدة مـــن الامام، وفي طرفها الامامي ترتبط الوصلة. وهي عمود خشبي يمتـــد الى الامـــام حيـــث يثبـــت في طرفها الميزان الذي يتكون من خشبة تثبت على الوصلة عرضيا في طرفيـــها ثقبـــان يربـــط بكـــل منهما حبل، ويلتقي الحبلان على طرفي النير، وهو الذي يوضـــع علـــى عنقـــي الثوريـــن اللذيـــن يجران المحراث[1]. ومن الادوات التي ساعدت الفلاح علـــى الحراثـــة الفـــأس ذو الـــرأس الحـــاد عوضا عن المحراث[2]، خاصة في المناطق الجبليـــة الوعـــرة الـــتي لا تســـتطيع الـــدواب الوصـــول اليها، ولذلك استخدمه الفلاح في منطقة بيت المقـــدس[3]، كمـــا اســـتخدم الفـــأس في النكـــش حول النباتات المزروعة، والاشجار المثمـــرة.

ومن الادوات الزراعية التي عرفت منذ القدم المنجل، وهـــو مـــن اقـــدم ادوات الحصـــاد المعروفة وهو يتألف من نصل حديدي ذو شكل مقوس له اســـنان، ولـــه يـــد خشـــبية ملســـاء، وهو يساعد على حصاد القمح والشعير، وغيره من الزروع القصيرة، ولكـــن لـــه مســـاوئ بأنـــه

---

(1) ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، الانواء في مواسم العرب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٦، ص٩٠. وسيشارله فيمابعد: الدينوري، الانواء. النيسابوري، احمد بن محمد ابن ابي الفضل(ت٥٣١هـ/١١٣٥م)، السامي في الاسامي، نشره محمد هنداوي(د.م)،١٩٦٧، ص١٥٦. وسيشارله فيمابعد: النيسابوري، السامي. الجواليقي، ابو منصور موهوب بن احمد(٥٤٠هـ/١١٤٥م)، المعرب في الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١، ص٣٤١. وسيشارله فيمابعد: الجواليقي، المعرب. الشهابي، الزراعة العملية، ص٢٠٧. خياط، جعفر، مبادئ الزراعة العامة، (د.ن)، بغداد، ١٩٣٣، ص١٣٤. وسيشارله فيمابعد: خياط، مبادئ الزراعة.

(2) ابن سيدة، المخصص، ج١، ص٢٥. علي، محمد عادل، الزراعة في التاريخ في العصور القديمة، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، بغداد، ٩٩٩، ص١٨٥. وسيشارله فيمابعد: محمد عادل، الزراعة. خياط، مبادئ الزراعة، ص١٣٦.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٦٨.

متعب، وبطيء، في العمل[١]، كما كان يستخدم في قطع غصون الاشجار الطرية زيادة على المنشار الذي يستعمل اساسا في قطع غصون الاشجار الزائدة، أو اليابسة[٢]. والمنشار حديدة طويلة، طولها حوالي نصف متر تقريبا، ومسننة بأسنان حادة ولها مقبض خشبي[٣].

وعرفت المجرفة كذلك منذ القدم، ومازالت تستعمل الى يومنا هذا، وتعرف باسم الطورية وهي عبارة عن قطعة من الحديد عريضة، تستعمل لقلب التراب بدلا من المحراث، وتستخدم ايضا في تنظيف القنوات، والمصارف من الاعشاب، والنباتات الضارة[٤].

أما أداة المر فاستعمالها شبيه باستعمال المجرفة، في قلب التراب والحراثة في بعض الاحيان، الا أن من عيوبه انه بطيء في العمل، يصلح للمساحات الصغيرة في المشاتل مثلا[٥]. وهو عبارة عن قطعة حديدية مثلثة الشكل واحد رؤوسها يتجه الى الاسفل، ويعلوها قضيب خشبي صغير يستند عليه القدم، ويقدر طول الساعد بمترين ويستخدمه الفلاح كذلك في حفر فتحات جوانب السواقي[٦]، ومن أجل فتح وإغلاق المواصي[٧].

---

(١) القرشي، الخراج، ص١٢٦. النابلسي، عبدالغني، بن اسماعيل(ت١١٤٣هـ/١٧٧٠م)، تعطير الانام في تعبير المنام، النسخة الاميرية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦٤، ج٢، ص٢٤٩. وسيشارله فيمابعد: النابلسي، تعطير الانام، وانظر: الشهابي، الزراعة العملية، ص١٥٠. عادل، الزراعة ، ص١٨٧.

(٢) قسطوس، الملاحة، ص٤٢.

(٣) فالخ، الحياة الزراعية، ص٨٥.

(٤) النيسابوري، السامي، ص١٤٥. النابلسي، تعطير الانام، ج٢، ص٢٤٩.

(٥) القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٣٠٩. فالخ، الحياة الزراعية، ص٧٩. السبع، اسس الزراعة، ص١٠٤. الشهابي، الزراعة العملية، ص٩٥-٩٦.

(٦) القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٣٠٩.

(٧) المواصي: مفردها ماصية وهي مأخذ على قناة أكثر أهمية من السبيل، ولكن توريد الماء منها متقطع تسمي أيضا باب(الرفاعي، محمود فيصل، دور العرب المسلمين في تقدم علوم المياه والري، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، ١٩٨٣، (د.ن)، الكويت، ١٩٨٨، ص٢١٩. وسيشارله فيمابعد: الرفاعي، علوم المياه.

ولتسوية التربة استخدم الفلاح **الجاروف** وهي تشبه الى حد كبير المسحاة، وهي تتكون من قطعة حديدة مستطيلة تثبت في وسطها عصا خشبية مزودة بمقبض خشبي في قسمها العلوي، وفي طرفي القطعة الحديدية حلقتان يربط بهما حبل، ويعمل بها رجلان وجها لوجه حيث يغرس، احدهما قطعة الحديد في التربة، ويتحكم بواسطة المقبض الخشبي العلوي، ويشد الآخر الحبل فيجرف التربة[١].

أما **الشوافة**، وهي أداة تشبه الجاروف، والمسحاة، وهي تتألف من قطعة خشبية اسطوانية الشكل طولها من ٢-٣م، وقطرها من ٢٠-٣٠سم، وهي تجر بواسطة ثور او حصان بواسطة حبلين مثبتين بطرفي الشوافة، وهي تزحف زحفا ولا تدور. وعند زحفها تكسر الكدر اثناء مرورها، واذا كان كبير الحجم فهي تعمل على دفعة أولا ثم تثبت من فوقه، وقد يركب الفلاح فوق هذه الشوافة احيانا، ويقوم بتوجيهها ليحصل على نتائج أفضل[٢].

ولمغرس الاشتال استخدم الفلاح **الوتد** وهو عبارة عن قضيب من الخشب معتدل السمك طوله حوالي نصف المتر مدبب من احد طرفيه ليسهل انغرازه في التربة[٣].

---

(١) صفوح، غوطة، ص٣٥٢.

(٢) صفوح، غوطة، ص٣٥٠. السبع، اسس الزراعة، ص١٠٥. الشهابي، الزراعة العملية، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) فالح، الحياة الزراعية، ص٨٩.

ولدراسة القمح والشعير استخدم **النورج**، وهو لوح من الخشب، طوله متر ونصف وعرضه ٨٠-١٠٠سم، وعلى سطحه السفلي تثبت قطع من الحجر البازلتي، يجره الدواب، ويقف الفلاح على اللوح لقيادة الدواب، التي تعدو فوق الحصاد الملقى على البيدر في شكل دائرة[١]. ومن ثم يتم تجميع هذه السنابل على شكل أكوام، لتأتي بعد ذلك استخدام **المذراة**. وهي عبارة عن عصا طويلة غليظة طولها نحو متر ونصف، وفي طرفها قطعة تشبه راحة الكف ذات اربعة أصابع حديدية، او خشبية رقيقة، وتكون منفرجة عن بعضها البعض في نهايتها، وتستعمل هذه المذراة لفصل السنابل عن الحبات بعد درسها تحت الشوافة[٢].

واستخدم **الغربال** من اجل تصفية الحبوب من الاوساخ والتراب، وللغربال ثقوب تكون إما صغيرة او كبيرة تبعا لحجم الحبوب المراد غربلتها[٣]. ولنقل الحصاد على الدواب استخدم الفلاح **الخرج** وهو مصنوع من الخيش أو الجلد أو القش، ويضعه الفلاح على الدابة لنقل حاجياته[٤].

---

(١) صفوح، غوطة، ص٣٥٠. الشهابي، تاريخ الزراعة، ج٣، مج٧، ص١٠٨. الشهابي، الزراعة العملية، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) فالح، الحياة الزراعية، ص٨١. صفوح، غوطة، ص٣٥١.

(٣) القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٣٢٧. السبع، اسس الزراعة، ص١٠٦. الشهابي، الزراعة العملية، ص١٥٩.

(٤) حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٣٢٨.

نظام الري، أدواته ووسائله

تعددت مصادر المياه اللازمة لري الاراضي الزراعيــة في منطقــة جنــوب بــلاد الشــام، وهي كالتــالي:

أ- **مياه الامطار**: تخضع منطقة جنوب بلاد الشام لمنـــاخ البحــر المتوســط، الــذي هو ماطر شتاء حار صيفا، فاعتمدت المنطقة بالدرجــة الاولى علــى ميــاه الامطــار، ففلسطين ماؤها من الامطار، واشـــجارها وزروعــها أعــذاء إلا نــابلس فمياهــها متوفرة بكثرة[1]، فأغزر مياه الامطار تتساقط على الســـاحل، والمرتفعــات الغربيــة، وتقل كمية التساقط كلما اتجهنا نحــو الشــرق باتجــاه الباديــة[2]. ولأهميــة ميــاه الامطار يقوم الأهالي في جنوب الشام بتخزينها في صــــهاريج، وأحــواض للانتفــاع بها وقت الحاجــة[1].

ب- **الأنهار**: وجد في جنوبي الشــام العديــد مــن الانهــار الــتي ســاهمت في ري الاراضي الزراعية، ويعتبر نهــر الاردن مــن أهــم هــذه الانهــار وأصلحــها في ري الاراضي على ضفتيه طوال السنة، بفضل ذوبان الثلوج علـــى جبــل الشــيخ عنــد منابع النهر، حيث له الفضل في ايجاد زراعة مروية، فنـــهر الاردن يبــدأ مــن روافــد هي: حاصباني، وباينـاس، واليرموك، وتجتمع مياهها معــا وصــولا الى بحــيرة الحولــة

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٥٩. الاقاليم، ص٣١. ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٨. العذي: الزرع الذي لا يسقيه الا المطر(النيسابوري، ص٣٩٠).

(٢) النحال، محمد سلامه، جغرافية فلسطين، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص٤٢. وسيشارله فيمابعد: النحال، جغرافية فلسطين. الطرزي، عبدالله، جغرافية الاردن، الموسوعة الاردنية، (د.ن)، (د.ت)، ص٧٢. وسيشارله فيمابعد: الطرزي، جغرافية الاردن.

مرورا ببحيرة طبرية وغور الاردن الى أن يصب في البحر الميت[2]. ولنهر الاردن روافد كثيرة مثل: نهر اليرموك، وانهار بيسان، ونهر الزرقاء ومياه بعض الاودية والينابيع القادمة من المرتفعات الشرقية والغربية[3]. ولهذا النهر أهمية كبيرة في الري حيث كان يروي قرى جند الاردن مما يلي الساحل، وضياع الغور ومزروعاته.

ج- **الينابيع، والعيون:** وهي من المصادر المائية الاخرى التي اعتمد عليها الفلاح في جنوب الشام، حيث كانت كثيرة العدد حتى كادت لا تخلو القرى أو المدن في المنطقة من ينبوع او عين ماء. يستخدمها الاهالي في حياتهم اليومية، وفي سقي مزروعاتهم، ولقد وصفها القلقشندي - العيون- بقوله:" هي مياه تنبع من الارض، وتعلو الى سطح الارض ثم تسرح في قنى قد حفرت لها"[4]. ومن هذه الينابيع والعيون: عين البقر في عكا[5]، وتكثر العيون في قيسارية حيث تتواجد أينما اتجهت في البلدة[6]، وبيت المقدس اعتمدت على مياه العيون المجاورة لها التي اعتبرت بانها المصدر الطبيعي للمدينة، فأجريت المياه

---

(1) خسرو، سفرنامه، ص٥٤. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ/١٢٣٨م)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩، ص١٦٠-١٦١. وسيشارله فيمابعد: القزويني، اثار البلاد. جودة، مدينة الرملة، ص٢٥٤-٢٥٥.

(2) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٦٤. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٨٢. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١١٥. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨١.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٥٦. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٥٤. العمري، شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل لله، (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، تحقيق: احمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤، ص٨٢. وسيشار له فيمابعد: العمري، مسالك الأبصار. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٣٣. سترانج، فلسطين، ص٦٩-٧٠. علي، الفلاحة والري، ص٢٢١.

(4) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص١٧٩.

(5) خسرو، سفرنامه، ص٤٧. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٠٢.

(6) خسرو، سفرنامه، ص٦٢. الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٤.

اليها عبر أقنية من عين سـلوان[١] اضافـة الى عيـون اخـرى أجريـت الى بيـت المقدس من منطقة الخليل[٢]، أما بيسان فلها أعين وأنهر صغـيرة، فلـها نهـر صغـير يشق المدينة ينبع من عين ماء فيها[٣]، وفي طبرية عين مـاء تنسـب الى عيسـى بـن مريم[٤]، وفي مدينة صور ينبوع ماء اسمه راس العين، حيـث توجـد جـداول لتلـك المياه سحبت الى المدينة عن طريق انابيب[٥]، وفي مدينة الصلـت مـاء عـين كبـيرة تجري مياهها من تحت القلعة، وتدخل البلدة[٦]، ومن تحـت قلعـة الشـوبك تنبـع عينان من الماء احدهما على يمـين القلعـة، والاخـرى الى جهـة الشـمال، فـهما كالعينين بالوجه، ومنهما تشرب بسـاتين المنطقـة[٧]. وفي عجلـون ميـاه جاريـة تسقي البلد والبساتين[٨]، وكذلك كثرت الينابيع في جبـال الشـراة، ومـؤاب[٩].

---

[١] الحروي، ابو الحسن علي بن ابي بكر(ت٦١١هـ/١٢١٠م)، الاشارات لمعرفة الزيادات، تحقيق: حانين سورديل، (د.ت)، دمشق، ١٩٥٣، ص٢٧. وسيشارله فيمابعد: الحروي، الاشارات. النابلسي، عبدالغني(ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، المختار من كتاب الحضرة الانسية في الرحلة القدسية، تحقيق: احسان النمر، نابلس، ١٩٧٢، ص٤٦-٤٧.وسيشارله فيمابعد: النابلسي، الحضرة الانسية. وانظر: الخاالدي، ريف فلسطين، ص٤٢.

[٢] غوانمه، يوسف،تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي،دار الحياة، عمان، ١٩٨٢،ص١٣.وسيشارله فيمابعد: غوانمه، بيت المقدس.

[٣] خسرو، سفرنامه، ص٦٣. ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٢.

[٤] الحروي، الاشارات، ص٦٩.

[٥] بورشارد، الحاج بورشادر من دير جبل صهيون، وصف الاراضي المقدسة، ترجمة وتعليق: سعيد البشاوي، مراجعة وتدقيق: مصطفى الحياري، دار الشروق، عمان، ١٩٩٥، ص٤٣. وسيشارله فيمابعد: بورشادر، اراضي مقدسة. الفتيري، يعقوب(بطريرك عكا)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨، ص٤٧. وسيشارله فيمابعد: الفتيري، بيت المقدس.

[٦] ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٢.

[٧] ابو الفداء، تقويم البلدان،ص٢٤٢. (الشوبك: قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وأيلة. ياقوت، معجم البلدان،ج٣،ص٣٧٠.

[٨] ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٥.

[٩] القزويني، اثار البلاد، ص٢٥٩. البغدادي، مراصد، ج٢، ص٢٥٦٦. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٣.

د- النّدى: وله تأثير كبير على زراعات جنوب الشام الصيفية، وحتى وقتنا الحاضر، فالمقدسي يذكر:" ينزل على فلسطين في كل ليلة الندى في الصيف، اذا هبت الجنوب حتى يجري منه مزاريب المسجد الاقصى[1]"، وهذه الظاهرة تنفرد بها المنطقة[2]، كما أن للندى دور كبير في انبات المراعي في المروج وكذلك في نضج الثمار كالتين[3].

وللاستفادة من مصادر المياه المختلفة في مجال الزراعة تعددت الوسائل في هذا المجال، فمياه الامطار كانت تحفظ في الآبار كبئر ايوب، وهو بالقرب من عين سلوان[4]، أو تحفظ في البرك كبركة بيت المقدس[5]، وحفرت القنوات لتسهيل ري الاراضي الزراعية، ولقد استخدمت هذه القنوات في الاماكن المنحدرة انحدارا خفيفا، لايصال المياه الى المنطقة المراد ايصالها اليها، ومن القنوات التي عرفت في جنوب الشام: قناة الرملة، وقناة ابراهيم في مدينة الخليل[6]. ومن الاساليب الاخرى التي استخدمت في مجال الري الدولاب، وهو يدار بطاقة الماء الجارية في النهر، حيث يجهز بعلب خزفية، أو من التنك حول دائرته تديره الدواب، فترفع الماء من النهر الى الارض المراد سقايتها[7]. حيث تدور الدابة في دائرة حول

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٩. ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٩.

(2) بيركهارت، رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة: انور عرفات، المطبعة الاردنية، عمان، ١٩٦٩، ص٦٦. وسيشار له فيمابعد: بيركهارت، سوريا الجنوبية.

(3) شراب، معجم، ص٦٥٤. الدباغ، بلادنا فلسطين، ق٢، ج٣، ص٢٤-٢٥.

(4) مجير الدين، الانس، ج١، ص٢٤٧. الخالدي، ريف فلسطين، ص٣٧-٣٨. (لرفع المياه من البئر استخدم الفلاح الشادوف).

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(6) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٧١-٢٩٥.

(7) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٩. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨٠. اسماعيل، الفلاحة والنبات، ص٢٣١.

البئر، وبدورانها تحرك بواسطة القائم الخشبي المثبت فوق عنقها رحى افقية متحركة ذات اسنان تلف بدورانها عجلة كبيرة رأسية حركة دائرية يرفع بواسطتها من اسفل البئر قواريس متتابعة ترتفع بالدوران حتى تسير في مستوى الارض، وتقذف الماء الى المجرى الموصل للحقل[1]، وللمحافظة على دوام وصول المياه الى الاراضي من الانهار والقنوات، لابد من تنظيفها من الاوساخ، والاعشاب الكثيفة، وهذا العملية عرفت باسم كري الانهار، وكانت تتم هذه العملية خلال شهري شباط وآذار[2]، وكانت المياه تصل الى الاراضي الزراعية، وفق جدول زمني معين كما هو الآن.

المحاصيل الزراعية

ادى التنوع في التضاريس الطبيعية، والمناخ، إضافة الى وفرة المياه، والتربة الخصبة في منطقة جنوب بلاد الشام، الى تنوع في المحاصيل الزراعية المختلفة. ويتضح ذلك من خلال قول المقدسي في وصف مزروعات المنطقة المتنوعة فيذكر:" بأنها تميزت دون غيرها من المناطق بأنها جمعت ستة وثلاثين صنفا من المزروعات لا تجتمع بغيرها فالسبع الأولى: لا تجتمع إلا بها، والسبعة الثانية غريبة عن غيرها، فالسبعة الأولى هي: قضم قريش(حب قريش)، والسفرجل، الزبيب العينوني، والدوري والانجاص الكافوري، والتين السباعي، والتين الدمشقي؛ وأما السبعة الثانية فهي: القلقاس، والجميز، والخرنوب، والعكوب،

[1] فالح، الحياة الزراعية، ص٨٦-٨٧.

[2] الدمشقي، العطار محمد بن حسين(١٢٤٣هـ/١٨٣٣م)، علم المياه الجارية في دمشق أو رسالة في علم المياه، ضبط وتحقيق: احمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤، ص١٧٨. وسيشار له فيمابعد: الدمشقي، علم المياه. القاسمي، قاموس الصناعات، ج١، ص٢١٦-٢١٧.

والعناب، وقصب السكر، والارضي شوكي، والتفاح الشامي، وأما الاثنتان والعشرون الاخرى هي: الزيتون، والرطب، والاترج، والنيل، والراسن، والنارنج واللفاح(التفاح البري)، والنبق، والجوز، واللوز، والهليون، والموز، والسماق، والكرنب(الملفوف)، والكمأة (نوع من الفطر)، والترمس، والطري، والثليح، ولبن الجواميس، والشهد، وعنب العاصمي، والتين التمري، والخس، أما القبيط(القرنبيط) فقد يرى مثله غير أن لها طعما آخر[1]. فمثلا بيت المقدس جمعت فيها فواكه الاغوار، والسهل والجبل[2]، فهي تتمتع بمناخ البحر المتوسط، ومناخ شبه الصحراوي، وذلك لوقوعها بين المرتفعات الغربية الممطرة نسبيا، والمرتفعات الشرقية الصحراوية[3].

فجنوب بلاد الشام كانت، ولازالت تنتج أصنافا عديدة من المحاصيل الزراعية، ومما تجدر اشارته الى أن هناك تشابه كبير بين ما انتجه جنوب الشام في العصر العباسي، وما انتجه في العصور السابقة، وهناك انواع من هذه المحاصيل مازالت معروفة حتى وقتنا الحاضر وتنقسم هذه المحاصيل الزراعية الى:

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥-١٥٦. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٣٩.

الراسن: كلمة فارسية، وهي نبات طي.(الدمياطي، اسماء النباتات، ص٥٢)

الهليون: نبات له قضبان تميل الى الصفرة، وتمتد على وجه الارض. (مجهول، مفتاح الراحة، ص٣٥٧).

الطري: الطرية: شجر من الفصيلة الصنوبرية، ومن جنس شجر الجوز(الدمياطي، اسماء النباتات، ص١٦٢).

اللفاح: نبت يشبه الباذنجان، يستعمل في الاعمال الطبية(ابن سيدة، المخصص، ج١٢، ص٦).

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(3) النحال، جغرافية فلسطين، ص٤٠،٥٧.

أ- **المحاصيل الشتوية وأهمها**: القمح والشعير والشوفان، والفول، والحمص، والعدس، والكرسنه، والجلبان[١].

ب- **المحاصيل الصيفية وهي**: الذرة، والدخن، والسمسم، والارز، والكسبرة، والمقاثي، والوسمة، وورق النيل، والقرطم(حب العصفر)، والقطن[٢].

محاصيل الحبوب

يأتي على رأس محاصيل الحبوب بالاهمية محصول القمح، لأنه يزرع لغرض الحصول على الحبوب الشتوية التي تستعمل لغذاء الانسان، ويأتي بعده الارز، ويستعمل للغرض نفسه أما الشعير، والذرة، والشوفان، والشيلم، والدخن(انواع من الذرة)، فأكثر ما تستعمل في غذاء الحيوان واحيانا تستخدم جزئيا في تغذية الانسان[٣]، ومنطقة جنوب الشام اشتهرت بالمساحات الواسعة التي زرعت بالقمح، فقد كانت حوران، ولا تزال من المناطق المهمة في انتاج القمح، فهي كانت أنبار الشام على عهد الرومان فجودة القمح فيها لا مثيل لها. فكانت مخزن سورية من القمح، ومصدر تصدير الحبوب، ومما قيل في ذلك:

ومغل حوران كسيل دافق يأتم من أرجاء حلق موجلا [٤]

(البحر الخفيف)

---

(١) النويري، نهاية الارب، ج٨، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٢) النويري، نهاية الارب، ج٨، ص٢٥٨. اسماعيل، النبات والفلاحة، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣) علي، علي الخش، زراعة المحاصيل، (د.ت)، (د.م)، ط٤، ١٩٨٦، ص٤،٥،٢٠. وسيشارله فيمابعد: الخشن، المحاصيل. لومبار، فجر الاسلام، ص٥٢.

(٤) حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٥٣. كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص٣٣١. الشهابي، الزراعة العملية، ص٣٢٢. (حوران: كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣١٧)

ولا ننسى منطقة البلقاء بكثرة انتاجها للحبوب، حتى أن عمـــان وصفـــت بانهـــا معـــدن الحبوب، وخاصة القمـــح[1].

واتبع الفـــلاح اســـلوبين في زراعـــة محصـــول القمـــح، يدعـــى الاول منـــهما زراعـــة القمح(عفيرا) حيث يباشر الفلاح هذا الاسلوب قبل ســـقوط أمطـــار الخريـــف في شـــهر ايلـــول أو تشرين الاول، ويتم ذلك في الاراضي الـــتي تعتمـــد علـــى ميـــاه الامطـــار، والـــتي لا تنـــال كفايتها من مياه الـــري[2].

أما الاسلوب الآخر لزراعة القمح ويدعـــى بزراعـــة القمـــح المـــروي، فيباشـــر الفـــلاح هذا الأسلوب بعد سقوط أمطار الخريف، ما بين منتصـــــف تشـــرين الاول، ومنتصـــف تشـــرين الثاني، ويتم اتباع مثل هذا الاسلوب في زراعة القمح غالبا في جميع المنـــــاطق الـــتي تعتمـــد علـــى الري[3]. بينما تبدأ عملية حصاد المحصول من منتصـــــف شـــهر حزيـــران، وبعـــد الانتـــهاء مـــن عملية الحصاد يسمح للماشية بان ترعى من الحصـــاد لتـــأكل مـــا تبقـــى مـــن القمـــح، ويقـــوم الفلاح بعد حصاد القمح بدراسة القمح بعد أن ينقله الى البيدر(جـــرن القريـــة)، وهـــذه العمليـــة تبدأ في شهر تموز، وتنتهي في أواخر شهر آب، وتـــأتي بعـــد ذلـــك عمليـــة فصـــل التـــبن عـــن الحب، وهي ما تسمى بالتذرية، ويقوم الفلاح بعد ذلك بادخار مـــــا يلـــزم لعائلتـــه، وللبـــذار في العام التالي، والفائض يقوم ببيعه في الســـــوق[4].

---

[1] المقدسي: احسن التقاسيم، ص١٤٩. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٢٢. كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٦. الشهابي، الزراعة العملية، ص٣٢٢.

[2] ابن وحشية، فلاحة نبطية، ج١، ص٢٢٠. الشهابي، الزارعة العملية، ص١٣٨-١٣٩.

[3] ابن وحشيه، فلاحة نبطية، ج١، ص٢٢٠. مجهول، مفتاح الراحة، ص١٢٥.

[4] صفوح، غوطة، ص٣٩٦.

ومن الاراضي التي اشتهرت في جنوب الشام بزراعـة القمـح هـي: منطقـة السـاحل ذات الامطار الغزيرة كمدينة صور ومرج ابن عـامر[١]، والسـهول الداخليـة[٢]، والصلـت[٣]، وعمان، والكرك[٤]، والـقدس[٥].

أما زراعة الشعير فقد رافقت زراعة القمح، إلا أن الشعير يختلـف عـن زراعـة القمـح بكونه يتحمل العطش، وقلة المياه، وله فوائـد بأنـه اذا زرع في الاراضـي المالحـة سـنة بعـد اخرى أزال ملوحتها بامتصاصها[٦]، والشعير يعيش في الاراضي الفقـيرة ويجـود فيـها، بعكـس القمح، كما أن للشعير قدرة على تحمل انخفاض درجـات الحـرارة، وارتفاعـها، ولا يحتـاج الى الكثير من المياه عند زراعتـه[٧].

فكان القمح والشعير جملة يزرعان على السـاحل[٨]، كمـا أن أغلـب زراعـة الخليـل من الشعير، أما القمح فكان يزرع فيها ولكن بكميـات قليلـة[٩]. كمـا زرع القمـح والشـعير

---

(١) الدباغ، بلادنا فلسطين، ق١، ج١، ص٢٠٣. النحال، جغرافية فلسطين، ص٦٢. القتيري، بيت المقدس، ص٤٧.

(٢) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٦.

(٣) ابن الوردي، زين الدين ابو حفص عمر بن المظفر، تتمة المختصر في اخبار البشر، تحقيق: احمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠، ج٢، ص١٠٤. وسيشارله فيمابعد: ابن الوردي، تتمة المختصر.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٥. الشهابي، الزراعة العملية، ص٣٢٢.

(٥) العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج١، ص١٠٦.

(٦) مجهول، مفتاح الراحة، ص١٢٦.

(٧) الشهابي، الزراعة العملية، ص٣١٧-٣١٩، ٣٣٥.

(٨) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٦٤. فالح، الحياة الزراعية، ص١٠٧.

(٩) خسرو، سفرنامه، ص٦٧. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٢. دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي، دانيال الراهب في الاراضي المقدسة(١١٠٦-١١٠٧م)، ويلسون، دي بليم، ترجمة: سعيد البيشاوي وآخرون، (د.ن) عمان، (د.ت)، ص٤٥. وسيشارله فيمابعد: رحلة دانيال.

في الجبال، والشراة، والبلقاء، والقدس[1]، أمــا الشــوبك، والكــرك ونــابلس فقــد اشــتهرت كذلك بزراعة الشــعير[2].

ويأتي محصول الشعير من حيــث الاهميــة باســتخدامه علفــا للحيوانــات(المواشــي)، وكان في بعض الاحيان يزرع الشعير كعلف اخضــر ترعــاه الماشــية قبــل أن يجــف ويشــتد ســاقه[3].

أما زراعة الارز، كانت زراعته قليلــة، وذلــك لاحتياجــه الى ميــاه وفــيرة، ودرجــة حرارة عالية، ولقد توفر ذلك في منطقة الاغوار ذو الحرارة العاليــة، وكــثرة ميــاه نهــر الاردن، فبــيسان يرتفع منها ارزاز الاردن وفلسطين[4]، والحولــة كــان محصــول الارز فيــها وفــير[5]، كما وجدت زراعة الارز في مدينة صفد في جــهات عــدة، وفي مدينــة صــور الــتي اشــتهرت بحقول الارز خاصة حول قناتهــا[6].

أما محصول القطاني(البقوليات)، مثل العدس، والحمــص، والبــازيلاء، الفــول، وغيرهــا فــهي مهمــة للانســان باعتبارهــا مصــدر غذائــي بروتيــني لــه، فــالعدس الى الآن منــه

---

(1) الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٢٥.

(2) البخيت، محمد عدنان، لواء الكرك في العهد المملوكي، (د.ن)، (د.م)، ١٩٧٦، ص٣٤. وسيشارله فيمابعد: البخيت، الكرك.

(3) الطراونه، صفد، ص١٦٤.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١. عماد الدين، فلسطين في الادب الجغرافي والعربي المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، ١٩٨٠، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان، ١٩٨٣، مج٢، ص٤٢. وسيشارله فيمابعد: عماد الدين، فلسطين في الادب.

(5) كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٣٨.

(6) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١١، ٢٤١.

الحبوب الهامة في اعداد الطعام، فكان المادة الرئيسية حتى عصر المماليك في منزل الضيوف العام في مدينة الخليل، حيث كان يقدم مجانا لكل الناس" وهو العدس بالزيت"[1]، كما كان أهالي جنوب بلاد الشام يكثرون من أكل الترمس بعد تمليحه، ويقلون الفول المنبوت(النابت) بالزيت[2]، أما الحمص فكان يزرع في عمان، وما حولها[3]. فالحبوب لأهميتها أخذت مساحات كبيرة من الأراضي في جنوب الشام لزراعتها.

الخضراوات

زرعت الخضراوات بانواعها في منطقة جنوب الشام مثل؛ البصل، الثوم، الكراث، والكرنب، السلحم(اللفت)، الفجل، الباذنجان، الخيار، القثاء، والسلق، والباميا، والقرع، والكوسا، واللوبياء، والقلقاس، والارضي شوكي، وغيرها من الخضراوات[4] فمدينة عسقلان اشتهرت منذ القدم بالبصل، وعرف بالبصل العسقلاني[5]، وكذلك الفجل[6] كما زرع في المنطقة القلقاس، والخس[7]، والارضي شوكي[8]. وغيرها من الخضراوات.

---

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧-١٤٨. خسرو، سفرنامه، ص٧٦.

[2] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

[3] ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٦٧.

[4] الدينوري، عيون الاخبار، ج٣، ص٢٨١، ١٩٦-١٩٧. المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٢. البيطار، امينة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام(١٣٢-٣٥٩هـ/٤٧٩-٩٦٩م). مجلة دراسات تاريخية، ع٣، كانون اول، ١٩٨٠، ص١٣٥. وسيشارله فيمابعد: البيطار، الحياة الاقتصادية.

[5] حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٣٢٥.

[6] الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٢٦.

[7] المقدسي، احسن التقاسيم، ١٥٩،١٦٠. الخازن، وليم، الحضارة العباسية، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٥، ص٦٥. وسيشارله فيمابعد: الخازن، حضارة عباسية.

[8] نقولا، رواد المشرق، ص٨٣. بيركهارت، سورية الجنوبية، ص٥٦،٦٤،٥١. البيشاوي، نابلس، ص١٢٤.

ومن الخضراوات التي تنبت دون حاجة الى زراعتها، وتعتمد عادة على مياه الامطار (زراعة بعلية) فذكر منها: العكوب[1]، كما زرعت في منطقة جنوب بلاد الشام القثائيات والتي هي على انواع: الفقوس: وهو ما رق ودق بزره، ومنه ما غلظ وكثر بزره، ومنه الخيار[2].

المحاصيل الزراعية الصناعية

تعددت المحاصيل الزراعية التي استخدمت في الصناعة في جنوب بلاد الشام، واشتهرت المنطقة بها واعتبرت من صادراتها، وأهمها:

القطن: عرف العرب القطن منذ القدم واستخدموه في منسوجاتهم، ويرجع اصل القطن الى الهند. وادخل لبلاد ما بين النهرين منذ القرن السابع الميلادي، وبنفس القرن ادخلت زراعة القطن الى حوض البحر المتوسط[3]، ووجدت زراعته في جنوب الشام لملاءمة المناخ، ووفرة المياه لنجاح زراعته، فانتشرت زراعة القطن في الاغوار، ووصفت الحولة بمعدن الاقطان[4]، كما زرع في عسقلان[5]. وبيسان، واريحا[6].

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(2) مجهول، مفتاح الراحة، ص١٤٥. غوانمه، عمان، ص١٦٧.

(3) لومبارد، فجر الاسلام، ص٢١٣. حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٣٠٣. واطسون، الابداع الزراعي، ص٧٢،٧٤.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٠.

(5) الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٢٨.

(6) القزويني، اثار البلاد، ص٢٠٨.

النيلة: وتأتي اهمية زراعتها باستخدامها في صباغة المنسوجات باعطائها اللون الازرق، ومن أهم المناطق التي زرعت فيها النيلة: عمتا وبيسان[١]، وكان نبات النيلة في اريحا هو المحصول الرئيسي[٢]، ويذكر ان مدينة زغر اشتهرت بنوع جيد من النيلة، ولذلك أنشئت فيها المصانع لانتاج مادة النيلة، حتى أنه اعتبر اكثر جودة من النوع الذي تنتجه مصر[٣]، فكانت النيلة المستخرجة من هذه المنطقة تصدر الى الاقطار المجاورة[٤]. ومن المناطق الاخرى التي انتجت النيلة كابل(شرق عكا) فكان من الجودة بقدر كبير[٥]. كما وجد في جنوب الشام نباتات كان لها دور كبير في صباغة المنسوجات وهي الورس او الزعفران العربي ووجدت زراعته في جنوب الشام وكثر في الجادية احدى قرى البلقاء[٦].

السمسم: انتشرت زراعته في جنوب الشام، وكان السمسم ينبت في الارض بعلا، كالذرة البيضاء، وتركزت زراعته في عجلون، وكذلك في مرج ابن عامر[٧]. ويعرف الزيت المستخرج من السمسم باسم زيت الشيرج(السمسم الغير مقشور) أو زيت السيرج(السمسم المقشور)، وقد كان يستخدم في اضاءة القناديل اضافة الى قيمته الغذائية.

---

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٥٦.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩، ١٥٤، ١٦٠. لومبارد، فجر الاسلام، ص٢١٥. الشهابي، الزراعة العملية، ص٥٥٦.

(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص٣٢٨.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٥٦.

(٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٢٤، ١٥٧،١٦٥. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥. متز، الحضارة، ص٣٤٠. لومبارد، فجر الاسلام، ص١٨٤، ١٩٤. آشتور، تاريخ اقتصادي، ص٥٩.

(٦) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٧. (الجادية قرية من عمل البلقاء من ارض الشام، واليها ينسب الجادي وهو الزعفران، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٢. الزمخشري، محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ/١١٣٦م)، كتاب الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق: السامرائي، مطبعة السعدون، ١٩٦٨،ص٦٠).

(٧) كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٨.

قصب السكر: جاء الاهتمام بزراعة قصب السكر في منطقة جنوب بلاد الشام، وذلك لتوفر الظروف المناخية الملائمة لزراعته، اضافة الى كونه سلعة تجارية هامة تدر المال الوفير على خزانة الدولة.

ويزرع قصب السكر في الارض الدمثة التي تتوفر فيها المياه بكثره، حيث يزرع بطريقة العقل، أما موعد غرسه ففي فصل الربيع(شهر آذار)[(١)].

وانتشرت زراعة قصب السكر بشكل كثيف في جنوب الشام في المناطق الساحلية، في صور[(٢)]، وفي الاغوار، وطبرية اعتاد أهلها على مص قصب[(٣)]، وانتشرت زراعته في أريحا[(٤)]، وفي كابل التي اشتهرت بزراعته، واستخراج السكر ذو الجودة العالية[(٥)]. فالمسوحات الاثرية[(٦)]، دلت على انتشار زراعة قصب السكر، بل وهو من زراعاتها الرئيسة، فلا تكاد الاغوار تخلو من معصرة لعصر قصب السكر[(٧)].

---

(١) ابن حجاج، المقنع، ص٦٣،١٢٠. ابن شداد، العلاق الخطيرة، ج٢، ق٢، ص١٣٦. ابن سعيد، ابو الحسن بن علي، ت(٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠، ص١٥٢. وسيشارله فيمابعد: ابن سعيد، الجغرافيا.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٥.

Watson, Andrew, Agricultural in novation in the early Islamic world, Cambridge University Press, Cambirdge, 1983. P28.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١١١.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.

(٦) لمزيد من المعلومات عن المسوحات الاثرية التي تمت في منطقة الاغوار، والتي كشفت عن العديد من معاصر قصب السكر وانظر:ابودلو، ربى احمد، معاصر قصب السكر في غور الاردن في القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة في معهد الآثار، جامعة اليرموك، ١٩٩١. وسيشارله فيمابعد: ابودلو، معاصر قصب السكر.

(٧) الحمارنه، صالح، زراعة قصب السكر، وصناعته عند العرب المسلمين، حولية دائرة الاثار العامة، دائرة الاثار العامة، عمان، العدد الثاني والعشرين، ١٩٧٧-١٩٧٨، ص١٧. وسيشارله فيمابعد: الحمارنه، زراعة قصب السكر.

الحلفاء: ولقد استخدم في صناعة الورق، وانتشرت زراعته في جنوب الشام بشكل كثيف في مدينة طبرية، حيث وجد فيها على شكل غابة[1].

الاشجار المثمرة والفواكه:

زرع الفلاح في جنوب الشام العديد من الاشجار المثمرة التي جادت بمحاصيل لا مثيل لها والتي عرفت بجودتها، ومن هذه الاشجار المثمرة نذكر:

الزيتون: وهي شجرة مباركة ورد ذكرها بالقرآن الكريم، وفي الكتب التاريخية القديمة، فيذكر أن شجرة الزيتون انتقلت زراعتها من فلسطين الى مصر خلال العصر الفرعوني، في فترة حكم الاسرتين التاسعة عشر، والعشرين[2]، وجاء الاهتمام بزراعة اشجار الزيتون لقيمتها الاقتصادية من خلال الانتاج الوفير لها، ولما للزيتون، وزيته من فوائد طبية جمه[3].

انتشرت زراعة اشجار الزيتون في غالبية اراضي جنوب بلاد الشام، في السهول، والجبال فمعظم سهول وجبال فلسطين مزروعة باشجار الزيتون[4]. فمدينة نابلس تكثر بها

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.

(2) الطاهر، علي نصوح، شجرة الزيتون، تاريخها، وزراعتها، وأمراضها، وصناعاتها، مطبعة الاردن، عمان، ١٩٤٧، ص٣-٤.
وسيشارله فيمابعد: الطاهر، شجرة الزيتون.

(3) للمزيد عن الفوائد الطبية للزيتون انظر: ابن سينا، ابو الحسن بن علي، القانون في الطب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ص٩٢.
وسيشارله فيمابعد: ابن سينا، القانون. الانطاكي، داود بن عمر، تذكرة اولي الالباب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠، ج١، ص٣٠٨.
وسيشارله فيمابعد: الانطاكي، تذكرة الالباب. وانظر: الكتب الطبية الاخرى التي تشتمل على الفوائد الطبية.

(4) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤. الاقاليم، ص٣١. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٦٣.

اشجار الزيتون حتى وصفت بانها دمشق الصغرى[١]. واكثر بلاد الشام زيتونا[٢]، كما زرع الزيتون في بيت المقدس ونما فيها دون عناء[٣]، ووجد في عكا غابة من اشجار الزيتون، تسرج من زيتها مسجدها، ويفيض عن حاجتها[٤]، وكذلك انتشرت اشجار الزيتون في عسقلان، وقيسارية[٥]، وارسوف ويافا[٦]، وبيت لحم التي كانت تقع بين جبال تغطيها اشجار الزيتون بكثافة، والخليل وما حولها[٧]. حتى أن الطرق بين المدن كانت عبارة عن بساتين أغلب اشجارها من الزيتون، كالطريق بين القدس، والخليل[٨].

ولا ننسى منطقة البلقاء، وعجلون، والحميمة، ووادي موسى، والكرك التي كان أهلها يتعهدون اشجار الزيتون بالرعاية، لما عرف عن وجود مزارع كبيرة مغروسة باشجار الزيتون، وكذلك في جنوب نهر اليرموك(الكفارات) [٩]، وذكر ابن بطوطه في فترة لاحقة

---

[١] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

[٢] الحنبلي، الانس الجليل، ج٢، ص٧٥.

[٣] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٨.

[٤] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٢.

[٥] خسرو، سفرنامه، ص٦١. ابن الوردي، سراج الدين ابو حفص عمر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، خريدة العجائب وخريدة الغرائب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، (د.ت)، ص٣٩. وسيشارله فيمابعد: ابن الوردي، خريدة العجائب.

[٦] الادريسي، نزهة المشتاق، ج٤، ص٣٦٤. (أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٥١)

[٧] الادريسي، نزهة المشتاق، ج٤، ص٣٦٣. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ق٢، ج٢، ص٢٣٩.

[٨] خسرو، سفرنامه، ص٥١،٧٣.

[٩] ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٣، ج٥، ص٢٤. القزويني، آثار البلاد، ص٢٧٩. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٥. الحمارنه، صالح، مواقع ومدن في جنوب بلاد الشام، ودورها في العصر العباسي الاول، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، (د.م)، ١٩٩٠، ص٤. وسيشارله فيمابعد: الحمارنه، مدن جنوب الشام.

ان مدينة الرملة انتشرت فيها اشجار الزيتون الى جانب اشجار البساتين المتنوعة[1]، ومما اشتهرت به اشجار الزيتون في جنوب الشام بان غالبيته مغروس منذ زمن بعيد، ونسبة البعض الى الرومانية[2]. ومازلنا الى الان نرى اشجار زيتون تعرف بالرومي او (الرمي). فاشجار الزيتون تعتبر من الاشجار المعمرة.

الكرمة: جاء الاعتناء باشجار الكرمة منذ القدم باعتبارها مصدرا لصناعة الخمور، كما أن موقف الاسلام والمسلمين خاصة من الخمرة وتحريمها لم يقض على زراعة الكرمة، واستثمرت هذه الزراعة، ومازالت في ازدهار منذ اقدم الازمنة وحتى الآن. فلا يوجد بيت إلا وزرعت به شجرة كرمة واحدة على الاقل. ومن أنواع العنب التي وجدت زراعته في جنوب بلاد الشام عنب المعنقة، والعينوني، والدوري، والعاصمي[3]. وانتشرت زراعة اشجار الكرمة في مختلف انحاء المنطقة، الى جانب اشجار الزيتون فجبل عاملة فيه قرى مزروعة باشجار الزيتون والعنب[4]. ووجدت اشجار الكرمة في مآب[5]، والخليل[6] ولكثافة زراعة اشجار الكرمة عرفت قرية باسم قرية العنب[7]، وذلك لاختصاصها بزراعتها بالدرجة الاولى.

---

(1) ابن بطوطه، الرحلة، ص٩٢.
(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤،١٥٥.
(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.
(4) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٦٣.
(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧.
(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.
(7) خسرو، سفرنامه، ص٥٢.

أما قرية الفراذية فقد عرفت بانها معدن الكروم، والاعناب[1]، كما اشتهرت قيسارية بزراعة الكرمة[2]، ويافا، وأرسوف[3] الواقعة على الساحل وكذلك رفح[4]، ونابلس، وبيت المقدس، وجبال عجلون، والبلقاء، والشراة، كما اشتهرت بيت راس بكرومها التي تغنى الشعراء بنبيذها[5].

كما وجدت زراعة اشجار الكرمة حول أديرة النصاري كدير الطور وهو بين طبرية واللجون[6]، ودير افيق في حوض نهر اليرموك وقد زاره ابو نواس وتغنى بنبيذه وتزرع اشجار الكرمة بطرق مختلفة، فمنهم من يغرسها بالقرب من اشجار البساتين لتتسلق عليها او في ممرات البساتين، وافضل الطرق هي بغرسها، وعمل المعرشات(دعائم) ترتفع الى ما يقرب من ٥٠-٦٠سم، ولا تبعد عن بعضها اكثر من متر ونصف الى المترين[7]، أما لتكثير الكرمة فإنه يتم ذلك بطريقة العقل إما مباشرة في الحقل، أو في المشتل الى أن تظهر جذورها، ثم تنقل بعد ذلك الى الحقل، وتغرس العقل بعد زوال البرد، ويكون ذلك تقريبا في شهر آذار[8].

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١-١٤٢. (الفراذية: وتعرف حاليا بالفراضية: وهي قرية بالقرب من صفد، اسفل جبل الجرمق من جهة الجنوب، ومنه تنبع عينها الغزيرة المياه. (للموسوعة الفلسطينية، القسم العام، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ١٩٨٤، مج٣، ص٤٣٥) وسيشارله: الموسوعة الفلسطينية.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص١٩٨.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٦٤.

(٤) القزويني، اثار البلاد، ص١٨٣.

(٥) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٠٥.

(٦) الشابشتي، (ت٨٨٣هـ/٩٩٨م)، الديارات، ترجمة: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ت)، ص٣٥٢. وسيشارله فيمابعد: الشابشتي، الديارات. العمري، مسالك الابصار، ص٣٣٧.

(٧) ابن حجاج، المقنع، ص٢٢-٢٣.

(٨) ابن حجاج، المقنع، ص٢٧.

التين: تعد زراعة التين من أقـــدم الزراعـــات المعروفـــة، فقـــد ورد ذكـــره في القـــرآن الكريم. فقد عرفت زراعة التين في جزيـــرة كريـــت منـــذ عـــام(١٦٠٠ق.م)، ثم راجـــت بعـــد ذلك في بلاد الشام، وشواطئ البحر المتوسط[١].ووجـــدت زراعـــة اشـــجار التـــين الى جـــانب اشجار الزيتون والكرمة في جبال وسهول فلسطين[٢]، ومن انواع التـــين الـــتي عرفـــت زراعتـــها في جنوب الشام، التين الدمشقي التي اشتهرت به مدينة الرملة، ويبنـــا[٣]، وكذلـــك وجـــد نـــوع آخر من التين في جنوب الشام هو التين السباعي[٤]، ووجدت ايضـــا زراعـــة اشـــجار التـــين في مدينة غزة[٥]، وبيت لحم[٦]، والخليـــل[٧]، والقـــدس[٨].

التفاح: ضرب المثل بتفاح بلاد الشام لجودتـــه وحلـــو مذاقـــه، وكـــان المفضـــل لـــدى الخلفاء المسلمين على مر العصور، واشتهرت جنوب الشام بتفـــاح الخليـــل الـــذي كـــان يصـــدر الى مصر[٩]. وكذلك مدينة القدس اشتهرت بانتاج التفـــاح[١٠]. ومدينـــة عمـــان[١١].

---

(١) محاسنه، محمد سلامه، الاحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الاموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص٧٢. وسيشارله فيمابعد: محاسنه، احوال اقتصادية.

(٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤. الاقاليم، ص٣١.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢١،١٥١. (يبنا: بليده قرب الرملة، فيه قبر صحابي يقال قبر ابو هريرة، وبعضهم يقول: عبدالله بن ابي السرح. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٨. الخازن، حضارة عباسية، ص٦٧).

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥.

(٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٩٨.

(٦) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٩.

(٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧.

(٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧.

(١٠) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(١١) القزويني، اثار البلاد، ص١٨٣.

الرمان: وهي من الاشجار القديمة التي وجدت في جنوب بلاد الشام، ولكن بشكل غير واسع الانتشار، ومن أنواع الرمان وأشهر أصنافه: الماوردي، والمليسي، والسلطاني، ... وغيرها من الاصناف[(١)]، ووجدت زراعة أشجار الرمان في جنوب الشام في مناطق متعددة، حيث وصفت كل من ياسوف، وعسقلان بكثرة الرمان[(٢)]، كما انتشرت زراعة اشجار الرمان في مدينة الصلت[(٣)]. وفي مناطق وأودية شمال الاردن(الكفارات)، وأودية عجلون حيث تكثر الينابيع في تلك الأودية.

ولنجاح زراعة أشجار الرمان لابد من اختيار المناطق الدافئة الجافة، لأن البرد الشديد يضر به بشكل كبير[(٤)].

اللوزيات: ويقصد بها أشجار: المشمش، والخوخ، واللوز، والجوز، وكثرت زراعة هذه الأصناف من الأشجار في جنوب الشام في القدس والبلقاء، ومآب[(٥)]، والشوبك[(٦)]، والكرك[(٧)]، وعسقلان التي كان انتاجها منه بشكل وفير[(٨)]. كما اشتهر الساحل في جنوب الشام اضافة الى المشمش بأشجار التوت[(٩)].

---

(١) ابن الوردي، خريدة العصر، ص١٨٨.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٢٢. (ياسوف قرية بنابلس في فلسطين توصف بكثرة الرمان). ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٣٩، ابوالفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٥. البيشاوي، نابلس، ص١٤٢.

(٣) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٥.

(٤) قسطوس، الفلاحة، ص٨٧.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤، ١٥١.

(٦) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٧. القزويني، أثار البلاد، ص٢١١.

(٧) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٧.

(٨) ابن الوردي، خريدة العصر، ص٤٤.

(٩) الدباغ، بلادنا فلسطين، ق١، ج١، ص٢٧.

الحمضيات: عرفت زراعة اشجار الحمضيات في منطقة جنوب الشام بعد القرن الثالث الهجري، والذي من انواعه: النارنج، والاترج[1]. فهذه الاشجار وجدت المناخ المناسب لنموها وخاصة في منطقة الاغوار[2]، وكذلك عرفت زراعة الحمضيات في القدس[3]، وفي مدينة قيسارية[4]. والناصرة[5]، ويافا، وصور[6]. فمدينة يافا الى الآن تشتهر بالبرتقال الطيب المذاق.

الموز: انتشرت زراعة أشجاره في جنوب الشام في القدس[7]، والاغوار[8]. وبعض مناطق الساحل الفلسطيني[9].

النخيل: لجنوب الشام حظ وافر بزراعة اشجار النخيل، والذي نما بشكل كبير في المناطق الدافئة والمياه الوفيرة، خاصة في منطقة الاغوار[10]، فأريحا وصفت بأنها معدن

---

(1) يعتبر الهند هو الموطن الاصلي لاشجار الحمضيات، وفي ذلك يقول المسعودي:" وكذلك شجر النارنج، والاترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة، فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام، حيث أنه يوجد منه الكثير بدور الناس بطرسوس، وغيرها من الثغر الشامي، وأنطاكية، وساحل الشام، وفلسطين، ومصر". المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٤١٨،٤٢٠. وانظر: واطسون، الابداع الزراعي، ص٩٧،١٠٢. الشهابي، مصطفى كتاب الاشجار والانجم المثمرة، (د.ن)، دمشق، ١٩٢٤، ص٢٥٦-٢٥٧. وسيشارله فيمابعد: الشهابي النجم المثمرة. الخالدي، ريف فلسطين، ص٢١-٢٢.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨٦. الشهابي، الانجم المثمرة، ص١١٩.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(4) خسرو، سفرنامه، ص٥١. الفتيري، بيت المقدس، ص٣٢.

(5) القزويني، أثار البلاد، ص٢٧٧.

(6) لامنس، هنري اليسوعي، تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص١٩٠، ١٩٣. وسيشارله فيمابعد: لامنس، تسريح الأبصار. كرد علي، خطط الشام، ج٤، ص١٨١.

(7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(8) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

(9) القزويني، اثار البلاد، ص١٤٢،١٦١. الشهابي، الانجم المثمرة، ص١١٩.

(10) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨٧.

النخيل[1]، كما كثرت أشجار النخيل في بيسان[2]، وفي مناطق حيفا، وقيسارية[3]، وعسقلان[4]، والرملة[5]، ومنطقة الجفار[6]، وأيلة[7]، وفي الحميمة[8]، كما وجد في زغر جنوب البحر الميت أنواع من الرطب لا مثيل لها[9]. وفي بيت لحم وجدت اشجار النخيل، ولكنه لا ثمر له[10]. واستخدمت جذوع النخيل في بناء المساكن، واصلاح السفن، أما الجريد فقد استخدم في صناعة الاقفاص، أما الكرناف (بقايا عسف النخيل) فاستخدم كوقود[11].

ومن الاشجار المثمرة الاخرى التي عرفت في منطقة جنوب الشام، أشجار الجميز الذي غطى معظم جبال وسهول المنطقة[12]، ووصفت عسقلان بانها معدن الجميز[13].

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

(2) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣٦. ياقوت، المشترك، ص١٠٧٩.

(3) خسرو، سفرنامه، ص٥١.

(4) المنجم، اسحاق بن حسين(من علماء القرن الخامس الهجري)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص١٣. وسيشارله فيمابعد: المنجم، آكام المرجان.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣.

(6) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٤٥.

(7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٢. الحميري، الروض المعطار، ص٧٠.

(8) يقول المبرد في الكامل في اللغة:" يقال أن علي بن عبدالله بن عباس، كان له بالحميمة بستان فيه ألف نخلة فكان يصلي كل يوم في أصل كل نخلة ركعتين". المبرد، ابو العباس، محمد بن يزيد الازدي، الكامل في اللغة والادب، مراجعة وتحقيق، نعيم زرزور، تغاريد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج٢،٢١٧.

(9) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٢.

(10) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧.

(11) الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٤٥.

(12) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٤. الاقاليم، ص٣٢.

(13) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٨.

كما انتشرت اشجار السماق بشكل كثيف في القدس، والخليل[1]، وجبال البلقاء، وجبال عجلون[2]، وكذلك وجد في المنطقة اشجار الخروب التي يصنع منها حلواء القبيط[3]. ومن الفواكه التي اشتهرت بها جنوب الشام أيضا: البطيخ[4]، فنابلس مشهورة ببطيخها الاصفر زائد الحلاوة وكذلك جنين وما حولها من القرى[5].

الازهار والاعشاب الطبية

اشتهرت منطقة جنوب بلاد الشام بانواع متعددة من الورود، والازهار، والاعشاب الطبية، بعضها كان يزرعه المزارعون لاستغلاله في صناعة العطور، والبعض الآخر كان ينمو في السهول والجبال، وعلى المرتفعات في أنحاء مختلفة، فالحولة وصفت بأنها معدن الازهار[6]، لكثافة زراعته في المنطقة، كذلك انتشرت الازهار على اختلاف انواعها في جبل الطابور(الطور) قرب الناصرة[7].

---

(1) خسرو، سفرنامه، ص٦٣،٧٣.

(2) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٦.

(3) ابن بطوطة، الرحلة، ص١٤٢. نقولا، رواد المشرق، ص٥٣.

(4) ابن العوام، الفلاحة، ص١٢٠. الشهابي، الانجم المثمرة، ص٤٣٨.

(5) ابن بطوطة، ص٤٥. البيتاوي، نابلس، ص١٤٥.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٠.

(7) لامنس، تسريح الابصار، ص٥١، ١٧٧. نقولا، رواد المشرق، ص٥١.
Wrigh, Thomas, Early Travels In Palestine, London, n.d, P5.

الورود: اشتهرت جنوب الشام بانواع عديدة من الورد: الاحمر، والابيض[1]، بالاضافة الى الاصفر وصنعوا العطور من الورود واستقطروا منه ماء الورد وكان يصدر الى سائر البلدان[2]، فالخليل اشتهرت بوردها الابيض والاحمر[3]. ومن الازهار الاخرى التي وجدت في جنوب الشام الياسمين الذي اشتهرت طبرية بزراعته[4]، وهو صنفان الابيض، والاصفر[5]. كما اشتهرت اريحا بكثرة الريحان فيها[6]، يعرف ايضا بالحبق أما الآس سيد الرياحين. فقد وجدت زراعته في الغور[7]. كما كثرت ازهار الاقحوان بمنطقة اربد، وما حولها وسميت تلك المنطقة بالاقحوانه نسبة لهذه الازهار[8].

الاعشاب الطبية: شهد العصر العباسي حركة ترجمة للمؤلفات اليونانية، وغيرها واشتهر العديد من الاطباء في هذه الفترة، وقد اهتم علماء المسلمين بدراسة النباتات، والاعشاب الطبية المختلفة، لاستخدامها كعقاقير للأمراض المختلفة، فالتربة الخصبة، والظروف المناخية المناسبة شجعت على تعدد أنواع الاعشاب الطبية في جنوب الشام، حتى بدأت المنطقة تصدر بعضا منها كترياق القدس المصنوع من أجسام الحبات المسحوقة،

---

[1] غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٦. مكاحله، الزراعة، ص١٨٨.

[2] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٨٧.

[3] ابن الوردي خريدة العجائب، ص٤٣.

[4] خسرو، سفرنامه، ص٤٩.

[5] مكاحلة، زراعة، ٨٩.

[6] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

[7] القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص١٨٣.

[8] البلاذري، فتوح البلدان، ص٩٢. غوانمه، اربد، ص١٣.

وصمغ البيلسان، ومرهم جودي من فلسطين، والنعناع والراوند من الاردن[1]. ومن النباتات الطبية المشهورة في جنوب الشام السعتر وكثر وجوده في القدس وفي معظم جبال الاردن وفلسطين[2]، واشتهرت عمان بتصدير نبات الراوند، وهو عبارة عن عروق خشبية مستديرة في غلظ الاصابع[3]، اضافة الى زهرة البابونج التي تنبت على شاطىء نهر الاردن[4]. هذا بالاضافة الى العديد من الاعشاب الطبية المختلفة لوجود الظروف المناخية الملائمة لنموها، فالقيصوم والشيح ينبت في المناطق الصحراوية، والبدو لهم خبرة في التداوي بهذه الاعشاب وهناك اكثر من مائة نوع من النباتات الطبية تنبت في البادية، بالاضافة الى تلك المستوطنة في الجبال والسهول[5].

---

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤. الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٨٠. الترياق، هو تركيبة دوائية تستخدم في معالجة السم.

[2] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨. علي، احمد اسماعيل، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي(١٣٢-٤٦٣هـ/٧٤٩-١٠٧٠م)، دار دمشق، دمشق، ١٩٨٣، ص١٩١. وسيشارله فيمابعد: علي، بلاد الشام.

[3] الشيرزي، عبدالرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في أحكام الحسبة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٦، ص١٥٢.وسيشارله فيمابعد: الشيرزي، الحسبة. ابن الاخوة، محمد بن محمد بن احمد، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد شعبان، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٤٢. وسيشارله فيمابعد: ابن الاخوة، معالم القربة.

[4] القاياتي، نفحة البشام، ص١١٢.

[5] الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٤٦-١٤٧.

جدول يتضمن أنواع المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها كل منطقة أو مدينة في جنوب بلاد الشام:

المدينة أو المنطقة	نوع المحصول الزراعي				
	محاصيل الحبوب	الخضراوات	المحاصيل الزراعية الصناعية	الأشجار المثمرة والفواكه	أنواع أخرى
أرسوف				زيتون، عنب	
الأغوار			قصب السكر	الحمضيات، الموز، النخيل	زهر الآس
أريحا			قطن، قصب السكر	النخيل	الريحان
أيلة				النخيل	
الجفار				النخيل	
الفراذية				عنب	
بيت لحم				زيتون، تين	
الجليل			القطن		
الخليل				زيتون، عنب، تين، تفاح	السماق
الحميمه				النخيل	
حيفا				النخيل	
القدس	شعير، قمح			زيتون، تين، تفاح، لوز	السماق
عمان	قمح، حمص			تفاح	الراوند
السلط				زيتون، عنب، رمان	السماق، زعفران
مؤاب				عنب، لوز	
الشراة	قمح، شعير			عنب	
الشوبك	شعير			مشمش، تفاح	
الكرك	شعير			زيتون، مشمش	
بيسان	أرز		القطن، النيلة	نخيل	
الحولة (قدس)	أرز		القطن		أزهار
صفد	أرز		قصب السكر		
صور	أرز		قصب السكر	الحمضيات	
الرملة				زيتون، تين، نخيل	
عسقلان		بصل، فجل	القطن، النيلة	زيتون، رمان، لوز، النخيل، جميز	
عمتا			النيلة		

الاشجار الحرجية والغابات والمراعي

انتشرت الغابات، ونمت الاشجار الحرجية(غير المثمرة) بكثرة في مختلف مناطق جنوب بلاد الشام فنمت هذه الاشجار دون جهد أو عناء من قبل الانسان. هذا النوع من الاشجار في المرتفعات الجبلية، والسواحل، وذلك لوفرة المياه، خاصة زيادة كميات الامطار التي تتساقط على المرتفعات الجبلية، والسواحل، اضافة الى توافر الاشجار الحرجية على ضفاف الانهار.

ومن الاشجار الحرجية التي انتشرت في جنوب بلاد الشام اشجار: البلوط، والسرو، والخروب، والسماق، والبطم، والحور، والسنديان، والصفصاف،....وغير ذلك من الانواع حيث شكلت اشجار الصنوبر، والبلوط، والسنديان أهم الاشجار الحرجية في السواحل وفي بلاد الشام عامة[1]. فمن المناطق التي اشتهرت فيها اشجار البلوط جبل عاملة، والسهل الساحلي[2]، وفي بيت المقدس، وجبال عجلون[3]، وانتشرت في عمان اشجار البطم[4].

وجدت اشجار الغار، واشجار الجميز، والعرعر في الاغوار[5]، وفي معظم جبال، وسهول جنوب بلاد الشام[6]، ووجد في جبال الشراة اشجار القرظ، والشوح[7].

---

(1) الشهابي، الاشجار والانجم، ص١٢. فالح، الحياة الزراعية، ص١١٧.

(2) الطراونة، صفد، ص١٦٨.

(3) غوانمه، التاريخ السياسي، ص٢٧. الشهابي، الانجم المثمرة، ص١٢.

(4) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٧. غوانمة، عمان، ص١٦٦.

(5) كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٣، ١٤٠. الدمياطي، اسماء النباتات، ص٣٦. آل ياسين، الزراعة، ج٢، ص٣٧٣.

(6) الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٦. الاقاليم، ص٣١.

(7) الحازمي، ابوبكر محمد بن موسى بن عثمان(ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الاماكن والبلدان المشتبهة في الخط، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية في اطار جامعة فرانكفورت، جمهورية المانيا الاتحادية، طبع بالتصوير عن مخطوطة، مكتبة

واشتهرت جبال عجلون، والبلقاء باشجارها الحرجية الكثيفة، والتي ما تزال كذلك الى يومنا الحالي[1]. ومن غابات جنوب بلاد الشام، غابة أرسوف الواسعة وعسقلان التي امتدت حتى أراضي الرملة[2]، كما اشتهرت غابة قيسارية بكثافة اشجارها، ومعظم اشجار هذه الغابات السنديان، والخروب، والبلوط[3]. اما غابات جبال عجلون فتعتبر من أوسع غابات الشام وأجملها، وأشجارها من السنديان، والملول، والصنوبر الحلبي وغيرها[4].

واستخدمت اخشاب اشجار الغابات في اعمال البناء، فقد عرف عن اشجار الجميز بمقاومتها لتقلبات المناخ، ولذلك استخدمت في سقوف المساكن، وصناعة الابواب والنوافذ، ومختلف الآلات[5]. وقد تعرضت الغابات الى بعض الخراب، والتراجع في كثافة الاشجار الحرجية، ويعود ذلك الى قطع هذه الاشجار واستخدامها في الوقود في مختلف الصناعات وقد تم تصدير قسم منها الى الخارج، وخاصة مصر التي كانت بحاجة على مر العصور لاخشاب بلاد الشام بشكل عام وغيرها[6].

السليمانية ٢١٤٠، استانبول، ١٩٨٦، ص٢٢١. (القرظ: وهو شجر عظام له سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، وخشبه صلب يكل الحديد، واذا قدم كان اسود كالابنوس، وهو قبل ابيض، وورقه اصغر من ورق التفاح، ويدبغ بورقه وثمره. آل ياسين، زراعة، ج٢، ص٤٩٠)، (الشوح: شجرة يصل ارتفاعها الى ٢٥ متر، قلفها رمادي اللون، وأغصانها بنية مخضرة. العودات، محمد، نباتات سورية، جمعية علوم الحياة، سوريا، (د.ت)، ص١٢٠. وسيشارله : العودات، نباتات).

[1] فالح، الحياة الزراعية، ص١٦٦. غوانمه، التاريخ السياسي، ص٢٧.

[2] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٥٤.

[3] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦١. الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٤٥. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٥٤.

[4] كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٤. الشهابي، الانجم المثمرة، ص١٢.

[5] الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٤٥.

[6] كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٥٤،١٥٥. لامنس، تسريح الابصار، ج٢، ص١٨٢،٢٠٦.

المراعي: وهي تشكل حيزا كبيرا من اراضي جنـــوب بـلاد الشـام، فـالمراعي عـامل جذب لاصحاب الماشية لرعي إبلهم واغنامـــهم، وتعـددت الامـاكن المخصصـة للمراعـي في السهول، والجبال، وعلى ضفاف الانهار، فتواجدت المروج في المنطقة، كمـرج بـني عـامر الـتي كانت كثيفة الاعشاب[١]، كما كثرت المراعي في منطقة البلقاء، خاصـة حـول مدينـة عمـان التي كان يصدر منها الخرفـان[٢].

الصناعات القائمة على المحاصيل الزراعية

نظرا لتوافر المواد الزراعية الاولية، في منطقة جنـوب بـلاد الشـام، الامـر الـذي أدى الى قيام صناعات زراعية متنوعة، استخدمت في مختلف مجـالات الحيـاة، والفـائض منـه.قـاموا بتصديره الى مختلف البقاع، ومن هذه الصناعـات الزراعيـة:

صناعة عصر الزيت

لكثافة اشجار الزيتون في منطقة جنوب بلاد الشام، قامت صناعة عصر الزيت، فيذكر ناصر خسرو أن انتاج الزيت كان كثيفا في القدس فهو يقول:" وجد في مدينة بيت المقدس عدد من التجار، وكبار الملاك بعضهم يملك خمسين ألف رطل من زيت الزيتون يخزنونه في الآبار، والأحواض، ومن ثم تباع في مختلف أرجاء المعمورة"[٣].

---

[١] الدباغ، بلادنا فلسطين، ق٢، ج٣، ص٢٤-٢٥. محمد شراب، بلدان فلسطين، ص٦٥٤.

[٢] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤.

[٣] خسرو، سفرنامه، ص٦٤. انظر: بكار، يوسف، بيت المقدس كما صورها ناصر خسرو في رحلته، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٧-٢٨، ١٩٨٧، ص١٢١. وسيشارله فيمابعد: بكار، رحلة ناصر خسرو.

وهكذا فقد كان زيت الزيتون من اكثر السلع الزراعية التي تصدرها جنوب بلاد الشام، وهذا ما يؤكده شيخ الربوة عن نقل الزيت من نابلس الى الديار المصرية، والى الحجاز، والبراري مع العربان، كما كان يحمل الى جامع بني أمية وحده في كل سنة ألف قنطار دمشقي من زيت نابلس[1].

وتبعا لذلك قامت المعاصر العديدة لعصر الزيتون، لاستخراج الزيت، وتواجدت هذه المعاصر في القرى والمدن، وكان يتم عصر الزيت بطرق بدائية، بعد أن ينقى الزيتون مما فيه من الورق يرش بالملح، ثم ينشر على ثوب في الشمس، وبعد أن يجف بعض الجفاف يطحن برحى يدوية طحنا رفيعا حتى لا تتكسر البذور لأنها تضر بطعم الزيت ثم يجعل بعد طحنه في زنبيل من قضبان شجرة الغرب، ويجمع ما يسيل منه من الزيت فإذا انقطع سيلانه ثقل بالزنبيل بعض الثقل، وجمع ما يسيل منه من الزيت، وإذا انقطع سيلانه بولغ في تثقيل الزنبيل حتى يخرج ما بقي منه من الزيت وبعد أن يجمع الزيت يلقى فيه كف من الملح والبورق بعد دقهما ويحرك بعصا من شجرة الزيتون، ويترك حتى يصفو ثم يفرغ في أواني زجاجية، أو فخارية مدهونه من داخلها ويحفظ بعيدا عن الحرارة والرطوبة، ولإزالة طعم الزيت من المرارة كان يلقى فيه شيء عن عروق الأترج الحقلية فإنه يطيب طعمه وإذا ألقي بالزيت المنتن أعواد من شجر الزيتون بعد دقها صلح وطاب طعمه[2]. وصناعة الزيت قديمة في جنوب الشام، فقد وجد في المنطقة العديد من المعاصر التي عرفت باسم المعاصر

---

[1] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٠. نقولا، رواد المشرق، ص١٨٣.

[2] قسطوس، الفلاحة، ص١٠٣.

- شجرة الغرب: هي شجرة الحور من الفصيلة الصفصافية. (المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٤٧)

الرومية[1]. ومن المناطق التي تواجدت فيها معاصر الزيت مدينة صفد، وما حولها من القرى[2]، ومدينة نابلس وقرى جبال عجلون والكرك ووادي موسى والشوبك[3].

كما استفاد أهالي جنوب الشام من نوى الزيتون المسحوق، وذلك باستخدامه في اعمال الطبخ عليه والتدفئة، وعرف باسم الدق(الجفت)، وهذا الامر بقي متبعا الى عصور لاحقة، فالنويري يذكر لنا: أن هناك متاجر خاصة لبيع الدق، وجدت في مدينة عجلون[4].

صناعة الصابون:

وهي من الصناعات الزراعية القديمة التي عرفت في جنوب بلاد الشام، حتى أنه كان من صادراتها لجودته، وتميزه[5].

ان توافر اشجار الزيتون، وزراعته، واستخراج زيته جعلته كمادة اساسية في صناعة الصابون، أضف الى ذلك توافر مادة الصودا القلوية التي تستخدم فيها، وهي مادة عرفت باسم البلس، أو القلي، تستخرج من نوع من الاعشاب يطلق عليها العرب اسم الاشنان، حيث كانت تجمع وتحرق ويستخدم رمادها في صناعة الصابون حتى أن هذه العشبة عرفت باسم عشبة الصابون لاستخدامها في صناعته[6].

---

(1) القاسمي، قاموس الصناعات، ج١، ص٣٣. غوانمه، دراسات، ص٩١.

(2) الطراونه، صفد، ص١٧٣.

(3) البيشاوي، نابلس، ص١٢٢.

(4) النويري، نهاية الارب، ج٨، ص٢٥٦. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨٤.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤.

(6) راو ولف، ليونهارت، رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان، ترجمة: سليمان التكريتي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص٣٤-٣٥. الشهابي، الانجم المشرة، ص١٩٢-١٩٣.

كما استخرجت هذه المـــادة مـــن شـــجر الـــدودار، والشـــمان المنتشـــر في البلقـــاء، والشراة، فعشبة الشمان التي تنبت في البلقاء والتي يســـتخلص منـــها الرمـــاد الـــذي يعتـــبر مـــن أجود الانواع لصناعة الصابون. وحتى الى وقت قريب بقـــي أهـــالي البلقـــاء يرســـلون الفـــائض منه الى اسواق نابلس وغزة، والقدس لاســـتخدامه في صناعـــة الصـــابون[1].

كما أن الاهالي في جنوب الشام اســـتفادوا مـــن التفـــل في صناعـــة الصـــابون وذلـــك بسحقه، ثم كبسه فيخرج منه زيت اسود عـــرف باســـم زيـــت الجفـــت[2]. ويصنـــع الصـــابون بعدة طرق، وأفضل أنواعه ما صنع من الزيت الخالص والقلـــي، الجـــير الطيـــب المحكـــم الطبـــخ، وبعد ذلك يتم تجفيفه ثم قطعه على أوضاع مخصوصـــة[3]. ويذكـــر الانطـــاكي كيفيـــة صناعـــة الصابون فيقول:" يؤخذ من القلي مقدار، ومـــن الجـــير نصـــف مقـــدار، وتســـحق وتوضـــع في حوض ويصب عليها من الماء قدرها خمس مرات، وتحـــرك لمـــدة ســـاعتين، ويكـــون للحـــوض خرق مسدود فاذا سكن من التحريك يفتح الخرق فـــاذا نـــزل المـــاء طعـــم وعـــزل كـــل المـــاء ويحرك ويستبدل حتى لا يبقى في الماء طعم وعزل كل ماء علـــى حـــده ثم يؤخـــذ مـــن الزيـــت الخالص قدر الماء الاول عشر مرات، ويجعل على النار فاذا غلـــي أشـــرب المـــاء الاخـــير شـــيئا ثم الذي قبله حتى يكون سقيه بالماء الامرا آخرا فحينئذ يصبح كـــالعجين بعـــد ذلـــك يفـــرش علـــى الحصير حتى يجف بعض الجفاف فيقطع ويبســـط علـــى نـــوره ولا حاجـــة الى تـــبريده وغســـله بالماء البارد اثناء الطبخ، وبعضهم يجعل مع الجير والقلـــي ملحـــا كنصـــف الجـــير، ومنـــهم مـــن

---

[1] غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨٥.

[2] كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٩١.

[3] الانطاكي، تذكرة الالباب، ج١، ص٢٢١.

يمزجه عند مقاربة الطبخ ببعض النشا، وقد يبدل زيت الزيتون بغيره من الادهان كدهن القرطم، ومن المعروف أن الصابون الخالص حار يابس"[1].

وهناك طريقة أخرى لصناعة الصابون وهي: يؤخذ مقدار الف ومائتي وزن من رماد الاشنان، ويقسم في فصل الشتاء الى اربعة اقسام، وفي فصل الصيف الى ثمانية اقسام، ذلك لان الصابون سرعان ما يتجمد من برد الشتاء، ويؤخذ القسم الاول من هذه الاقسام على شكل طبقة رقيقة تصب في وعاء او في قدر كبير مصنوع من الحجر يكون قاعدته مصنوعة من النحاس السميك الموضوع فيه ألف وستمائة وزنة من الزيت قبل ان يتجمد الصابون يأخذون مائة وزنة من الجير فيمزجونه مع الرماد ثم يسحبون من هذا المزيج طبقة يتركونها مدة يومين قبل أن يضعوها في القدور، وذلك بكميات تزيد أو تنقص تبعا لسمك الطبقة ورقتها، ولكن اذا حدث وتكونت كمية في القدر فإنهم يرفعون صفيحة النحاس من القدر فلا تبقى فيه سوى الكمية المناسبة من المزيج، وبعد أن يتجمد يخرجون منه الصابون الذي يطفو على سطح المزيج، ويسكبونه على الارض ثم يقطعونه، ويتركونه مدة يوم واحد في الشتاء، ويومين في الصيف ليتصلب الى درجة انهم يستطيعون السير فوقه، وعندئذ يصقلونه ويقطعونه الى قطع صغيرة[2]". ومن المصابن التي عرفت في جنوب الشام، مصبنة كانت تقع قرب باب العمود[3].

---

[1] الانطاكي، تذكرة أولي الالباب، ج١، ص٢٢٢. وانظر: الشهابي، الزراعة العملية، ص١٩٢-١٩٣.

[2] راو ولف، رحلة المشرق، ص٣٥.

[3] العسلي، كامل، من آثارنا في بيت المقدس، (د.ن)، عمان، ١٩٨٢، ص٨٢-٨٣. وسيشارله فيمابعد: العسلي، آثارنا في بيت المقدس. غوانمه، تاريخ المقدس، ص٢١٠.

طحن الغلال - الحبوب:

تطلبت بعض الصناعات الزراعية - الحبوب- قيام العديد من المطاحن، والتي كانت الى فترة قريبة عبارة عن أحجار تديرها المياه بقوة الانحدار، لذلك وجدت المطاحن على حافة الانهار، ومجاري المياه، وفي الوديان[1]، وكانت الحجارة المستخدمة في هذه الطواحين غالية الثمن. وهي عبارة عن أحجار سوداء بازلتية، وكان المردود المالي لهذه الطواحين كبير[2].

ووجد في منطقة جنوب الشام المقومات اللازمة لانشاء مطاحن عند مجاري المياه، فعلى نهر الاردن وجد العديد من المطاحن[3]، وكذلك في مدينة عمان، وجرش، وحسبان، والشوبك، وعجلون والكرك[4]. وفي شمالي مدينة الرملة، ونستدل على ذلك من خلال الموقعة التي جرت أحداثها على نهر أبي فطرس- العوجاء- والتي عرفت باسم معركة الطواحين، فهذه التسمية لم تأت من فراغ وربما من الطواحين التي كانت موجودة في تلك الفترة هنالك[5].

---

(1) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٣٠٨،٣١٢. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٩٢.

(2) الزيود، حالة بلاد الشام، ص٢٠٨-٢٠٩.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٤٢. آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٦٢.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩. ياقوت، معجم البلدان، ج٢،٣، ص٤٤٠،١٢٧. غوانمه، عمان، ص١٦٧. وله التاريخ الحضاري، ص٨٦.

(5) الزيود، حالة بلاد الشام، ص٢٠٨.

أما في بيت المقدس فقد وجدت المطاحن التي تدار بقوة الحيوان كالبغال أو الثيران، وذلك نظرا لقلة المياه الساقطة[١]. كما استخدم الاهالي في بيوتهم مطاحن خاصة بهم، وعرفت باسم "الرحا" وهي تتكون من حجرين من البازلت قطر كل واحد منها حوالي ٧٥سم، ويربط بينهما محور من الخشب، ويكون الحجر السفلي ثابت، والعلوي متحرك يدار باليد بواسطة مقبض خشبي، وهي تسمى الجاروشة[٢].

صناعة المواد الغذائية- الفواكه المجففة-

استخدم الانسان في بلاد الشام الفواكه المجففة منذ عصور قديمة نذكر منها على سبيل المثال: الزبيب، والقطين، والمشمش، والاجاص، والخوخ والكرز، وغير ذلك من الفواكه.

أما أهم المحاصيل التي قام أهالي منطقة جنوب بلاد الشام على تجفيفها فهي: الزبيب، والقطين، التين المجفف[٣]. فمدينة الرملة مشهورة بالقطين الذي لا مثيل له، حيث تقوم بتصديره الى بلاد الشام، والحجاز وغيرها فهو مطلوب لجودته[٤]. كما اشتهرت قرية بيت عينوني في جنوب القدس بالزبيب الذي نسب اليها فعرف بالزبيب العينوني[٥]،

---

[١] خسرو، سفرنامه، ص٧٣. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٣. الحنبلي، الانس الجليل، ج١، ص٧٣.

[٢] القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص٤٨٦،٢٨٣. حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٩٣. فالح، حياة الزراعية، ص١٤٥، ١٨٨.

[٣] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٧.

[٤] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥.

[٥] المقدسي، احسن التقاسيم، ص٣٨. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٦٣. سترانج، فلسطين، ص٤٣٠.

وكذلك اشتهرت مدينة الصلت بالزبيب وحب الرمـــان[1]. ويتـم تصنيـع الزبيـب كذلـك في القرى التي فيها أعناب، و لم تكن صناعته صعبة فقد كـان يؤخـذ العنـب ويغطـس بماء فيـه شيء من القلي والزيت ثم يفرش على مسطاح – قطعة مـن الخشـب مسـتطيلة الشـكل– مـدة ثمانية أيام فيجف. ولكي يبقـى طريـا يجـب حفظـه في مكـان بـارد لا يدخلـه الدخـان، ولا النـدى[2].

أما القطين فيتم صناعته كالتالي: يجمـع التـين اذا سـقط علـى الارض بعـد تنـاهي نضجه، ويفرش وييبس في الشمس جيدا، ويترك ليلـة منشـورا للنـدى ويرفـع قبـل طلـوع الشمس، ويستر بعد ذلك عن الشمس ويحفظ في البيـوت مـن النـدى، وان جعـل في الفخـار يرفع من المنشر وفيه نداوة يسـيره[3].

ووجدت أنواع أخرى من الصناعات الغذائية مثل: الدبـس: وهـو يصنـع مـن عصـير العنب حيث يوضع في أجرنه من حجر، ويرش عليه قليـل مـن الـتراب الكلسـي، فـيروق، ثم ينقل الى مرجل ويغلي الى أن يجمد قليلا، ثم يعاد الى الجـرن ويـترك حـتى يـبرد، ثم ينقـل الى المرجل، ويغلي حتى يتكثف، وفي هذه المرة يحرك بغصن اخضر من التـين ليصـير اشـقر اللـون، أملسا[4]. ويصنع الدبس كذلك من الزبيب، وذلك بوضع الـرب في التربـة بجـرار حـتى يجمـد

---

[1] محمد كرد، خطط الشام، ج٤، ص١٩٠.

[2] ابن الحجاج، المقنع، ص٣٢. النابلسي، الفلاحة، ص١٩٦-١٩٧.

[3] النابلسي، الفلاحة، ص١٩٧. وانظر: الشهابي، الزراعة العملية، ص٢٥٢-٢٥٤.

[4] الشهابي، الزراعة العملية، ص٢٥٥.

ومن ثم تكسر بعد مضي وقت، فتكون كقطعة واحـــدة وتصنـع منـه الحلـواء بعـد طبخـه، واضافة الفستق واللوز له، وتعرف هذه الحلوى بجلد الفـرس[1](حلـوى الملـبن).

صناعة السكر

عرف العرب في العصور الاسلامية فن صناعـة السـكر، وتكريـره في معظـم بلـدان البحر المتوسط وما جاورها، كمـا نقلـت زراعتـه وصناعتـه الى اوروبـا في فـترة الحـروب الصليبية، فقد نقل سكان البندقية عن العرب تكريـر السـكر، فـأصبحت هـذه المدينـة لمـدة خمسة قرون مركزا هاما لصنع السكر، والمتاجرة بـه[2]. فقـد كـان الاوروبيـون قبـل ذلـك يستخدمون العسل لتحلية أطعمتهم، وأشـربتهم[3]. ففـي العصـور الوسـطى تم نقـل زراعتـه وصناعته الى ايطاليا وكان لتجار البندقية مزارع لقصب السكر في مدينـة صـور علـى السـاحل الشامي وغيرهـا[4].

واستخدم العرب السكر في صناعة الادويـة والعقاقـير الطبيـة، اضافـة الى اسـتخدامه في الاطعمة[5]، واشتهرت منطقة جنـوب بـلاد الشـام في العصـر العباسـي، بزراعـة قصـب السكر، وتعتبر منطقة الاغوار من أفضل المنـاطق لزراعتـه، ولذلـك وجـد فيـه العديـد مـن معاصر قصب السكر، والمطابخ لتصنيع السكر، فالمنطقة الممتدة مـن نهـر الـيرموك شمـالا حـتى وادي الصافي جنوبا، وعلى امتداد هذه المنطقة توجد أثـار معـاصر كثـيرة للسـكر، كمـا ان

---

(1) ابن بطوطه، الرحلة، ص٨٣.

(2) واطسون، الابداع الزراعي، ص٦١. لومبارد، فجر الاسلام، ص١٩٥.

(3) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٠٧.

(4) حمارنه، قصب السكر، ص٥٢٠. حتي، تاريخ سورية، ج٢،ص٢٥٥.

(5) حمارنه، قصب السكر، ص٥١٩. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨١.

بعض اسماء المناطق هناك تحمل اسماء تتعلق بالسكر مثل تل السكر، ووادي السكر وقد تم الكشف في الوقت الحالي عن اثنتين وثلاثين معصرة للسكر في منطقة الاغوار[1].

وصنع السكر في المنطقة الساحلية لجنوب بلاد الشام ففي كابل كان يكرر فيها نوع من السكر الفائق[2]، وكذلك اشتهرت الكرك والشوبك بنوع من السكر الجيد، والذي عرف باسم سكر مونتريال وامتاز بنعومته، وبياضه، وصدر الناتج الى اوروبا[3].

ولجودة السكر المصنع في جنوب الشام كان يصدر الى بلاد الشرق والمغرب معا[4]. وتتم صناعة السكر كما ذكر النويري، بعدة مراحل، تبدأ بنقل الاقصاب من الحقول الى مكان التصنيع، والذي يعمل على هيئة مستطيل طوله اربعون مترا، وعرضه عشرون مترا، وتوجد خلف جدرانه، التي تبنى عادة بالطوب، وعند أحد اطراف البناء يوجد الباب الخارجي، ويدخل منه الى فناء صغير، وفي قباله هذا الباب، وعند نهاية الفناء يوجد مخزن تودع به اعواد القصب بعد احضارها من المزارع، ويزال عن الاقصاب الاوراق. وبعد ذلك تنقل الى مكان اخر(مبنى) ينقسم الى قسمين متساويين بواسطة جدار، ويضم كل قسم من هذين القسمين آلة، أو معصرة تستخدم لاخراج العصير من الاعواد، وهذه الآلة عبارة عن اسطوانتين من الخشب، مثبتين تدوران بشكل معاكس عن طريق ثور مربوط بالآلة يدور حول الآلة.

---

(١) الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٤٣،٢٠٧.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.

(٣) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨١.

(٤) ياقوت، معجم البلد، ج١، ص٢٠٤،٢٠٥.

وتدخل اعواد القصب بين الاسطوانتين الخشبيتين، ويتفاوت مقدار الضغط او العصر الذي تتعرض له الاعواد تبعا لتفاوت درجة اقتراب هاتين الاسطوانتين احدهما من الاخرى، ويستقبل العصير الناتج عن هذه العملية في جرة كبيرة من الفخار، مدفونه أسفل هذه المعصرة، وينقل العصير بعد الحصول عليه بهذه الطريقة الى قسم آخر من اقسام المصنع، مقام الى ظهر جدار طولي من ناحية باب الدخول. ويصب هناك أولا في جرار فخارية، ثم يمضي الى مراجل من النحاس تتفاوت احجامها تقام فوق مواقد عادية مبنية بالطول أما باب المستوقد فيقع خارج المبنى، ويشعل به قش الذرة او قش الحنطة، وبواسطة هذا الوقود تظل النار مشتعلة تحت المرجل، وهناك يغلي العصير غليته الاولى لمدة ساعة، وبعد أن يزال الزبد ينقل العصير الى جرار أخرى ومن ثم يصب العصير في قوالب مخروطية ليتبلور في شكل أقماع من السكر. وبعد أن تمتلىء القوالب توضع فوق متكئات بحيث تكون قمته الى اسفل، ويتم ذلك في ممر مسقوف، حيث يترك ليصفي بعض الوقت في أكياس الصوف ثم يطبخ مرة أخرى، ويعصر ثم ينقل الى دسوت من النحاس، ويسمى هذا السائل بالمحلب، ويعالج مرات حتى يتم التوصل الى العسل ثم يجفف ويضاف اليه مادة عضوية لكي يصبح ابيضا[1]. وتتم عملية عصر قصب السكر بواسطة الابقار كما كان يعتصر كذلك بحجارة تدور بقوة المياه وذكر النويري ان هناك طريقة اخرى لعصر القصب تستخدم فيها السهام (المكابس)[2].

---

(۱) النويري، نهاية الارب، ج۸، ص٢٦٤-٢٦٧.

(۲) النويري، نهاية الارب، ج۸، ص٢٧١. الحسن، احمد يوسف، التقانة في فلسطين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، بحث منشور في كتاب الصراع الاسلامي – الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى، تحرير: هادية دجاني- شكيل برهان الدجاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٤، ص٥٣٧-٥٣٩. وسيشارله فيمابعد: الحسن، التقانة.

Watson, Agricultural, op. cit, P29.

صناعة الورق

استخدم نبات الحلفا المتواجد بكثرة في مدينة طبرية لصناعة الورق، حيث كانت تصدر منه كميات الى المناطق المجاورة، وعرف هذا النوع من الورق باسم الكاغد[1].

ويرجع الفضل في صناعة الورق الى اهل الصين ثم انتقلت هذه الصناعة منها الى سمرقند، ثم الى البلاد الاسلامية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[2]. وتتم صناعة الورق بان يتم استخدام قشر الشجر، والياف الكتان والقنب، وقطع القماش البالية، وشباك السمك البالية كمواد خام[3]، وتقطع هذه المواد الى قطع صغيرة ثم تنقع لفترة طويلة بالماء المخلوط بالرماد العشبي والخشبي، وفيه مادة قلوية تستخدم في المعالجة الكيماوية للمواد الخام على نحو بدائي أو يطبخ بالماء الساخن او البخار ثم تسحق لتصبح عجينة، ومن ثم يطلون الحصير بطبقة رقيقة منها، وبعد تجفيفها تحت اشعة الشمس تصبح ورقا صالح

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤. (الكاغد: القرطاس. واجوده ما صفا لونه، ونعم لمسه، وثقل وزنه وحادت صقالته وقلت اسفاطه. الدمشقي، ابو الفضل جعفر بن علي، الاشارة الى محاسن التجارة تحقيق وتقديم: فهمي سعد، دار الف باء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ص٦٢. وسيشارله فيمابعد: الدمشقي، محاسن التجارة).

(2) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق المعروف بابن النديم،(٣٨٣هـ/٩٩٣م)، الفهرست، ضبطه وشرحه وعلق عليه: يوسف علي الطويل، وضع فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص٢١. وسيشارله فيمابعد: ابن النديم، الفهرست. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ج١، ص٦٩-٧١. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص٢٢٢. ريسلر، الحضارة الاسلامية، ص١٢٥-١٢٦. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٨٢. كوركيس، عواد، الورق أو الكاغد، صناعته في العصور الوسطى، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، لمجلد٢٣، لسنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٤١٧-٤١٨. وسيشارله فيمابعد: كوركيس، الورق. الحاجري، محمد طه، الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، العددان ١٢،١٣، ١٩٦٥، ص١٣٤-١٣٥. وسيشارله فيمابعد: الحاجري، الوراقة.

(3) تشوانغ وي، الاختراعات الاربعة العينية في العصور القديمة، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، ١٩٨١، ص٣٠. وسيشارله فيمابعد: تشوانغ، الاختراعات. كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص٢٤٣. كوركيس، الورق، ص٤٣٠. الحسن، التقانة، ص٥٤٥.

للكتابة، والورق المصنوع بهذه الطريقة ورق خفيف ورقيق يلائم الكتابة[1]. ويذكر ابن باديس وصفا كاملا لكيفية صناعة الورق من القنب على نطاق صغير وهذا نصه:" صفة عمل الكاغد الطلخي: تأخذ القنب الجيد الأبيض فتنقيه من قصبه وتبنه وتسرحه بمشط حتى يلين ثم تأخذ ماء الجير فنقع يوم وليلة الى الصباح ثم يعرك باليد ويبسط في الشمس حتى يجف نهاره كله. ثم يعاد ما في الجير في المساء الاول الليلة المقبلة الى الصباح، ثم يعرك باليد أيضا كالأول ويبسط في الشمس، افعل به ذلك ثلاثة ايام أو خمسة أو سبعة، وإذا بدلت ماء الجير كل يوم مرتين كان أروج، فإذا تناهى بياضه قطعه بالمقراض صغارا ثم انقعه في ماء عذب بيدك سبعة أيام أيضا وغير له في كل يوم الماء فإذا ذهب منه الجير دقه في الهاون وهو ندي فإذا لان ولم يبقى فيه شيء من العقد أخذت له إناءا نظيفا فحللته فيه بالماء حتى يصير مثل الحرير. ثم تعمد الى قالب على قدر ما تريد وتكون معموله مثل السل وهو السمان وتكون مفتوحة الحيطان، ثم تعمد تنصب تحتها قصرية(وعاء) وتضرب ذلك القنب بيدك وتطرحه في القالب وتعدله بيدك لئلا يكون ثخينا في موضع ورقيقا في موضع. فإذا استوى وصفا من مائه على حائط مشرح ثم عدلت بيدك وتركته حتى يجف ويسقط. ثم خذ له الدقيق الناعم الحواري والنشا وتصفين فيمرس له النشا والدقيق في الماء البارد حتى لا يبقى فيه شيء ثخين، وثم يغلى ماء حتى يفور فإذا فار صببته في ذلك الدقيق وحركته حتى يرق، ثم تعمد الى ذلك الورق فتطلي عليه بيدك ثم تلقيها على قصبة فإذا طليت جميع الورق

---

[1] تشوانغ، الاختراعات، ص٣٠.

وجف من طليته من الوجه الآخر ورددته على لوح ورشتت عليه المـــاء رشــا خفيفــا ثم تجمعــه وترزمه ثم تصقله كما يصقل الثـــوب ان شـــاء الله." وكــانت تســتخدم دواليــب المــاء في دق النقب أو من أجل دق لخرق التي كانت تستخدم أيضا في صنـــع الـــورق[1]. وصنـــع الـــورق في مصر والشام من البردى ونبات الحلفـــا.

صناعة الخمور

صنعت الخمور من عصير العنب خاصة[2]، واشتهرت منطقـــة جنـــوب بـــلاد الشـــام في العصور السابقة للاسلام بكرومها، وخمورها التي لا مثيل لهـــا، فكـــانت مرغوبـــة بهـــا ومطلوبـــة في الجوار، والاماكن البعيدة لجودتها. ووجدت معـــاصر كبـــيرة للخمـــور في جنـــوب الشـــام في طبرية، وصفورية، وبيسان، ومجدل الكـــروم[3]. وكـــان العـــرب قبـــل مجـــيء الاســـلام مولعـــين بشرب الخمرة حتى أنهم تغنوا بها في اشعارهم، ومع مجـــيء الاســـلام الـــذي نهـــى عـــن شـــرب الخمر -بالتدريج-، وهذا لم يمنع من استمرار صناعة الخمور، ولكـــن ظلـــت صناعتـــها مقتصـــرة على النصارى دون المسلمين، حيـــث سمـــح للنصـــارى بصناعتـــها وتســـويقها او بيعـــها لغـــير المسـلمين.

---

[1] ابن باديس، الامير المعز، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، مخطوطة دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، الورقة ٧٩. ورد ذكر هذا المخطوط في بحث: الحسن، التقانة، ص٥٤٥.

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٤٢٠. مادة خمر.

[3] زيادة، نقولا، فلسطين من الاسكندر الى الفتح العربي الاسلامي، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، ج٢، (د.ن)، بيروت، ١٩٩٠، ص١٦٤، ١٨٨. وسيشارله فيمابعد: نقولا، فلسطين.

صفورية: كورة وبلدة من نواحي الاردن بالشام، وهي قرب طبرية(ياقوت، معجم البلدان، ص٤١٤).

مجد الكروم وتعرف حاليا باسم مجدل عسقلان، وهي قرية تقع على السهل الساحلي الفلسطيني، (الموسوعة الفلسطينية، مج٤، ص٨٢)

ووجدت هذه الصناعة في الاديرة بشكل خـــاص[1]، وكـــانوا يبيعونهـــا او يســـتخدمونها ببعض طقوسهم الدينية. كما كان بعض العـــرب المســـلمين يعـــاقرون الخمـــرة[2]. واشـــتهرت جنوب الشام بخمورها، وذكرهـــا الشـــعراء في اشـــعارهم نذكـــر منـــها: بيـــت راس في شمـــال الاردن الحالي التي اشتهرت منذ العصر الجاهلي بخمورها، وذكرها حسان بـــن ثـــابت بقولـــه:

كأن خبيئة من بيت راس   يكون مزاجها عســـل ومـــاء

على أنيابها أو طعم غض   من التفاح هصـــرة الجنـــاء

ونشر بها فتتركنا ملوكا   وأسدا ما ينهنـــهنا اللقـــاء[3]

(البحر الوافـــر)

وبقيت شهرة بيت راس بالخمور في العصر العباسي، وقد ذكرهـــا ابـــو نـــواس باشـــعاره بقوله:

دثار من غنية او سليمى   أو الدهماء أخـــت بـــني الحمـــاس

كأن معاقد الاوضاع منها   بجيد أغنا، نـــوم في كنـــاس

وتبسم عن أغر كأن فيه   مجاج سلافة مـــن بيـــت راس[4].

(البحر الكـــامل)

---

[1] الشابشتي، الديارات، ص٢٠٧. العمري، مسالك الابصار، ص٣٣٧.

[2] من الخلفاء الذين اشتهروا بمعاقرة الخمرة، الخليفة الاموي الوليد بن يزيد الذي توفي عام (١٢٦هـ/٧٤٣م) في حصن البخراء باطراف الحجاز. الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص٢١٠، ٢٥٠، ٢٥٣-٢٥٤. اليعقوبي، ج٢، ص٣٣٤. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٣٥٦.

[3] حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: سيد حنفي، حسن كامل الصيرفي، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٤، ص٧١-٧٣. غوانمة، التاريخ الحضاري، ص٨٥.

[4] ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢.

كما اشتهرت بيسان بخمورها، وكذلك عسقلان[1]، والسلد[2]، ومآب[3]، كما تم انتاج الخمور في المناطق التي تكثر فيها زراعة الكروم كسفوح جبال عجلون، والبلقاء، والشراة.

أما صناعة الخمور تتم كمايلي: يجنى العنب عادة في شهر ايلول بعد ان يتم نضجه تماما، ثم يحمل الى معاصر العنب، حيث ينشر في احواض خاصة، أو على الصخر ثم يهرس عن طريق دوسه بالارجل من قبل رجال، وصبيان وفي بعض الاحيان تتم عملية الهرس بواسطة مدحلة(اسطوانه حجرية) وهذا ما يصفه السجستاني في مخطوطه "النخل والكرم" للاصمعي، حيث يقول:" والعواصر حجارة يعصر بها العنب، وهي ثلاثة احجار بعضها فوق بعض، يسيل منها العصير، وتحت العواصر، رقعة اسمها الركوة، والعواصر الارجاء كل واحد منها رحى[4]". ولهذه الطريقة في العصر سلبيات منها بان المعصرة تسحق بذر العنب اثناء حركتها مما يسبب مرارة في مذاق العصير.

وبعد عصر العنب تجمع العصير عبر قنوات ضحلة الى حوض تجميع العصير، ويترك العصير اثناء الليل لترسب الشوائب قشور العنب لان القشور تساعد على التخمير، ويبقى

---

[1] البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٩٢. لومبارد، فجر الاسلام، ص١٩٥.

[2] البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص١٧٣.

[3] ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣.

[4] ابن سيدة، المخصص، ص٧١. معجم الاصمعي، تحقيق: هادي حسن حمودي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨، ص٢٨-٢٩. وسيشارله فيمابعد: المعجم الاصمعي.

العصير في الحوض مدة ست ساعات، ومن ثم يتم تعبئة العصير بعد التصفية في جرار، ويمكن تغطية سطح العصير بزيت الزيتون كي يمنع تصاعد الغازات منه، أو تسوب الهواء من الخارج اليه[1].

صناعة البلسم

لدهن البلسان أهمية خاصة لاستخدامه في العقاقير الطبية، فقد استعمل في علاج العديد من الامراض، فهو يساعد على ادرار البول، وتطهير الجروح، وغيرها من الاستعمالات الطبية. كما أن لدهن البلسان أهمية خاصة عند رجال الدين المسيحي، فهو مقدس يستعملونه في طقوسهم الدينية[2]، ويتم تصنيع دهن البلسم باحداث شقوق في لحاء شجيرة البلسان وأحيانا يترعون الورق فيسيل السائل، ويجمعونه في آوان وقدور خاصة، وبعد ذلك تسد الشقوق خوفا من نزيف العصارة، وموت الشجرة، ثم توضع العصارة في وعاء واسع، تعرض لاشعة الشمس فيطفو الزيت، وتهبط الشوائب، ثم يؤخذ الزيت ويغلى على النار فيكتسب لونا أحمر جذابا، ويسمى عندئذ(دهن البلسم)، وهو أرقى أنواع البلسم وأغلاها[3].

---

(1) Considine, Douglas Maxwell, Foods and Food Production Encyclopedia, Van Nostrand Reinhold, New York, 1982, P.2153-2154.

(2) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨٥-٨٦. فهمي، نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب(اواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٠٦، ٢١٠. وسيشارله فيمابعد: نعيم، طرق تجارة.

(3) غوانمه، تاريخ حضاري، ص٨٥-٨٦. نعيم، طرق تجارة، ص٢٠٧. وانظر: نقولا، رواد المشرق، ص٥٣.

الثروة الحيوانية

تنوعت الثروة الحيوانية في منطقة جنوب بلاد الشام، فالأغنام كانت تربى في منطقة عمان. كما انتشرت تربية الجاموس في شمال الشام وجنوبها، واعتمد أهالي جنوب الشام على لحمها ولبنها في غذائهم[1]، اضافة الى استخدامها في الاعمال الزراعية المختلفة والتنقل.

كما اعتنى الفلاحون في المنطقة بتربية الطيور كالإوز، والحمام، والدجاج، وكذلك الخيل، والبغال، والحمير[2]، كما برعوا في تربية النحل لاستخراج العسل. وكان العسل أنواعا عدة، وأفضله ما رعى السعتر في الاراضي المحيطة بالقدس وجبل عامله والبلقاء[3]. أما السمك فكانوا يستخرجونه من بحيرة طبرية، ومن خليج العقبة (أيلة) [4].

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥.

(٢) القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري(٧٥٦-٨٢١هـ/١٣٥٥-١٤١٨م)، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق: ابراهيم الابياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩، ج٤، ص٨٨. وسيشارله فيمابعد: القلقشندي، انساب العرب.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١،١٥٢.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية في جنوب بلاد الشام

- الصناعات في جنوب بلاد الشـــــام.
  - الصناعات المعدنيـــة.
  - الصناعات الزجاجيـــة.
  - صناعة النسيج.
  - مـــوارد الدولـــة الاقتصاديـــــة والماليـــة مـــن منطقـــة جنوب بلاد الشـــام.
  - المكاييل والموازيـــن.
- التجارة في جنوب بلاد الشـــــام.
  - التجارة الداخليـــة.
  - التجارة الخارجيـــة.
  - السلع التجاريـــة.
- السياحة الدينية - الحج إلى الأمـــاكن المقدســـة -.

الحياة الاقتصادية في جنوب بلاد الشام

١- الصناعات في جنوب بلاد الشام:

تعرف الصناعة بأنها عملية تحويل المواد الخام، من أشكالها الاولية، إلى مواد أخرى يستفيد منها الانسان في مختلف نواحي الحياة ومجالاته.

وقيام الصناعات يعتمد أساسا على وجود المواد الخام اللازمة لهذه الصناعات، وساعد وجود المواد الأولية في جنوب بلاد الشام، على ارتقاء الصناعة فيها على اختلاف الأزمنة والعهود، كما أن وجود المعادن في باطن أرضها ساعد على قيام صناعات معينة، توارثتها الأجيال مع إدخال بعض التحسينات اللازمة عليها، وفق ما تتطلبه الاحتياجات البشرية.

ولقد عملت هذه الصناعات على دعم اقتصاد المنطقة، من خلال تصدير هذه المصنوعات الى الاقطار والمناطق الاخرى.

وكان لكل نوع من أنواع الصناعات سوق خاص كسوق الحدادين، وسوق الناجين(البنر)[١]، ....، وكان كل أهل حرفة أو مهنة لا يختلطون بغيرهم[٢]، وكان لكل حرفة رئيس معين يدير شؤون الحرفة المسؤولة منه، ويعرف باسم شيخ الصنف، وهناك المعلم وهو المتقدم في الحرفة. ويليه الصانع الذي تعلم الحرفة، وأتقنها فأصبح بامكانه فتح

---

[١] ابن الاخوة، معالم القربة، ص٢١١-٢١٨، ٢٢٣،٢٣٨، ٢٥٣-٢٥٩،٣٣٥، ٣٤٢.

[٢] خسرو، سفرنامه، ص٥٦. كلود، تاريخ العرب، ص١٣٩-١٤٠.

حانوت خاص به، ويعمل به بشكل مستقل[1]، وهناك المبتدىء في الحرفة، وهو الذي يريد تعلم حرفة ما، ولكنه في مرحلة التعلم[2]، وهذه المراحل التعليمية ما تزال موجودة حتى في وقتنا الحاضر، ولكن مع وجود اختلافات بسيطة.

وكما لكل حرفة شيخ أو رئيس فإن لها أعراف وأحكام يرجعون اليها في أمورهم المختلفة، وهي متعارف عليها عند القاضي، والمحتسب عند وجود أي نوع من الخلافات[3]. فالعرف المتداول بين الناس يصبح جزءا من القانون يفصل، ويحكم بينهم، وذلك مطبق الى الآن. ومن هذه الصناعات التي اشتهرت بها منطقة جنوب بلاد الشام موضوع الدراسة هي:

الصناعات المعدنية

توفر في منطقة جنوب بلاد الشام المواد الخام سواء كانت معدنية، أو طبيعية ساعدت على قيام الصناعات المختلفة ذات الشأن.

ويأتي معدن الحديد بالمنزلة الاولى بين المعادن الاخرى من الاهمية لما له من استخدامات متعددة في صناعات مختلفة لا حصر لها، بحيث أن الإنسان يطوعها لخدمته، للانتفاع به، وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى:" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع

---

(1) الدوري، عبدالعزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت، دار الطليعة، ط4، 1982، ص68. وسيشارله فيمابعد: الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي.

(2) الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1974، ص108. وسيشارله فيمابعد: الدوري، تاريخ العراق.

(3) وكيع، محمد بن خلف بن حيان، ت(306هـ/928م)، أخبار القضاه، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج2، ص351، 372. وسيشارله فيمابعد: وكيع، اخبار القضاه.

للناس"(سورة الحديد، آية٢٥). ومعنى نزول الحديد، هو خلقه وإعداده لمصالح الناس في الدفاع، والانتفاع[1].

ولقد توفر معدن الحديد في جنوب بلاد الشام في البلقاء في مدينة عمان[2]، وفي جبال الشراة قرب البتراء(سلع)[3]، وجبال عجلون[4]، بالاضافة الى ما تم استيراده من بيروت، والتي اشتهرت بكثرة توفر معدن الحديد في جبالها[5].

ويحتاج صانع الحديد الى العديد من الادوات، لطرق الحديد، وتغيير شكله إلى الشكل المراد تصنيعه فيه، ومن أهم هذه الادوات، والتي بقيت تعرف حتى وقت قريب هي:

١- **الكير**: وهو المنفاخ، وهو زمر ينفخ فيه الحداد، أو جلد غليظ ذو حافات يستخدم في ايقاد النار، كي ترتفع درجة حرارتها، لتؤثر في الحديد، ويصبح لينا ليسهل طرقه، وتشكيله.

٢- **الكور**: وهو المكان الذي يوقد فيه النار، وهو مبني من الحجارة والطين، ويسلط على الكور الكير، ويوضع الحديد على النار ليحمى.

٣- **المطرقة**: وتستخدم لطرق الحديد، تمهيدا لاعطائه الشكل المراد.

٤- **المبرد**: ويستخدم لبرد الحديد.

---

(١) البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (٣٦٢-٤٤٠هـ/٩٧٢-١٠٤٨م)، الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب، بيروت،(د.ت)، ص٢٤٧. وسيشارله فيمابعد: البيروني، الجماهر.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(٣) العمري، مسالك الابصار، ص١٢١. انظر: نقولا، تجارة خارجية، ص١١١.

(٤) غوانمه، التاريخ السياسي، ص١٢٢.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

٥- المشحذ: ويستخدم لشحذ المبرد.

٦- المقراض: وهو للحديد كالمقراض للثوب(المقص).

٧- المشرجع: مطرق لا حروف لنواحيه، ومطرقة، مطولة ولا حروف لنواحيها[١].

ولقد استطاع الصناع في منطقة جنوب بلاد الشام صناعة الحديد ومن الصناعات الحديدية على سبيل المثال: صناعة الاسلحة فقد عني المسلمون منذ صدر الاسلام بصناعة الاسلحة لحاجاتهم الدفاعية في وقت الحرب ومن هذه الاسلحة. وأهمها صناعة السيوف[٢]، والنشاب، والرماح، والدروع المتخذه من الزرد المانع، والنبال، والسهام[٣]. والاقواس[٤]، اضافة الى تصنيع نوع جديد من الاسلحة، وهي النفط[٥]. ومن الصناعات المعدنية الأخرى من الحديد الابر، وقدور القناديل، والتي كان يتم تصنيعها في بيت المقدس[٦]، اضافة الى استخدام الحديد في أعمال البناء كصناعة الابواب، فمدينة بيت المقدس لها ثمانية ابواب من

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط٣، (د.ت)، ج٧، ص٥٥٧-٥٥٩. وسيشارله فيمابعد: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب.

(٢) اشتهرت مؤته في العصر الجاهلي بسيوفها المعروفة بالسيوف المشرفية، لأن مؤته على مشارف بلاد الشام، وبقيت مؤته تحتفظ بهذه الشهرة في العصر الاسلامي، وذكرها الشاعر بقوله:

أبى الله للشم الأنوف كأنهم صوارم يجلوها بمؤتة صيقل

(ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٠)

(٣) اشتهرت قرية عمتا بغور الاردن، بصناعة نوع من النبال يمتاز بقوته، فقيل: ويصنع بها النبل الفائقة. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٣). وانظر: الخازن، الحضارة العباسية، ص٧١.

(٤) اشتهرت مدينة زغر بصناعة الاقواس التي تنسب اليها فيقال: (الاقواس الزغرية)، وكانت الكنائن(تشبه الحقيبة لحفظ السهام فيها)، الزغرية حمراء مذهبة حتى أن العرب كانوا يفتخرون بحملها (القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص١٤٢. الدباغ، بلادنا فلسطين، ق١، ج١، ص١٠٩).

(٥) اشتهرت الاغوار، السواحل الشرقية للبحر الميت بتوفر معدن الكبريت الابيض، الذي كانوا يحفرون عليه، كما كانوا يجلبون من البحيرة المنتنة مادة الحمر(الاسفلت)، ويستخدمون هاتين المادتين في صناعة سلاح النفط، أو قوارير النفط المحرقة. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨. النويري، نهاية الارب، ج١، ص٢٥١. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٩٠. شاكر، جنوب الشام، ص٩٢).

(٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤.

الحديد[1]، كذلك وجد في مدينة الناصرة، وبيت لحم شبابيك مصنوعة من الحديد[2]، وكذلك صنعت الأدوات الزراعية كالمنجل، والفؤوس، والسكة في المحراث من الحديد[3]، وغير ذلك من الادوات والآلات التي ساعدت الإنسان على مختلف الأعمال، ولقد وجد للحدادين سوق خاص بهم، كي لا تكون صناعتهم فيها أذى لمن حولهم خاصة المسجد الجامع[4].

ومن المواد الخام الاخرى التي وجدت في جنوب بلاد الشام، وعرفها الإنسان منذ العصور القديمة، واستخدمها الإنسان، مادة النحاس، فقد وجدت مناجم للنحاس في جنوب المنطقة في وادي عربة، وفي جوار أريحا، وبالقرب من منابع نهر الاردن[5]. كما ورد ذكر النحاس في القرآن الكريم قال تعالى:" يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس"(الرحمن، آية٣٩)، وللنحاس أهمية في الصناعات المعدنية، تقارب أهمية الحديد ويدخل المعدنان في العديد من الصناعات المختلفة، فالنحاس يتكون من نوع من الكبريتيد، وهو (الجالكوبايرانت Chalcopyrinte)، وهو كبريتيد الحديد، والنحاس يحتوي على ٤٣,٥% من النحاس، مما يتطلب تحميضها الى الأوكسيد أولا، ثم صهرها واختزالها الى النحاس[6]. ويعرف النحاس بالمس والقطر[7].

---

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤-١٤٥.

[2] كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص٢١٤.

[3] راجع الفصل الثاني الزراعة في جنوب بلاد الشام، الأدوات الزراعية.

[4] الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٢٥.

[5] حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٩٥، ٣٠٥، ٣٢٧.

[6] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٧٣. جودي، محمد حسين، صناعة النحاس عند العرب وأثرها على الفن الأردني، (د.ن)، عمان، ط٢، ١٩٩٣، ص٥. وسيشارله فيما بعد: جودي، صناعة النحاس.

[7] البيروني، الجماهر، ص٢٤٤.

ولقد صنع من النحاس مختلف الحاجيات المنزلية كالأباريق، والشمعدانات، والمباخر، والصناديق، والزهريات، وغيرها من المصنوعات النحاسية التي برعوا في زخرفتها وعرفت هذه الصناعة باسم الصياغة والتكفيت(تطعيم المعدن بمادة أقيم كتطعيم النحاس بالفضة أو الفضة بالذهب)، واستخدمت عدة طرق لهذه الزخرفة.

أولا: طريقة ترصيع الزخارف والكتابات بالفضة، ثم طلاء غير المرصع بالقير، فتظهر الزخرفة، والكتابات جلية ظاهرة في التحف.

ثانيا: وتتم بعد نقش الزخارف المطلوبة بقلم التحديد، والفولاذ ويضغط عليها من داخل الإناء فتبرز فوق سطح الإناء. وقد يجمع بين الطريقتين الأولى، والثانية في الزخرفة للأواني النحاسية[١]، فهي مادة سهلة التشكيل لا تحتاج الى عناء كبير، ولكن إلى دقة في العمل، وهذه الصناعة معروفة منذ القدم في ايران ثم انتشرت في أنحاء العالم وقامت صناعة التكفيت في التحف النحاسية في مدينة الكرك، وأدى تحريم الاسلام في استخدام الأواني الذهبية والفضية الى أن حل النحاس بدلا منها، وانتشار هذه الطريقة في صناعة التحف النحاسية[٢]. واضافة الى هذه التحف استخدم النحاس مع الحديد في صناعات معدنية أخرى كالأبواب، ففي المسجد الاقصى باب يسمى باب النحاس الأعظم مصفح بالصفر المذهب، وكذلك قبة المسجد الاقصى مغطاه بالصفر المذهب[٣].

---

(١) حودي، صناعة النحاس، ص١٨.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٧. مرزوق، محمد عبدالعزيز، الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه، مكتبة اسعد، بغداد، ١٩٦٣، ص١٤٤. وسيشارله فيمابعد: مرزوق، الفن الاسلامي.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٥،١٤٦.

ومن الصناعات المعدنية الأخرى التي وجدت في جنوب الشام صناعة سك النقود، التي استخدم لسكها معدن الذهب، والفضة، والنحاس، فالدينار يتخذ من الذهب، والدرهم من الفضة، والفلوس من النحاس[1]، ومنذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي تم الاتفاق على نموذج واحد للنقود قام على الدينار الذهبي، والدرهم الفضي[2]. وكانت هذه النقود تحمل أسماء مدينة الضرب، وتاريخ سكها، ولقد وجد في جنوب بلاد الشام عدة دور لسك النقود في الرملة، وعكا، وطبرية، وبيسان، وايليا، وبيت جبرين، ومدينة عسقلان، وغزة وأيلة[3]، وصور[4]. واستخدم الذهب والفضة اضافة الى سك النقود في صناعة الأواني المعدنية التي امتلكتها الكنائس والأديرة لاستخدامها خاصة في الطقوس الدينية النصرانية، وفي بعض الأحيان استخدم كإضافة نوع من الفخامة، والتقدير لأماكنهم الدينية، فيذكر أن الخليفة العباسي المنصور أمر بخلع الباب الذهب الذي عمله الملك قسطنطين لكنيسة القيامة، وحمله الى بيت مال المسلمين[5]. وكان للمواد الخام الطبيعية دور في الصناعات في جنوب بلاد الشام خاصة في عملية البناء كالمنازل، والمساجد، والكنائس، وغير ذلك من أعمال البناء.

---

(1) ابن بعرة الكاملي، كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: عبدالرحمن فهمي، لجنة احياء التراث العربي، مصر، ١٩٦٦، ص١٦. ماكدوال، ديفيد وليام، مجموعات النقود، ترجمة: نبيل زين الدين، مراجعة: حامد الجوهري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص٩.

(2) لومبارد، لويس، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى، ترجمة: عبدالرحمن حميده، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص١٥١. وسيشارله فيمابعد: لومبارد، جغرافية تاريخية.

(3) المبيض، سليم، النقود العربية الفلسطينية، وسكتها من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام ١٩٤٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص١٥٠. وسيشارله فيمابعد: المبيض، نقود فلسطينية. شما، سمير، النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين، مطبعة الجمهورية، (د.م)، ١٩٨٠، ص٣٨-٥٥.

(4) القزويني، آثار البلاد، ص٢١٧.

(5) ماري بن سليمان، (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، أخبار فطاركة كرسي المشرق، من كتاب المجدل للاستبصار والجدل، روما، ١٨٩٩، ص٧٠. وسيشارله فيمابعد: ماري بن سليمان، أخبار فطاركة المشرق.

فوجد مقالع للحجارة البيض في جنوب بلاد الشام، ووصفت بيت جبرين بأنها معدن الرخام[1]، حيث كان الرخام يقطع بمنشار لا أسنان له، بالرمل المكي القاسي، حيث يجعلون المنشار على أعمدة الرخام بالطول، وليس بالعرض، فيخرجون منه ألواحا كألواح الخشب، وهناك عدة ألوان للرخام من الملمع، والأخضر، والأحمر، والأسود، والأبيض، ومن كل لون...[2]، وأجمل استخدام للرخام في بناء المسجد الأقصى في الأعمدة والزخرفة عليها بأجمل ما يكون[3]. وبنيت منازل السكان في جنوب بلاد الشام من الطوب، والحجارة[4]، كذلك تم تبليط الشوارع في المدن[5] لتسهل الحركة في المدن وفي الاسواق ومختلف أرجاء المدينة الواحدة. وكذلك تم تبليط ساحات المساجد[6] كي لا توحل عندما تمطر السماء فيؤذي ذلك المصلين.

كما استخدم في أعمال البناء مادة الحوارة، وهي غير متماسكة تستخدم لتطيين السطوح، وتبييض سقوف المنازل، وهذا المعدن الصخري توفر بكثرة في مدينة عمان، كما تواجد فيها جبال حمر يسمى السمقة، وهو تراب رخو[7]. وإضافة الى ذلك وجد نوع من الحجارة شرقي بيت المقدس يستخرج منه نفط إذا كسر، وجعل في القرعة كما يعمل بالماورد، وإذا أشعل يشتعل مثل الحطب[8]، كما استخرج من البحر الميت الملح المنثور[9]،

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٨،١٥٨.

(2) خسرو، سفرنامه، ص٦٣. احمد اسماعيل، تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص١٩٢.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٥،١٤٦.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٢،١٤٣،١٤٩.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣،١٤٥.

(7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(8) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٠٧.

(9) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

ومن المحتمل أن ابن خرداذبة كان يشير الى المعدن نفسه عندما ذكر:" ويخرج من البحيرة الميتة ملح يصلح للصاغة"[1].

الصناعات الزجاجية

عرفت بلاد الشام صناعة الزجاج منذ أيام الفينيقيين، أما العرب فقد تعلموا صناعة الزجاج، بل وأتقنوه عندما اختلطوا بالحضارات الإغريقية، والرومانية في كل من بلاد الشام، وآسيا الصغرى، ومصر، والاندلس[2]. وبلغت بلاد الشام أوجها في صناعة الزجاج في العصر العباسي، حيث كان يضرب المثل فيه بالرقة والصفاء. فقيل:" أرق من زجاج الشام، وأصفى من زجاج الشام[3]". وقد جاء ذكر الزجاج في القرآن الكريم بقوله تعالى:" مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري"(سورة النور آية ٣٤).

توافرت في منطقة جنوب بلاد الشام المواد الأولية التي يصنع منها الزجاج، وهي الرمل الذي يجتمع مع القلي، ويدام ايقاد النار عليه أياما يجتمع بكثرتها ويتصفى، ويزداد

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٦.

(٢) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٦٣، ص٦٢١. وسيشارله فيمابعد: غوستاف، حضارة العرب. ريسلر، الحضارة العربية، ص١٨٨. زينهم، محمد، تكنولوجيا فن الزجاج، مراجعة: مصطفى عبدالرحيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٧. وسيشارله فيمابعد: محمد زينهم، تكنولوجيا الزجاج.

(٣) الثعالبي، ابو منصور عبدالله بن اسماعيل(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، لطائف المعارف، تحقيق: ابراهيم الابياري، وحسن الصيوفي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٤٢. وسيشارله فيمابعد: الثعالبي، لطائف.

صلابة[1]. ووجد هذا الرمل في جنوب بلاد الشام في المناطق الساحلية: صور، وعكا، وهناك دلائل تشير الى أن هذا الرمل استخدم في صناعة الزجاج منذ القدم[2].

كما توافر في جنوب بلاد الشام حشيشة الزجاج[3]، المستخدمة في غسل الزجاج وتنقيته وهناك طرق عديدة لصناعة الزجاج نذكر منها:

١- الضغط على القالب: وهذه الطريقة تعتبر أول طريقة استخدمها الإنسان في صناعة الزجاج، وتتلخص بأن يتم تحويل خلطة من المواد الزجاجية الى عجينة، وتصب فوق الجسم المراد تشكيله، أو بداخله، ويتم ضغطها على جوانب القوالب[4].

٢- القطع البارد: وتعتبر هذه الطريقة من أوائل الطرق التي استخدمها الإنسان في صناعة الزجاج، وتتم هذه الطريقة بصهر المواد الى كتلة، وتترك حتى تبرد، ليصنع بعد ذلك الشكل المطلوب، وذلك بقطع جوانب الكتلة[5].

٣- النفخ الحر، والنفخ بالقالب: وتتلخص هذه الطريقة باستخدام انبوب معدني توضع بنهايته عجينة الزجاج من الكورة، وينفخ بعد ذلك إلى

---

[1] البيروني، الجماهر، ص٢٢١-٢٢٢. وانظر: عبدالخالق، هناء، الزجاج الاسلامي في متاحف ومخازن الاثار في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦، ص١٣. وسيشارله فيمابعد: هناء عبد الخالق، الزجاج الاسلامي.

[2] خسرو، سفرنامه، ص٦٤. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٣. نقولا، موسوعة فلسطينية، ق٢، ج٣، ص١٦٤.

[3] البيروني، الجماهر، ص٢٢٢. (حشيشة الزجاج: هو نبات يكثر في فلسطين، ويقال أنه يشبه نبات الفوة الجبلية، ويستخدم للحمض الذي يصنع منه القلي، وبه يقوم الزجاج، ويغسل الزجاج بهذا النبات فينقيه، ويجلوه من أوساخه. أبو الخير الأشبيلي، (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق: محمد العربي الخطابي، أكاديمية المملكة المغربية، (د.ت)، ج١، ص٢٤٦).

[4] هناء عبدالخالق، الزجاج الاسلامي، ص٤٣-٤٥.

[5] هناء عبدالخالق، الزجاج الاسلامي، ص٥٩.

الخارج فيشكل الإناء المطلوب تصنيعه، واستخدمت هذه الطريقة في صناعة التحف الزجاجية الخاصة[1].

أما الاسلوب الثاني في النفخ والذي يعرف باسم النفخ في القالب فيتم وضع الكتلة الزجاجية في قالب، ويتم نفخها في داخله، فتأخذ العجينة شكل جدران القالب، واستخدمت هذه الطريقة في صنع الأواني المنزلية إذ أنها أكثر سماكة من الأواني المصنوعة بطريقة النفخ الحر[2].

ومع تطور صناعة الزجاج، تفنن الصناع في زخرفة الزجاج وتلوينه، فوجد الزجاج المموه بالمينا[3]، وكان اللون الأكثر شيوعا في زخرفة الزجاج الملون، اللون الأزرق والذي يحصل عليه من سحق حجر اللازورد[4] مع الزجاج شفاف لا لون له[5]. ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الزجاج في جنوب بلاد الشام، مدينة صور[6]، وقد اشتهرت هذه المدينة بصناعة الزجاج منذ القدم ويعود ذلك الى مهارة الصناع فيها، وجودة المواد الخام المستخدمة في الصناعة حتى أنه كان يوصف بالشفافية الفائقة، وقد ربح التجار الأموال الكثيرة من تصدير زجاج صور للخارج[7] ولدقة صناعة الزجاج في صور تعلم أهالي

---

(1) هناء عبدالخالق، الزجاج الاسلامي، ص٦٠-٦١..

(2) هناء عبد الخالق، الزجاج الاسلامي، ص٢٩،٤٥.

(3) المينا، نوع من الزجاج، يصهر بأكاسيد معدنية مختلفة للحصول على اللون المطلوب كالاحمر، والاصفر، والاخضر، وتزين بها الأواني الزجاجية، والذهبية والفضية فتكسب جمالا وروعة. (البيروني، الجماهر، ص٢٢٤-٢٢٥).

(4) اللازورد: هو حجر رخو رطب أشده إشراقا، وأكثره صفاء اللون السماوي، وكلمة لازورد اطلقها العرب على حجر عندهم لونه سماوي (البيروني، الجماهر، ص٢٧٠).

(5) ديماند، م.س، الفنون الاسلامية،تحقيق: احمد محمد عيسى، مكتبة المعارف، القاهرة، ط٣،١٩٨٢، ص٢٣٨. وسيشارله فيمابعد: ديماند، الفنون الاسلامية. هناء عبدالخالق، الزجاج الاسلامي، ص٨٩.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤. الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٦٥.

(7) هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ترجمة: احمد رضا، مراجعة وتقديم عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ج١، ص١٩١. وسيشارله فيمابعد: هايد، تاريخ التجارة.

البندقية الموجودين في صور، صناعته، وزخرفتــــه[1]، بالإضافـــة الى ذلـــك فقـــد قـــامت صـــور بتصنيع الخرز وتصديـــره الى مختلـــف الأنحـــاء إضافـــة الى الزجـــاج المخـــروط والمعمـــولات[2]، وصنعت المرايا والأطباق في بيت المقدس ونقلت هذه المرايا مـــن القـــدس الى البلـــدان الاخـــرى. ومن هذه المدن التي اشتهرت كذلك بصناعة الزجـــاج خـــلال فـــترة البحـــث مدينـــتي عكـــا، والخليـــل[3].

واستخدم الزجاج كذلك منذ العصور القديمة بصناعـــة الفسيفســـاء، وظـــل مســـتخدما في العصر الاسلامي. وقطع الزجاج هذه عبـــارة عـــن فصـــوص صغـــيرة إمـــا أن تكـــون مـــن الزجاج الملون وبعضه شاف كالجامات، وإما من الحجـــر المعجـــون المغطـــى بـــالذهب، ويطبـــق عليها زجاج رقيق ثم يعجن الشيد(الجص) بالصمغ العربي، ويبسط علـــى الحـــائط، وترصـــع فيـــه هذه الفصوص على أشكال متعددة، كالرسومات، والصور التي تمثـــل حيـــاة الطبيعـــة، أو علـــى شكل الكتابات[4]، وقد ازدانت المساجد الإسلامية بهذا النـــوع مـــن الزخـــارف، ففـــي مدينـــة عمان كان يوجد مسجد ســـاحته مفسســـه[5]، وكذلـــك ازدانـــت جـــدران قبـــة الصخـــرة في المسجد الأقصى بالفسيفساء[6]. والتي لا تزال آثارهـــا موجـــودة الآن.

---

(1) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٤٠٠.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤-١٥٥. وانظر التطيلي، رحلة، ص٩٢.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٧٦. لومبارد، فجر الاسلام، ص٢١٩،٢٢٠. حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٢٣١.

(4) الزيات، حبيب، الفسيفساء وصناعتها قديما من الروم الملكيين، مجلة الشرق، السنة ٣٥،١٩٣٧، ص٣٣٩. وسيشارله فيمابعد: الزيات، الفسيفساء. غوستاف، حضارة اسلامية، ص٦٢٠-٦٢١.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩. غوانمه، عمان، ص٩٣.

(6) العمري، شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل الله، ت(٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: سمير الدوري، منشورات جامعة مؤته – عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ١٩٩٢، ص١٨٥. وسيشارله فيمابعد: العمري، المصطلح.

وهكذا فإن صناعة الزجاج قديمة جدا في منطقة جنوب الشام توارثتها الأجيال فأبدعت في الصناعة، وحتى وقتنا هذا نجد كميات كبيرة من الرمال المستخدمة في صناعة الزجاج، ففي منطقة رأس النقب، توجد رمال تعتبر من أفضل أنواع الرمال في العالم من حيث ملاءمتها لصناعة الزجاج المسطح[1].

صناعة النسيج:

اشتهرت منطقة الشام منذ القدم بصناعة المنسوجات المختلفة وذلك لتوافر المواد الأولية اللازمة: كالأصواف التي أخذت من الأغنام، والماعز، التي كثر تربيتها في هذه المنطقة نذكر من ذلك مدينة عمان بالبلقاء[2]، أما مدينة عسقلان على الساحل الفلسطيني فقد اشتهرت "بقزها الفائق"[3](الخيوط الحرير)، أما الحولة فاشتهرت بزراعة القطن التي استخدمت خيوطه بعد غزلها بصناعة النسيج[4].

اضافة الى وجود المواد اللازمة للصباغة كالنيلة، والزعفران وقد زرعت هاتان المادتان في منطقة الاغوار. أما مدينة صور فقد اشتهرت منذ القدم بمادة الصباغة الارجوانية، وحول ذلك يقول بطريرك عكا يعقوب الفتيري:" أن أهالي صور كانوا أول

---

(1) علوية، احمد عثمان، تواجد الرمال الصالحة لصناعة الزجاج في الاقطار العربية، الاتحاد العربي للإسمنت ومواد البناء. (د.م)، ١٩٩٠، ص٤٣،٤٤. ويوجد مصنع للزجاج في هذه المنطقة يقع بالمقرب من مدينة معان الواقعة جنوب الاردن الحالي.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٨. (يؤخذ من دودة القز، والتي تم جلبها من بلاد الصين في عهد الامبراطور البيزنطي جستنيان الى بلاد الشام. دوكرسو، جاستوف، تاريخ الحرير في بلاد الشام، مجلة المشرق، مجلد١٥، عدد٤، ١٩٦٢، ص٢٨).

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٠.

من صنع لصبغ الارجواني من المريق(الاصداف) وأغلى صبغ ارجواني يعرف بالصوري[1].

ويذكر المقدسي أن أغلب الصباغين، والدباغين في جنوب الشام كانوا من اليهود[2].

وتمر صناعة **المنسوجات** بمراحل هي:

أ- الغزل: فهناك آلات قامت بعملية الغزل للمواد الخام للحصول على خيوط رفيعة تكون صالحة للنسيج، وتغزل هذه الخيوط بواسطة مغزل خشبي يتكون من قطعتين، هما جسم المغزل، ويكون على شكل مخروطي تلف عليه الخيوط المغزولة، والأخرى قرص بيضاوي مثقوب من الوسط مخروط يرتكز عليه جسم المغزل، والغاية منه تعيين حركة المغزل، وارتكاز الخيوط المبرومة، ولا تزال هذه الأداة البسيطة مستخدمة حتى وقتنا الحاضر في بعض المجتمعات الريفية والبدوية بنفس الطرق القديمة.

ب- النسيج: بعد الغزل تصبح الخيوط جاهزة للنسيج، وهنا يأتي دور النول في النسيج، ويطلق على النول اسم الجوخة، وهي حفرة تصنع في ارض الحجرة بحيث تسمح للنساج ان يدخل رجليه فيها، ثم ينصب النول فوق هذه الحفرة بوضع يسهل على الحائك أن يصل خيوط النسيج[3].

---

(1) الفتيري، تاريخ بيت المقدس، ص٥١.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. وانظر: بنيامين، رحلة، ص٣٤-٣٥.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص٥٩٥.

ومن المدن التي اشتهرت في جنوب بلاد الشام بصناعة النسيج مدينة طبرية[١]، وبيسان[٢]، كما اشتهرت طبرية، وقدس بفتل الحبال[٣]، ومن أنواع المنسوجات التي صنعتها طبرية، وقدس، وقامت بتصديرها: من طبرية شقاق المطارح، وبز[٤]، ومن قدس ثياب المنيرة، والبلعسية[٥].

ومن المدن الأخرى التي اشتهرت أيضا بصناعة النسيج: الرملة التي صنعت الميازر[٦]، ومدينة صور التي كانت تصنع الثياب البيض[٧]. كما اشتهرت مدينة أعناك الواقعة الى الشمال من الأزرق(في منطقة الاردن الحالية) بصناعة البسط ذات الرسوم، والنقوش الجميلة والمنسوجات الحريرية التي تنسب اليها[٨].

وهذه المنسوجات كان لها دور في إثراء المنطقة اقتصاديا، والتي صدرتها عن طريق موانئها كميناء صور(الموجود في لبنان حاليا)إلى الدول الأوروبية[٩].

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٩٤.

(٢) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٥٣.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١،١٥٤.

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤.

- الثياب المنيرة: ثياب منسوجة على نيرين. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤).

- الثياب البلعسية: سميت هذه الثياب نسبة الى بلعاس كوره من كور حمص. (ياقوت، معجم البلدان، ص١٤٣).

(٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥.

(٧) الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٥٣.

(٨) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٢. غوانمة، التاريخ الحضاري، ص١١٣.

(٩) فرح، نعيم، اضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام، ودورها في التجارة العالمية في العهد البيزنطي، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ١٩٨٤، العددان، الخامس والسادس عشر، ص١٦٦.

موارد الدولة الاقتصادية والمالية من منطقة جنوب بلاد الشام

تعددت موارد الدولة العربية الاسلامية خلال فترة الدراسة، وذلك لتأمين موارد مالية ثابتة للانفاق على الاحتياجات العامة، وتجمع الأموال في بيت المال وكانت تحصل تلك الأموال من مختلف ارجاء الدولة الاسلامية آنذاك، ومن الواردات التي كانت تحصل من جنوب بلاد الشام نذكر مايلي:

١- ضرائب الأرض

والمقصود هنا بالضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية وهي على نوعين:

أ- الخراج: وهي الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي الزراعية، يدفعها الفلاح إلى المسؤول أو المحصل ليؤديها الى خزانة الدولة[1]. وضريبة الخراج لا تؤخذ إلا مرة واحدة في السنة، ولو زرعت الارض أكثر من مرة[2].

وتختلف قيمة ضريبة الخراج من منطقة الى اخرى بحسب طبيعة التربة، ومدة استغلالها وطريقة ريها، وتحصل من الأراضي المعدة للزراعة بمختلف أنواعها من كروم العنب، والنيلة، والارز... الخ، ومن الطواحين التي تدار أحجارها بمياه السيول[3].

ولقد أورد المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون قوائم مالية عدة تبين مقدار الخراج الذي كان يحصل من منطقة جنوب الشام خلال فترة الدراسة.

---

(١) النويري، نهاية الإرب، ج٨، ص٢٤٥.

(٢) البلاذري، فتوح، ص١٥٢. فالح، الحياة الزراعية، ص١٣٤. وانظر: كلود، تاريخ العرب، ص٨٩-٩١.

(٣) الأسدي، محمد بن محمد بن خليل، من أعيان القرن(٩هـ/١٥م)، التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق: عبالقادر طليمات، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٧، ص١٢٢. وسيشارله فيمابعد: الاسدي، التيسير--

فأقدم قائمة نعرفها للخراج في جنوبي الشام في العصر العباسي ترجع الى عهد الخليفة هارون الرشيد حوالي سنة(١٨٠هـ/٧٩٦م)، ونجد فيها أن:-

خراج الاردن	ستة وتسعون ألف دينار.
خراج فلسطين	ثلاثمائة وعشرون ألف دينار.

اضافة الى أنه كان يحمل من جميع أجناد الشام ثلاثمائة ألف رطل من الزبيب[1].

والقائمة التالية تأتي بعدها بحوالي ربع قرن(٢٠٤هـ/٨١٩م)، أوائل عهد المأمون ومبالغها:

خراج الاردن	مائة ألف وتسعة الآلف دينار.
خراج فلسطين	مائة ألف وخمسة وتسعون ألف دينار[2].

وبعد ذلك بحوالي ربع قرن آخر، في حوالي سنة(٣٣٢هـ/٩٤٣م) في عهد الخليفة الواثق ترد قائمة أخرى هي:

خراج الاردن	ثلثمائة ألف وخمسون ألف دينار.
خراج فلسطين	خمسمائة ألف دينار[3].

--والاعتبار. وانظر: غوانمه، تاريخ المقدس، ص١٠٢. حماش، نجدة، الضريبة الزراعية، وأهميتها في صدر الاسلام، مجلة دراسات تاريخية، العددان٤٣،٤٤، ايلول - كانون الاول، ١٩٩٢، ص٦٧-٨٠.

[1] الجهشياري، ت(٣٣١هـ/٩٤٢م)، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق وفهرسة: مصطفى السقا وآخرون، (د.ن)، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ص٢٨١-١٨٦-١٨٧. وسيشارله فيمابعد: الجهشياري، الوزراء.

[2] ابن قدامة، ابو الفرج جعفر بن زياد البغدادي، ت(٣٢٠هـ/٩٣٢م)، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، وضع مقدمته وحواشيه: محمد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص٧٠. وسيشارله فيمابعد: ابن قدامة، نبذ الخراج.

[3] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٥،٧٦.

الأحداث التي تؤدي الى انخفاض معدل الخراج حسب الظروف السياسية[١]، أو البيئية من جفاف[٢]، أو زلازل[٣]، أو انتشار الجراد[٤].

ب- **العشر**: ضريبة يدفعها المسلم على المحاصيل الزراعية، والثمار على أنها زكاة أو صدقة. وهذه الضريبة تؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها، والتي أحياها المسلمون من الارضين او القطائع[٥].

ويختلف العشر عن الخراج بأن العشر ثابت لا يجوز زيادته بينما الخراج يزيد وينقص، ويشتركان معا بأنهما ضرائب الزروع والثمار[٦].

---

[١] من أهم الأحداث السياسية والتي كانت لها علاقة مباشرة مع الفلاحين، هو ما عرف بثورة الفلاحين(ثورة المبرقع اليماني)، والتي حدثت في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله عام(٢٢٧هـ/٨٤٢م)، (الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص١١٦-١١٨. ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٥٢٢-٥٢٣. وانظر: غوانمه، عمان، ص٩٤،٩٥. حمارنه: صالح، ثورة الفلاحين في فلسطين أيام المعتصم سنة(٢٢٧هـ/٨٤٢م)، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، م٣، (د.ت)،ص٧٧-٧٩. زيتون، عادل، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي في نضاله في القطر العربي السوري، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ج٢، ص٣٨١-٣٨٣).
- أعتبرت هذه الثورة تعبيرا عن مدى سخط الأهالي في جنوب الشام على الحكم العباسي فهي كانت ثورة سياسية واجتماعية واقتصادية معا.

[٢] حدث في عهد الخليفة هارون الرشيد(١٧٠هـ/١٩٣م)، طاعون جارف وصف بأنه شديد ومات خلق كثير مما أدى الى تعطل الارض، وعدم وجود من يقوم على عمارتها. فقام الخليفة الرشيد باعتبارا أرض صوافي وأوكل من يقوم بالعناية بها. (البلاذري، فتوح، ص١٦٣. غوانمه، يوسف حسن، الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام(الاردن وفلسطين) في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٣-١٤، تشرين اول، ١٩٨٣، ص٧٤. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، الطاعون والجفاف.

[٣] حدثت زلازل في بلاد الشام كافة أدت الى حدوث تلف في الأراضي وموت خلق كثير. (اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٤٩١. ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ت(٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في أخبار البشر، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج١١، ص١٩٠، ٣٢٩. وسيشارله فيمابعد: ابن الجوزي، المنتظم.

[٤] ابن البطريق، المجموع، ص٥٥.

[٥] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٢.

[٦] ابو يوسف، الخراج، ص٨٥.

والمحاصيل الرئيسية التي تدفع العشر هي: القمح، والشعير، والنخل، والكرم. لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:" لا زكاة إلا في اربعة التمر والزبيب والحنطة والشعير".[1]

ويدفع العشر كذلك عن الأشجار التي تيبس ثمارها: كالجوز، اللوز، والفستق، والزيتون، لأنها مما يدخر ويكال[2]. والتين يصبح فيه زكاة إذا تم تيبيسه[3]. وكان صاحب ارض العشر يدفع العشر إذا كانت أرضه تسقى بمياه الامطار او العيون أو سيحا، ويدفع نصف العشر إذا كان يتكلف مؤونه في سقايتها بالسواني (قنوات المياه) أو بالنضح(اخراج المياه من الآبار بطريقة الضخ) أو بالدالية(آلة تدار بواسطة الثور أو الحصان لرفع المياه من النهر)[4].

أما بالنسبة للخضار فإنه لا زكاة عليها، بل من أثمانها، وليس منها عينا[5].

٢- المكوس على السلع التجارية

المكوس جمع مكس، وتعني الضريبة او الجباية، كما أنه يعرف على أنه انتقاص الثمن في البياعة، وذلك لأن صاحب السلع يقوم بدفع مبلغ للعشار على ما يقوم ببيعه من السلع[6].

---

(١) ابو يوسف، الخراج، ص٥٢-٥٤. ابو عبيد، الاموال، ص١٩٥.

(٢) ابو يوسف، الخراج، ص٥٢،٥٦،٧١. ابو عبيد، الاموال، ص٢٠٠،٢١٤. القرشي، الخراج، ص١٥٤.

(٣) القرشي، الخراج، ص١٥٠.

(٤) ابو يوسف، الخراج، ص٥١. ابو عبيد، الاموال، ص١٩٣-١٩٤. القرشي، الخراج، ص١١٣،١١٦،١١٧،١١٨. النووي، تهذيب الأسماء، ج٥، ص٤٤٧. وانظر: حماش: الضريبة الزراعية، ص٦٩-٧٣.

(٥) أبو عبيد، الأموال، ص٢٠١. الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٥١.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٢٠.

ويبدو أن هذه الضريبة كانت تدفع على أغلب السلع الموجودة في الاسواق والتي تباع[1]. وكان من ينظر في المكوس يعرف بالوزير فهو الذي يرفع الاموال الى السلطان وبيت المال، ومن حقه بذل النصيحة، وأن يكف أذاه عن الأموال وتخفيف الوطأة عنهم ما أمكنه[2].

وكان المكس يختلف مقداره من وقت الى آخر بحسب وضع الدولة فقد يزيد عن العشر، أو ينقص عنه الى نصف العشر[3].

ولما كانت منطقة جنوب بلاد الشام خلال فترة الدراسة مزدهرة اقتصاديا نظرا لحيوية التجارة فيها البرية والبحرية الداخلية والخارجية، فإنه قد وجد فيها العديد من المراكز التي خصصت لتحصيل المكوس على السلع التجارية، ففي مدينة أيلة (العقبة) كان فيها قباض للمكوس للبضائع القادمة من الحجاز الى مصر برا، أو تلك السلع المتجهة الى دمشق او حلب. ومن ثم تتجه بطريقها الى موانئ انطاكية، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا لتشحن منها الى اوروبا[4]. فأيلة فرضة فلسطين وخزانة الحجاز[5].

كما انه وجد بالقرب من جسر الحسا التابع للكرك مركز لقباض المكوس فالرسوم كانت تؤخذ على البضائع القادمة من الهند والصين وجنوب الجزيرة العربية الى دمشق عن

---

(1) الاسدي، التيسير والاعتبار، ص٧٩. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٢١.

(2) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب، ت(٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٤٨، ص٢٧. وسيشارله فيمابعد: السبكي، معيد النعم.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٥٣١.

(4) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦٦. وله. ايلة، ص٧٣. وله في الحضارة العربية، ص١٦٦-١٦٧. ظلت ايلة مركزا لتجارة الشرق الاقصى طيلة العصور الاسلامية المختلفة، وحتى في فترة الصراع الاسلامي الفرنجي في بلاد الشام.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٢.

طريق جدة[1]. وكذلك وجدت مراكز المكوس في غزة وخان يونس وأسدود وعكا وصور[2]. وكانت هذه المكوس في بعض الاحيان تكون عبئا كبيرا على التاجر لما يدفعه من مبالغ قد تؤدي الى خسارته.

٣- ما يقدمه اهل الذمة للدولة من ضرائب

الذمة: هي العهد والكفالة، وجمعها ذمام، وهي في الفقه الاسلامي العهد الذي يعطى للقوم الذين لا يدخلون في الاسلام عند فتح المسلمين لبلادهم، لا يسترقون، ويؤمنون على حياتهم وحريتهم، ثم على أموالهم، ويعرفون بأهل الذمة[3]. وهم من له كتاب أو شبه (اليهود، النصاري، المجوس، الصابئة) [4]. وكان هؤلاء يعيشون مع المسلمين في وئام تام. وقد كان اهل الذمة يدفعون ضرائب للدولة كالتالي:

أ- الجزية: مبلغ من المال يدفعه اهل الذمة الى خزينة الدولة، مقابل حماية المسلمين لهم وبقائهم على دينهم، وتسقط عنهم اذا دخلوا الاسلام[5]. ومقدار الجزية أقله مقدر شرعا، وأكثره مقدر اجتهادا[6]. والاصل في ذلك قوله تعالي:" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما

---

(1) ابن شاهين، زبدة المالك، ص١٣٢. كان ذلك في العصر دولة المماليك، وقد اشارت المصادر الى اهمية المنطقة وتجارة الشرق الاقصى عبرها.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص٢٤٨. عطا الله، محمود علي، نيابة عزة في العصر المملوكي، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦، ص١٠٢. طراونه، صفد، ص١٧٨.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٢١. دائرة المعارف الاسلامية، ج٩، ص٣٩٠.

(4) الطبري، تاريخ الرسل، ج٣، ص٢٩. الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٨٣. الفراء: ابو يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، ت(٤٥٨هـ/١٠٧٣م)، الاحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد التقي، (د.ن)، (د.م)، ط٢، ١٩٦٦، ص١٥٣. وسيشارله فيمابعد: الفراء، الاحكام السلطانية.

(5) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٨٣. الفراء، الاحكام السلطانية، ص١٥٣.

(6) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٨١.

حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"(سورة التوبة، آية٢٩).

ولا تجب الجزية إلا على الرجال الاحرار العقلاء، ولا تجب على امرأة أو صبي ولا مجنون ولا عبد لأنهم اتباع وذراري[١].

عاش اهل الذمة في منطقة جنوب بلاد الشام وباعداد لا بأس بها متوزعين في مختلف أنحاء البلاد[٢]، إلا أنه لم يوجد فيها من المجوس أو الصابئة[٣]. وكان هؤلاء يدفعون المبلغ المفروض عليهم حسب الشريعة الاسلامية جزاء على الامان الذي أعطاه لهم الاسلام[٤].

ومن الاشارات التي وردت في المصادر العربية الاسلامية التاريخية حول مقدار الجزية التي دفعها اهل الذمة، ما ذكره البلاذري حول السامرة، اذ كانوا يدفعون في البداية جزية رؤوسهم أتاوة(مقابل أن يكونوا أدلاء وعيونا للمسلمين)، ثم جاء يزيد بن معاوية فوضع الخراج على أرضهم، وفرض دينارين جزية على الرأس ممن يقيمون في جند الاردن، وخمسة دنانير على من يقيمون في جند فلسطين، ففي سنة(٢٤٦هـ/٨٦٠م) أي في عهد

---

[١] الماوردي، الاحكام السلطانية، ١٩٨٣. الفراء، الاحكام السلطانية، ص١٥٣. البهلوي العماني، ابو محمد، عبدالله بن محمد بن بركة، كتاب الجامع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٧١، ص٦٣٢.

[٢] اليعقوبي، البلدان، ص٨٩. المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١،١٤٤.

[٣] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٣.

[٤] الماوردي، الاحكام السلطانية، ص١٨١.

الخليفة العباسي المتوكل بالله، رفع جماعة من السامرة امرهم للخليفة يشتكون فيها ثقل الضريبة(الجزية) عليهم فقام بانقاصها الى ثلاثة دنانير[١].

ب- **الضرائب التجارية:** فرض الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب على أهل الذمة. مقدار نصف العشر في المال الذي يتجرون به مرة في السنة اذا انتقلوا به من بلد الى آخر، فهي أشبه بالضريبة الجمركية في وقتنا الحاضر[٢].

ووجد بعض التجار من طائفة اليهود في هذه الفترة[٣] وهم الذين تاجروا بمختلف السلع وتنقلوا في انحاء مختلفة من العالم المعروف آنذاك، وأشهرهم التجار الراذانيون. نسبة الى راذان في العراق[٤].

---

[١] البلاذري، فتوح، ص١٦٢-١٦٣. ترتون، أ.س، اهل الذمة في الاسلام، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٧، ص٢٤٤. وسيشارله فيمابعد: ترتون، اهل الذمة.

[٢] ابو عبيد، الاموال، ص٢١٣. القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٧٧، ص٣٦-٣٩. ترتون، اهل الذمة، ص٢٦١-٢٦٤.

[٣] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

[٤] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣١. ابن الاثير، اللباب، ج٢، ص٥.

المكاييل والاوزان

عرفت منطقة جنوب بلاد الشام مكاييل متعددة الأنواع في العصر الاسلامي، وهي:- القفيز: ويذكر المقدسي أن القفيز الواحد في الرملة يساوي أربع ويبات[1]، أي ثمانية مكاكيك، فتساوي أربعة وعشرين كيلجة[2]، كل كيلجة صاع ونصف، إذن فالقفيز في الرملة يساوي ستة وثلاثين صاعا. أما فقيز عمان فيساوي نصف كيلجة[3]، أي صاع وربع.

- الصاع: مكيال شرعي يساوي أربعة أمداد، أو خمسة أرطال، وثلث رطل مدني (نسبة للمدينة المنورة)، أو ثمانية أرطال بغدادية[4].

- المد: المد في بيت المقدس يساوي ثلثا قفيز، والقفيز أربع ويبات[5]، ويساوي ٢٤ صاعا. أما في عمان فكان مدها ستة كيلجات[6]، أي حوالي تسعة صيعان[7]. وبه يبيعون الزبيب والقطين[8].

- المكوك: مكيال، وكان يستعمل في الرملة، ومكوكها ثلاث كيالج، أي أربعة صيعان ونصف[9].

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٢) هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية ومايعادلها بالنظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ط٢، ١٩٧٠، ص٧٥. وسيشارله فيمابعد: هنتس، المكاييل والاوزان.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢١٥.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٧) هنتس، المكاييل والاوزان، ص٧٥.

(٨) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

- **الكيلجة**: مكيال والجمع كيالج[1]، والكيلجة في الرملة وعمان تساوي صاعا ونصف، أما في صور فتساوي صاعا[2].

- **الويبة**: مكيال يستعمل في الرملة، ويساوي مكوكان[3]، ومكوك الرملة- كما ذكرت سابقا - يساوي ثلاث كيلاج، أي أربع صيعان ونصف.

- **الغرارة**: مكيال، فغرارة غزة تساوي ٣٠٦,٥كغم من القمح، وغرارة القدس ٦٢٣,٥ كغم من القمح[4].

- **القب**: مكيال ويعادل ربع المدي أي ٦ صاعات[5]. وتنفرد به مدينة بيت المقدس[6].

ومكيال المكوك لا يستعمل إلا في كيل السلطان[7] عند دفع الخراج العيني، ويبدو أن مكاييل الرملة كانت تستعمل في سهول فلسطين كلها[8].

وأما في الأوزان فالرطل هو الوحدة - ولكن وزنه يختلف من بلد إلى آخر، وبصورة عامة فهو يساوي ٦٠٠ درهم في عكا" وهو أفضل الأرطال". ويقل عن ذلك في غيرها من المدن حسب قول المقدسي، ويقسم الرطل الى ١٢ أوقية وزن الأوقية من خمسين

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٥٢.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٤) هنتس، المكاييل والاوزان، ص٧٥.

(٥) هنتس، المكاييل والأوزان، ص٧٥.

(٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(٨) شاكر، جنوب الشام، ص٩٢.

إلى بضع وأربعين درهما. والسنج[1] متقاربة في النقود، والدرهـــم ســتون حبــة، والحبــة شــعيرة واحدة، والدانق عشر حبات أي عشر الدرهم، وهناك الدينار وهــــو أربعــة وعشــرون قيراطــا، والقيراط ثلاث شعيرات ونصف(خمس الغــرام تقريبــا[2]).

إذن فالملاحظ أن المكاييل والأوزان لم تكــن موحــدة في جنــوبي الشــام شــأنها ذلــك شأن البلدان الأخرى في تلك العصــــور.

---

[1] السنج: العملة، وسنجة الميزان ما يوزن به الرطل.

[2] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

التجارة في جنوب بلاد الشام

تقاس قوة الأمم، بقوة اقتصادها، الذي يقوم بالدرجة الأولى على التجارة، التي هي عملية البيع والشراء، للوصول إلى الهدف الأساسي، ألا وهو الحصول على الربح الوفير.

فالدمشقي يقول في ذلك:" وأصل التجارة في البيع والشراء، أن يشتري من زاهد، أو مضطر إلى أخذ الثمن، ويبيع من راغب أو محتاج إلى الشراء، لأن ذلك من أوكد الأسباب إلى مكان الاستصلاح في المشتري، وتوفر الربح"[(١)].

ولقيام تجارة ناجحة لابد من توافر العوامل الأساسية لذلك، والتي وجدت في منطقة جنوب بلاد الشام من منتوجات، وصناعات متنوعة، فالمقدسي يذكر:" أن التجارة بها مفيدة[(٢)]". فجنوب بلاد الشام تعد مصدرا من مصادر الثروة الزراعية، والصناعية، التي قامت على تصديرها الى مختلف الأنحاء. اضف الى ذلك الموقع الاستراتيجي لمنطقة جنوب بلاد الشام الواقع بين القارات القديمة الثلاثة: آسيا، وأفريقية، وأوروبة. فهي كجسر يربط هذه القارات ببعضها، فالمنطقة تعتبر عقدة مواصلات متنوعة، من طرق برية. كان للتباين في الظواهر الطبيعية، واختلافها في الامتداد والارتفاع أثر واضح في تحديد الطرق والمسالك التي سلكتها القوافل التجارية.

---

(١) الدمشقي، محاسن التجارة، ص٩٧، وانظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، ت(٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١، ج١، ص١٠٣. وسيشارله فيمابعد: ابن خلدون، تاريخ. وانظر: الخازن، الحضارة العباسية، ص٧٧.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٢. شاكر مصطفى، جنوب بلاد الشام، ص٩٢. وانظر: كريم، جمعه محمود، أثر تجارة المحاصيل الزراعية على نشوء الطرق التجارية في غور الأردن(درب القفول) منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية العصر العباسي. مجلة دراسات تاريخية، العدد١٥، سنة ١٩٩٦، ص١٤٥-١٤٩.

واشراف جنوب بلاد الشام على واجهتين بحريتين ساعد على اتصالها بالتجارة الشرقية من خلال البحر الأحمر، والتجارة الاوروبية من خلال البحر المتوسط، فهي كوسيط تجاري بين الشرق والغرب. وهذا ليس بجديد على تجار جنوب بلاد الشام، فالأنباط من قبل كانوا أكبر وسيط تجاري في وقتهم.

ولأهمية التجارة، ودورها في الاقتصاد الأمر الذي لم يخف على الخلفاء العباسيين، فعملوا على تسهيل سبلها، وحفر الآبار، وأقاموا المحطات على طرق القوافل التجارية وغيرها وقاموا ببناء الأساطيل لحماية السواحل من إغارات اللصوص البحريين، والقراصنة[1]، كما وضعت الإشارات الدالة على الطريق[2]، وبناء الفنادق والخانات في المدن[3]. وقبل ذلك كله توفر الأمن والاستقرار، الذي كان يتذبذب حسب الأوضاع السياسية في جنوب بلاد الشام. فقد ظهر في المنطقة العديد من الفتن التي هددت أمن واستقرار جنوب بلاد الشام، خاصة وأن العصبية لعبت دورا في ذلك، بين القيسية، واليمانية[4].

---

(١) حسن، حسين الحاج، حضارة العرب في العصر العباسي، الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٠٧. وسيشارله فيمابعد: حسين الحاج، حضارة العرب. نقولا، عربيات، ص١٠٣.

(٢) احمد رمضان، الرحلة، ص٩.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣. خسرو، سفرنامه، ص٦٣. سترانج، فلسطين، ص٢٥٣.

(٤) قرب العباسيون القيسيين ليكونوا مساندين لهم، ومؤيدين، وأبعدوا اليمانية عنهم، وبذلك لم يدركوا مدى خطورة ذلك، فالتفرقة هذه كانت من أهم اسباب سقوط الدولة الأموية، ومن الفتن القبلية التي حدثت، ماحدث في زمن الخليفة هارون الرشيد حيث هاجت العصبية بين القيسية واليمانية، في البلقاء سنة(١٧١هـ/٧٨٧م)، وما أن أخمدت على يد موسى بن يحي بن خالد البرمكي حتى عادت الفتنة الى الظهور مرة أخرى عام(١٨٠هـ/٧٩٦م)، فاغتم الخليفة هارون الرشيد لذلك، وكان الفضل في اخماد هذه الفتنة الى جعفر بن يحي البرمكي، حيث أعاد الأمن والطمأنينة الى البلقاء.(عن هذه الفتنة انظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٤٠. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٢٨، ومابعدها)

ومن الفتن القبلية ماحدث في عهد الخليفة المأمون عام(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، عندما قامت حركة مناوئة للعباسيين، وبدأت من قرية الفدين(المفرق حاليا)، بقيادة سعيد بن محمد بن عبدالله بن عمرو ابن عفان الفديني الذي ادعى الخلافة، فخرج وأغار على ضياع السعديين في البلقاء، وأخذ يغير على القيسية ويفتك بهم، ويتعصب لليمانية فما كان من والي دمشق إلا أن أرسل محمد -

ولكن الخلفاء العباسيين تمكنوا من اخضاع هذه الفتن وقد ساعد ذلك على تنشيط التجارة التي تقسم الى نوعين: داخلية، وخارجية، فالداخلية تقوم بصورة طبيعية بين المدينة والريف، وبين المدن نفسها، والمناطق الريفية مع بعضها. أما الخارجية: فهي تقوم بين المنطقة والبلاد المجاورة لها، أو البعيدة عنها.

أولاً: التجارة الداخلية

لعبت الأسواق دورا مهما في التجارة الداخلية، فالازدهار الاقتصادي، ينعكس على ازدهار الاسواق وعمارتها.

فالأسواق تمثل مراكز النشاط التجاري بصورة، ومراحله المختلفة التي انعكست انعكاسا مباشرا على نمطية الأسواق، وأنواعها، فمنها الأسواق المحلية الاسبوعية، والسنوية والموسمية، ومعظم الأسواق في الشرق كانت محلية، ودائمة يعقد بعضها في أيام معينة بالاسبوع[1].

فالمسلمون اعتادوا عند تخطيط المدن وبنائها بأن توضع الأسواق في وسط المدينة بجوار المساجد الجامعة – مركز المدينة –[2]، وبذلك تكون قريبة من التاجر والمشتري، وكل ينال حاجته. كما اهتم المسلمون بطرق المواصلات في الأسواق باعتبارها منطقة ازدحام

= ابن يحي بن صالح الذي بقي يحاربه، ومن معه حتى حاصره في حسبان مدة طويلة أدت الى تفرق أصحاب الفديني، وصار وحيدا. (ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص١٢٧–١٢٨. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٠–٢٤١).

[1] اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٧٠. الهمذاني، لسان اليمن، الحسن بن احمد بن يعقوب، ت(٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط٣، ١٩٨٣، ص٤٢. وسيشارله فيمابعد: الهمذاني، جزيرة العرب. حمور، عرفان، أسواق العرب عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب، دار الشورى، بيروت، (د.ت)، ص٤٧. وسيشارله فيمابعد: حمور، أسواق. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة، ص٢٨١.

[2] المعايطة، زريف، الأسواق في بلاد الشام في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٩٠، ص١. وسيشارله فيمابعد: المعايطة، الأسواق.

لتسهيل حركة المرور، وكان بناء الأسواق في جنوب بلاد الشام- كما في البلاد العربية والاسلامية- تتجمع في مكان واحد، أو تمتد على جانبي الشارع وتكون مسقوفة إما بالحجارة أو الخشب[1].

وقد كان يجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا تختص بهم، وتعرف صناعتهم فيها[2]، وبذلك وجد لكل طائفة من التجار سوق خاص لبيع بضاعتهم، وكان يتم تأمين كافة مايلزم لتنشيط التجارة، وذلك بتقديم الخدمات التجارية للتجار، وتجارتهم من خلال ما كان يعرف بالقيساريات[3]. وكان للسوق مراقب يتابع أحواله يعرف بصاحب السوق[4]، الذي يراقب البضائع ومعرفة ما إذا وجد فيها أي نوع من الغش، وغير ذلك من الأعمال التي تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أشارت كتب الحسبة الى ذلك بشكل مفصل.

وكانت التجارة الداخلية في جنوب بلاد الشام تقوم على الحاصلات الزراعية، والإنتاج الصناعي والمعدني، وغالبا ما كان يقوم المنتجون أنفسهم ببيع بضاعتهم، فهم

---

(1) ترجع فكرة تغطية الأسواق الى عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م)، الذي اهتم بانشاء الاسواق على هذه الهيئة في مدن الامصار. (السمهودي، محمد محي الدين عبدالحميد بن احمد المصري، فاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد النمنكاني، (د.ن)، (د.م)، ١٩٥٥، ص٢٥٤، ٢٦٣. وسيشارله فيمابعد: السمهودي، فاء الوفاء).

(2) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١١، كردعلي، خطط الشام، ج٤، ص١٧٣.

(3) القيساريات: وهي أبنية تقوم مقام الأسواق، وهي كلمة غير عربية، ويبدو أنها محرفة عن الكلمة اللاتينية من اسم قيصر (Cesar)، أو قيصرية (Caesarea) أو (Cesaire)، ولقد ظهرت هذه المنشآت في بلاد الشام قبل مصر، وهي منشآت ومساكن للتجار القادمين من خارج المدينة أو الدولة. ويبنى فوق هذه المؤسسات رباع، فيها عدة مساكن تؤجر الطوائف معينة للتجار، أو السكنى العامة. (المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار التحرير للطبع، (د.م)، ١٢٧٠هـ، ج٣، ص١٤٤. وسيشارله فيمابعد: المقريزي، الخطط. ياقوت معجم البلدان، ج٤، ص٢٥٠. دائرة المعارف الاسلامية، ج١١، ص٧٠٠. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦٠. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة، ص٢٩٥، ٢٩٦. وانظر: محمد، رفعت موسى، الوكالات والبيوت الاسلامية في مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (د.ت)، ص٣٧).

(4) زيادة، نقولا، الحسبة والمحتسب في الاسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٣، ص٣١. وسيشارله فيمابعد: نقولا، الحسبة.

صناع أو تجار، أو مزارعون معا، ولكن هذا لا يمنع من وجود متخصصين بالتجارة، والمعاملات التجارية[1].

فالمدن بصورة عامة توجد بها الأسواق العديدة لخدمة القرى والأرياف المحيطة بها، فهي مخازن لإنتاجها، ومراكز تبيع لها ما تحتاج إليه من مواد[2]. فكان يعقد في المدن الأسواق الريفية الاسبوعية، ويجلب إليها أهل الريف الفائض من إنتاجهم ليباع في أسواقها نقدا أو مقايضة[3]، ولأجل ذلك كانت تقام أسواق خاصة خارج المدن[4].

واشتهرت مدن بلاد الشام، ومنها القسم الجنوبي بتعدد أسواقها التي كانت تجارية في أسباب نشأتها[5]، والتي تعددت وضمت بضائع وسلعا متنوعة، واعتبرت كما ذكرت مركزا للتجارة الداخلية، فمدينتي الرملة وطبرية عدتا من المراكز التجارية الهامة في منطقة جنوب بلاد الشام باعتبارهما عاصمتين لجنوبي فلسطين والاردن، إضافة لأنهما كانت مركزا

---

(1) عرف في العصر الإسلامي ثلاثة أنواع من التجار هم: الركاض، والخزان، والمجهز. فالركاض: هو التاجر الذي يتعامل مع بلدان مختلفة، ويحمل معه رقعة باسعار البلد الذي يريد العودة إليه، ويضيف ذلك الى نفقات النقل والمكوس، وما يحتاج اليه من مؤن حتى يصل الى محل بيعها، ثم يقارن ذلك بالسعر الموجود في الرقعة الأولى ليتأكد من ربحه، ويجب عليه إذا دخل بلدة لم يعرفها أن يتقصى عن الوكيل المأمون، والموضع الحريز، ويتقصى أخبار السوق قبل أن يتمم أي صفقة تجارية حتى لا تخسر. (الدمشقي، محاسن التجارة، ص١٠٥-١٠٧).

الخزان: هو التاجر الذي يشتري البضائع في وقت كثرتها بالأسواق، وقلة طالبيها، الى وقت تكون فيه البضاعة شحيحة الوجود كثيرة الطلب عليها، وعليه ان يتعرف على أحوال البضاعة، وسهولة نقلها، وأن يلم بأخبار السوق، وكذلك أحوال السلطان الذي يعيش هو في بلده لما في ذلك من مصلحة تعود عليه بالفائدة، والربح. (الدمشقي، محاسن التجارة، ص١٠١-١٠٥).

المجهز: وهو التاجر الذي لا ينتقل من مكان إلى آخر، إنما يعتمد على الوكلاء أن تكون لديهم الخبرة في بيع البضائع، وشرائها، كما أن المجهز يجب أن يكون أمينا، وله في بيع البضائع نسبة من الأرباح، وكذلك في الشراء.(الدمشقي، محاسن التجارة، ص١٠٧).

(2) المعايطة، الأسواق، ص١.

(3) شالميتار، بدرو، المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد تعلب، مقالات مختارة من حلقة التدارس التي عقدت بمركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية، جامعة كمبردج، المملكة المتحدة، اشرف على النشر: ر.ب سرجنت، اليونسكو، (د.م)، ١٩٨٣، ص١١٠-١١٢. وسيشارله فيمابعد: شالميتار، المدينة الاسلامية. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨٢. جب، هاملتون، المجتمع والغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج١، ص٥٢. وسيشارله فيمابعد: جب، المجتمع والغرب.

(4) المعايطة، الاسواق، ص٦.

(5) حمور، الاسواق، ص١٩٨.

لشبكة مواصلات تتفرع إلى كافة أرجاء المنطقة - كما سيذكر لاحقا- وجوارها تنطلق منها القوافل التجارية والبريد[1].

فالرملة تقع في منطقة سهلية قريبة من المناطق الجبلية، سهلة الاتصال مع الساحل، ومحاطة بالعديد من القرى، والمدن الكبيرة والمزارع، ومن هنا فقد كانت تجارتها رائجة، وأسواقها مملوءة بالبضائع، وفيها خدمات مريحة كالفنادق(الخانات)، والحمامات[2]، ويذكر ابن شداد أسواق الرملة بقوله:" ولم تزل منذ مصرت عامرة بالأسواق، ودار الارزاق، ينتابها السفار، ويحيط بها التجار"[3]. وأسواق الرملة كغيرها من الأسواق في المدن العربية الاسلامية في ذلك الوقت كانت متخصصة بالسلع، فاشهر أسواقها: سوق البز(المنسوجات)[4]، وسوق القماحين، وسوق القطانين، وسوق العطارين، وسوق الخشابين، وسوق السراجين[5].

وازدهرت التجارة في مدينة الرملة في فترة الدراسة فكان بها للتجار، الوكلاء لتصريف الأمور التجارية المتنوعة، حتى أن ابن كلس الوزير الفاطمي اشتغل بها كوكيل للتجار[6].

---

(1) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٤-٧٧. ابن قدامة، نبذ الخراج، ص٣٩-٤٠.وانظر: شاكر، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، مج٢، ص٤٨١.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣. سترانج، فلسطين، ص٢٥٣.

(3) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة(قسم لبنان)، ص٢٥١. ابن بطوطه، الرحلة، ص٥٦.

(4) ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص٦١. وسيشارله فيمابعد: ابن القلانسي، ذيل دمشق.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص٢٦٨. جودة، الرملة، ص٢٦٥-٢٦٧.

(6) ابن الصيرفي، حسين الدين علي بن بحيب بن سليمان. (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٢، ص١٩-٢٣. وسيشارله فيمابعد: الصيرفي، الوزارة. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد، ت(٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩، ج٧، ص٢٧-٢٩،٣٣. وسيشارله فيمابعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

أما مدينة طبرية فاشتهرت بحسن أسواقها، والتي تقع بالقرب من المسجد، وتمتد من أحد أبوابها حتى الباب الآخر، ووجدت قرى عديدة حولها تمدها بالسلع، ولعبت بحيرة طبرية دورا في نقل البضائع من جهة الى أخرى. أما جسر الصنبرة الواقع عند الطرف الجنوبي للبحيرة فقد كان همزة وصل للطرق المؤدية الى دمشق وغيرها[1].

أما بيت المقدس فإن أهميتها التجارية تكمن في أنها من المدن المقدسة عند المسلمين، والنصارى، واليهود، حيث يزورها الحجاج سنويا وبأعداد كبيرة يلتقون على أرضها، ويتبادلون البضائع، وكان الأهالي فيها يقومون بأنشطة تجارية مع الزائرين الى الأماكن المقدسة، وقد وصفت القدس بأسواقها العظيمة[2] المتشعبة وفنادقها العديدة، إلا أن الضرائب فيها كما يقول المقدسي ثقيلة في كل ما يباع[3].

وكان يقام في بيت المقدس في الخامس عشر من شهر أيلول(سبتمبر) من كل عام سوق كبير يفد إليه التجار من مختلف البلدان، يتبادلون السلع والبضائع التجارية المتجمعة في أسواقها[4]. كما قسمت الأسواق في بيت المقدس حسب السلعة التي تباع فيها، كباقي الأسواق في المدن الإسلامية فمنها: سوق اللحم، وسوق القماش، وسوق الصاغة، وأسواق لبيع السمك والدجاج والحمير، وأسواق الخضار والفواكه، وأسواق لبيع البهارات، وأخرى لبيع القمح، وسوق الطباخين(المأكولات الجاهزة)، وأسواق القطن، وغير ذلك من الأسواق

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٠-١٤١. سترانج، فلسطين، ص٢٧٥.

(2) خسرو، سفرنامه، ص٧٣.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(4) The Travels of Bishop Arculf In The Holy Land A.D 700. In Early Travels In Palestine, P.1

التي كان بعضها مسقوفا، والبعض الآخر كان مكشوفا[1]. واشتهرت مدينة عجلون بأسواقها الحسنة، فبالرغم من ورود ذكرها متأخرة إلا أنه لابد أن وجودها كان قائما قبل ذلك بوقت طويل[2]، ومن هذه الأسواق: سوق الأدميين(الجلود)، وسوق القطانين، وسوق الحصريين، وسوق الاقباعيين، وغيرها من الأسواق، كما وجدت الى ذلك الحوانيت مثل: حوانيت الطباخين، والعلافين[3].

ومن مدن بلاد الشام التي اشتهرت بتجارتها وأسواقها، مدينة عمان التي وصفت بكثرة مزارعها وقراها، ورخص الأسعار، وكثرة الفواكه فيها[4]، وعلاقاتها الطيبة بما حولها من مدن وقرى فهي ترتبط بشكبة من الاتصالات، والمواصلات مع العراق والحجاز، وبقية المدن الشامية[5]. ومدينة زغر والتي وصفت باتساع تجارتها كأنها البصرة الصغرى، وهي المتجر المربح[6]، فهي تقع على لسان البحر الميت من الجنوب، وأهميتها تأتي من وقوعها على طريق أيلة(العقبة)- القدس المارة بالخليل، حيث كانت القوافل تقطعها بثلاثة أيام، كما أن موزها ونيلها وخيراتها الأخرى كانت تحمل الى أريحا بالسفن الصغيرة التي تجوب

---

(1) غوانمه، يوسف حسن، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة، الزرقاء، ١٩٨٢، ص٨١. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، بيت المقدس. الامام، رشاد، مدينة القدس في العصر الوسيط، (٦٥١-٩٢٢هـ/١٢٥٣-١٥١٦م)، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٧، ص١٢٧، ١٥٠-١٥٣. وسيشارله فيمابعد: الامام، مدينة القدس.

(2) ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٧.

(3) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٥٩. وله صفحات، ص١٠٤-١٠٥. دراج، احمد، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨، ص٦٨. وسيشارله فيمابعد: دراج، وثائق.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٠٥،٢٠٦. غوانمه، عمان، ص١٦٣.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٢.

البحر الميت شمالا إلى أريحا، وقد ذكرها ابن حوقل حول ذلك بقوله:" بأنها حارة جرومية متصلة بالبادية، صالحة الخيرات، وفيها تجارة واسعة، ومقصد كبير"[1].

أما مدينة نابلس فقد كانت أسواقها كبيرة، فالمقدسي يذكرها بقوله:" سوقها من الباب إلى الباب إلى نصف البلد، والجامع وسطها مبلطة نظيفة"[2].

ومن المدن الساحلية التي عرفت بحسن أسواقها، وكثرة بضائعها، وذلك لوقوعها على ساحل البحر، مدينة غزة التي تعتبر نقطة التقاء لتجارة بلاد الشام مع تجارة الديار المصرية[3]، ولذلك فقد استمرت خلال العصر الإسلامي مزدهرة تجاريا فلذلك وصفت بحسن أسواقها[4]. ومدينة عسقلان التي كانت عامرة بالأسواق[5]، لكثرة فواكهها، ومحاسنها[6].

أما مدينة صور فقد ازدهرت بشكل ملحوظ من الناحية الاقتصادية، فأسواقها كانت عامرة بالبضائع، لدرجة أن سكانها اشتهروا بالغنى وكثرة المال[7].

والمدن الساحلية الأخرى التي اشتهرت بازدهار تجارتها وأسواقها العظيمة، مدينة أيلة(العقبة)، الواقعة على الطرف الشرقي للسان البحر الاحمر(القلزم)، فهي بذلك نقطة

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٣٣، ١٥١.

(2) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٢.

(3) الاصطخري، المسالك، ص٥٩. المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٩.

(4) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٦٣. ابن بطوطه، الرحلة، ص٥١.

(5) خسرو، سفرنامه، ص٦٢، ٦٣. المنجم، آكام، ص١٣. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٤٣.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٨.

(7) خسرو، سفرنامه، ص٥٢.

التقاء قوافل الحج المصري والمغربي، وقافلة الحج الشامي، فهي إحدى محطات الاستراحة التي ينزل بها الحجاج والتجار لينطلقوا منها الى الحجاز، اضافة الى أنه من خلال مدينة أيلة تتوفر بضائع الشرق، ولذلك اشتهرت بأسواقها العامرة، ونشاط تجارتها[1]. كما أنه كان فيها دار لضرب السكة، وهي أحد المراكز لقبض المكوس. لورود المراكب التجارية المحملة بسلع الشرق الاقصى والسواحل الافريقية إليها[2]. كما كان يربطها طريق معبد منذ العصر الروماني والبيزنطي ببصرى في جنوب دمشق ودمشق نفسها، وظل هذا الطريق الذي ينقل السلع والبضائع مستخدما في العصور الاسلامية المختلفة. وقد اهتم الامويون والعباسيون والفاطميون بمدينة أيلة لأهميتها التجارية.

وقد ارتبطت مدن جنوب بلاد الشام بشبكة من المواصلات الداخلية السهلة، سواء للتجار وبضائعهم أو للمسافرين. فمدينتا الرملة، وطبرية بحكم مركزهما السياسي، وموقعهما الجغرافي ارتبطتا بعقدتي مواصلات متميزة تربطهما بالقرى والمدن الأخرى على النحو التالي[3]:

---

(1) الحميري، الروض المعطار، ص٧٠.

(2) ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، ت(٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٠٨. وسيشار له فيمابعد: ابن شاهين، زبدة كشف الممالك. غوانمه، ايلة، ص٣٢.

(3) اعتمدت عند أخذ المسافات بين المدن، وسكة الطريق، على المقدسي بصورة خاصة، احسن التقاسيم، ص١٦٣-١٦٤. مع إضافة لما وجدته في الكتب الجغرافية الاسلامية التالية، ابن خرداذبة المسالك والممالك، ص٧٤-٧٥،٧٦. والاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥٦. الاصطخري، الاقاليم، ص٣١. ابن حوقل، صورة الارض، ص٥٤. الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦. وانظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، ق٢، ج٣، ص٢٥. ج٥، ص٤٧.

المرحلة: هي المسافة التي قدرت بنحو ستة أو سبعة فراسخ. (حتي، تاريخ العرب، ص٢٩٣).

• العقدة الأولى: الرملة، وتذهب الطـرق منـها إلى:

- بيت المقدس، (يوم أو مرحلـة)
- عسقلان، (مرحلـة)
- يافا، (نصف مرحلـة)
- غزة، (مرحلـة)
- قيسارية، (مرحلـة)
- الماحوز[1]، (مرحـلة)
- أرسوف، (مرحلـة)
- كفر سلام[2]، (مرحلـة)
- السكرية[3]، (مرحلـة)
- نابلس، (يـوم)
- قيصرية، (يـوم)
- أزدود[4]، (مرحلة)، ثم إلى رفح، (مرحلـة)

---

(1) الماحوز: قلعة على ساحل البحر المتوسط على بعد(٢٥) ميلا من عسقلان. (الادريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص١٥٢).

(2) كفر سلام: احدى قرى اقليم قيسارية، تقع على الطريق العام الذي يبدأ من الرملة، ويتجه شمالا.

(المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥١)

(3) السكرية: بلدة تقع على بعد مرحلة عن الرملة، ومرحلتين عن التليل. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٠٥).

(4) أزدود، أو أسدود: بلدة تقع على مسيرة يوم من الرملة. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٤)

- بيت جبرين[١]، (مرحلة)، ثم إلى الخليل أي مسجد سيدنا ابراهيم(مرحلة)، أو إلى أريحا(مرحلة). ثم إلى عمان(مرحلة).

- العقدة الثانية: طبرية، ومنها تذهب إلى:

- دمشق عن طريق أفيق(مرحلة) إلى جاسم[٢]، (مرحلة)، ثم إلى الكسوة[٣]، (بريدين) [٤]، ثم إلى دمشق.

- بانياس، وتمر بقدس، أو إلى جب يوسف[٥](بريدين)

- بعلبك[٦]، عن طريق جب يوسف، أو كفر كيلا[٧](مرحلة)، إلى قرية مرجعيون(مرحلتين)، ثم إلى القرعون[٨]، ثم إلى عين الجر(عنجر) (مرحلة)، ثم إلى بعلبك(مرحلة)، ويسمى هذا الطريق باسم طريق المدواج.

- صيدا[٩]، وتذهب الى الجش[١٠](مرحلة)، ومنها إلى صور، (مرحلة)، ثم إلى صيدا (مرحلة).

---

(١) بيت جبرين، أو بيت جبريل: بليد بين بيت المقدس، وغزة. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥١٩)

(٢) جاسم: قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الاعظم الى طبرية.(ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٩٤)

(٣) الكسوة: قرية، وهي أول منزلة للقوافل إذا خرجت من دمشق الى مصر. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١)

(٤) البريد: لغة بمعنى الرسول. يقال: برد بريدا، أي أرسل رسولاً وإبراده إرساله. وهو المسافة المعلومة بين المنزلتين، والبريد كمقياس طول ثابت المقدار في الشريعة حدد باثني عشر ميلا، أي بما يعادل بحساب الذراع الشرعي(٢٢١٧٦) مترا. الأنصاري، ابو العباس نجم الدين بن الرفعة(ت٧١٠هـ/١٣١٠م)، الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق: محمد احمد الخاروف، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ١٩٨٠، هامش ص٧٧. وسيشارله فيمابعد: الانصاري، المكيال. وانظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص٨٢.

(٥) جب يوسف: مكان في منطقة فلسطين بين القدس ونابلس. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٦)

(٦) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٤٥٣)

(٧) كفر كيلا: قرية(في جنوب لبنان حاليا)، تبعد عن طبرية مسيرة يوم. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٢)

(٨) القرعون: قرية في جنوب سهل البقاع. (سترانج، فلسطين، ص٤٤٠)

(٩) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، شرقي صور. (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٧)

(١٠) الجش: قرية كبيرة، وهي عاصمة المنطقة الريفية المحيطة بها، وهي مجاورة للشاطئ. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٢)

- بيسان، (مرحلـــة)

- عكا، (ميلان، والاصطخري يجعلها يومـــا)

- الرملة، ويذهب الطريق إلى اللجـــون(مرحلــة)، إلى قلنســـوة[1]، (مرحلـــة)، ثم إلى الرملة(مرحلـــة).

- القدس عن طريق نابلس، ويذهب إلى بيســـان ثم تعاســـير[2](بريديـــن)، إلى نـــابلس (بريدين)، ثم إلى بيت المقدس، (مرحلـــة).

- **طرق أخرى بين مختلف المدن، والقـــرى:**

- أحدها يصل بـــين بانيـــاس[3]، وصـــور عـــن طريـــق بجـــدل ســـلم(بريديـــن)، أو قدس(بريدين)، ثم إلى صور (بريديـــن).

- غزة الى بيت جبرين(مرحلـــة)

- وطريق يصل ما بين الخليـــل إلى قـــاووس[4](مرحلـــة)، ثم إلى صغـــر(مرحلـــة، إلى مؤاب(مرحلة)، إلى ويلة أو أيلة(العقبة الحالية) (أربـــع مراحـــل).

---

(1) قلنسوة: وهو حصن قرب الرملة من أرض فلسطين. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٢)

(2) تعاسير: قرية تبعد مرحلتين عن بيسان، ومرحلة من نابلس. ويظن أنها ترزه التي كانت عاصمة اسرائيل بعد موت سيدنا سليمان. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٦٤. لسترانج، فلسطين، ص٣٥٢).

(3) بانياس: مدينة على طرف بحيرة الحولة، وحد الجبل أرحى، وأرفق من دمشق ينبع منها نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج. (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٠)

(4) قاووس: قرية تقع بين الخليل، وزغر. (سترانج، فلسطين، ص٤٣٧)

- وطريق من نابلس إلى أريحا(مرحلة)، إلى بيت الرام[١](بريدين)، إلى عمان(مرحلة)، إلى الزرقاء، إلى أذرعات[٢](مرحلة)، ثم إلى دمشق(مرحلتين).

- من قيسارية الى كفر سلام، أو إلى كفر سابا[٣]، أو إلى أرسوف، أو إلى الكنيسة[٤](مرحلتين).

- من يافه(يافا) إلى عسقلان(مرحلة)

- من أريحا إلى صغر(يومان)

- من أريحا إلى الشراة(يوم)

- من أريحا إلى آخر الشراة(يومان)

- من عمان إلى نهر الاردن(مرحلة).

- من عمان إلى الأزرق(مرحلة).

أما شبكة الطرق الموصلة الى ويلة (أيلة)، وعمان مع مصر والديار الحجازية فيذكرها المقدسي عند حديثه عن بادية العرب بقوله:" فأما طريق مصر تأخذ من البويب الى بندقة (مرحلة)، ثم إلى عجرود(مرحلة)، ثم الى المدينة(مرحلة)، ثم الى الكرسي(مرحلة)،

---

[١] بيت الرام: قرية مشهورة بين غور الاردن، والبلقاء. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٠)

[٢] أذرعات: بلد بأطراف الشام، يجاور أرض البلقاء، وعمان. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٣٠)

[٣] كفر سابا: قرية بين نابلس، وقيسارية. (ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٩)

[٤] الكنيسة: احدى قرى حيفا، وبعد هذا المكان تأخذ الطريق في الابتعاد عن البحر، والاقتراب من التلال.(خسرو، سفرنامه، ص٦٣)

ثم الى الحفو(مرحلة)، ثم الى المنـزل(مرحلة)، ثم الى ويلة(مرحلـة). وأمـا طريـق الرملـة فتـأخذ من السكرية الى التليل(مرحلتين)، ثم من التليل الى الغمـر(مرحلتـين)، ثم الى ويلـة(مرحلتـين). وأما طريق الشراة فإن من صغر الى ويلة(أربعة مراحل)، ......، وأمـا طريـق تبـوك فتـأخذ مـن عمان الى معان منهلين(الموضع الذي فيه الشرب ويكـون بالمفـازة)، ثم الى تبـوك مثلـهما ثم الى تيماء أربعا ثم الى وادي القرى أربعا. وأما طريق وبـير فتـأخذ مـن عمـان الى وبـير (ثـلاث مناهل)، ثم الى الاجولي(اربعة مراحل)، ثم الى ثجـر (منـهلين)، ثم الى تيمـاء(ثـلاث منـاهل). وأما طريق بطن السر فتأخذ من عمـان الى العونيـد(نهـارين)، ثم الى الجربـي (نهـارا) ثم الى عرفجه(نهارا ونصفا)، ثم الى مخرى(ثلاثا)، ثم الى تيمـاء (اربعـا) [1].

وهكذا فإن جنوب بلاد الشام ارتبطـت بشـبكة طـرق ومواصـلات ربطـت مدنهـا بعضها بعضا بيسر، وقد تفرعت هذه الشبكة بمختلـف الاتجاهـات، فـهي كالشـرايين يتصـل كل منها بالآخر ليصل الى هدف واحـد هـو خدمـة القوافـل التجاريـة وقوافـل الحجـاج والمسافرين وحركة المواصلات والاتصالات بشـكل عـام.

ولاشك أن التجارة الداخلية، وازدهارهـا هـو انعكـاس لحركـة التجـارة الخارجيـة النشطة التي كانت تربط جنوب بلاد الشام خاصـة، وبـلاد الشـام عامـة بـالطرق التجاريـة الدولية القادمة من الشرق الأقصى عبر البحر الاحمر، والجنـوب العـربي في طريقـها إلى الموانـئ الشامية، ومن ثم الى موانئ المدن الاوروبيـة.

---

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٠٥.

ثانيا: التجارة الخارجية

١ – التجارة البرية العابرة(الترانسيت)، والأسواق الموسمية.

اكتسبت منطقة بلاد الشام بحكم موقعها الجغرافي الهام بين الشرق والغرب، وفي مفترق الطرق بين الديار الشامية، والديار المصرية والشمال الافريقي، والعراق والجزيرة العربية أهمية خاصة كحلقة وصل بين أقطار الدولة العربية الاسلامية فهي الجسر الذي يربط الشرق بالغرب من خلال شبكة الطرق والدروب التي تسير بمختلف الاتجاهات فهي الشريان الرئيسي لحركة القوافل التجارية البرية من الجزيرة العربية باتجاه دمشق، والبحرية عبر أيلة – البحر الاحمر – الى الساحل الشامي.

وكان القسم الشمالي من منطقة جنوب الشام يربط العراق بدمشق، والديار المصرية، وهذه الطريق لعبت دورا مهما في حركة المواصلات بين دمشق والقاهرة عبر العصور المختلفة[١]. وكانت هذه الدروب تقصدها قوافل التجارة، اضافة الى قوافل الحج التي كان لها أثرها في انتعاش المنطقة اقتصاديا عن طريق التجارة العابرة(الترانسيت)، حيث كان لقافلة الحج عدة محطات للتوقف سواء كان ذلك للاستراحة، أو التزود بما يحتاجه كل مسافر، وكان الحجيج يجلبون معهم من أقطارهم السلع المختلفة لبيعها، ويأخذون من محطات التوقف من خلال الاسواق الموسمية التي كانت تقام، في عدة أماكن ما يحتاجونه.

---

[١] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٣، ٧٦، ١٢٧. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص٣١٤. كلود، تاريخ العرب،ص٥٤.

فقافلة الحاج الشامي كان الحجاج يجتمعون أولا في مدينة دمشق من سائر البلدان المجاورة، من حجاج فارس، وشمال العراق، وحلب، وديار بكر[١]، وبلاد العجم[٢]، وبلاد التركمان[٣]. وهذا التجمع ظل طيلة العصور الاسلامية المختلفة في مرحلة لاحقة كان ينضم الى قافلة الحاج الشامي، قافلة الحاج المصري التي كانت تحتوي على أخلاط مختلفة من الحجاج المغاربة، والتكاررة، والسودان[٤]، وكانوا يلتقون بقافلة الحاج الشامي في مدينة أيلة[٥] جنوب الاردن الحالي وذكرت المصادر المتأخرة أن قافلة الحاج الشامي كانت تنطلق من مدينة دمشق[٦]، لتتجه الى الكسوة[٧]، فالصمنين[٨]، ثم الى رأس المال(المزيريب قرب درعا)[٩]، حيث تقام لهم سوق هامة، ثم تسير الى الرمثا(شمال مدينة اربد)، ومن ثم الى

---

(١) ابن قاضي شهبة، تقي الدين ابو بكر بن احمد، (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: احمد الزبيدي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١، ج٣، ص١١٦. وسيشارله فيمابعد: ابن شهبة، تاريخ. ابن طولون، محمد بن علي بن احمد الحنفي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٢٦٨، ٣١٤. وسيشارله فيمابعد: ابن طولون، مفاكهة الخلان. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦١.

(٢) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ت)، ص١٤٨. وسيشارله فيمابعد: السخاوي، التبر المسبوك.

(٣) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي(ت٨٥٢هـ/١٤٩٦م)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: حامد عبدالحميد، وأخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧، ج٩، ص٧٢. وسيشارله فيمابعد: العسقلاني، انباء الغمر.

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٢٧. السخاوي، التبر المسبوك، ج١، ص٧٢. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦٣.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٩٢. غوانمه، أيلة، ص٧٤. درادكه، طرق الحج، ص٧٣.

(٦) ابن بطوطه، الرحلة، ص١٠٥. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٤. الخياري، ابراهيم بن عبدالرحمن (ت١٠٨٣هـ/١٦٧٢م)، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، مديرية الثقافة العامة، بغداد، (د.ت)، ج١، ص٩٦. وسيشارله فيمابعد: الخياري، تحفة الأدباء، درادكه، طرق الحج، ص٧٣. (وقد ظلت هذه الطرق تخدم حركة التجارة والحجاج حتى العصر العثماني، وإن كانت هذه الطرق تتغير حسب ظروف الأمن واستتبابه).

(٧) ابن بطوطه، الرحلة، ص١٠٥. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٤. الخياري، تحفة الأدباء، ج١، ص٩٥. مجهول، المناسك، ص١٥٣. درادكه، طرق الحج، ص٩٢.

(٨) ابن بطوطه، الرحلة، ص١٠٥. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٥. الخياري، تحفة الأدباء، ج١، ص٩٤. درادكه، طرق الحج، ص١٢٢.

(٩) ابن بطوطه، الرحلة، ص١٠٥. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٥.

المفرق(الفدين) [١]، ويتجه الركب بعد ذلك إلى الظليل التي تقع بين الزرقاء والمفرق، ومنها إلى الزرقاء. التي يقام فيها سوق كبير يحتوي على العديد من الخيرات، والسلع المختلفة التي تجلب من دمشق وما حولها من المدن، والقرى [٢]، وهذه فرصة كبيرة يغتنمها الأهالي للبيع والشراء والربح، خاصة التجار الذين ينتظرون موسم الحج فيقيمون الاستعدادات، والترتيبات اللازمة لاستقباله. ولذلك كان التجار من مدينة عجلون وغيرها تحضر السلع إلى مدينة الزرقاء للاتجار بها [٣]، وقد كانت قوافل الحج تمر في بعض الأحيان بحصن الازرق نظرا لوجود الماء فيه، ثم يرحل الحجاج الى الزرقاء، وقد ذكر ذلك في ابيات شعرية هي [٤]:

قلت وقد جئنا الى منزل	الزرقاء والمحروم لم يرزق
لا ترجعي يانوق عن مكة	فقد سقيناك من الازرق

(البحر السريع)

---

[١] كبريت، رحلة الشتاء، ص٢٣٢. الخياري، تحفة الأدباء، ج١، ص٩٠. درادكه، طرق الحج، ص٩٧. (دلت كشوفات أثرية قامت بها جامعة اليرموك في موقع جامعة العلوم والتكنولوجيا الاردنية القريبة من الرمثا شمال مدينة اربد الى وجود آلاف من القطع الفخارية المملوكية على مساحة كبيرة، وفي أماكن متعددة، وهذا يدل على أن القوافل كانت تتوقف في هذا المكان للراحة، والتزود بما تحتاجه القافلة بالبيع والشراء، وهذه الطرق، وتلك المحطات سلكها الحجاج، والتجار معا في العصور الاسلامية السابقة للعصر المملوكي، فهذه طرق عرفت منذ القدم. غوانمه، يوسف حسن، التجارة الدولية في مناطق شرق الاردن(من جنوب الشام) في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٢٣-٢٤، ١٩٨٦، ص٨٩،٩٠. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، التجارة الدولية.

[٢] الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٦. كبريت، رحلة الشتاء، ص٢٣٢. الخياري، تحفة الأدباء، ج١، ص٨٨. غوانمه، التجارة الدولية، ١٩٤. درادكه، طرق الحج، ص٩٣.

[٣] الخياري، تحفة الأدباء، ج١، ص٩٠.

[٤] الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٥-١٢٥٦.

ومن الزرقاء يتجه الركب الى زيزاء قرب مدينة عمان من أرض البلقاء، حيث يقيم الحجاج فيها مدة ثلاثة أيام، وبها أسواق وتجارات كثيفة حيث يخرج تجار مدينة عمان للاتجار مع الحجاج وتوجد في زيزاء برك لسقي الحجاج[١]، ثم يتحرك الركب بعد ذلك إلى القطراني(القطرانه)، ويوجد فيها بركة ماء وخان، وحولها يتواجد التجار الذين يقدمون للمسافر ما يحتاجه من أطعمة وأشربه، وما تحتاجه دوابهم من أعلاف كالشعير والتبن[٢].

ويتجه الحاج في أحيان إلى اللجون مباشره، وفيها ماء جاري[٣]، لينزلوا بعد ذلك الى الكرك(الثنية)، وفيها يقيم الحجاج مدة أربعة أيام، يقام خلالها سوق للحجاج[٤]، ليرحل الركب بعد ذلك إلى الحسا، وهي بين الكرك، ومعان، فيرد الحجاج ماءها، ومنها يرحلون إلى معان بوابة الحجاز، للتزود بالمياه والطعام وكان يقام لهم سوق كبير يحتوي العديد من البضائع، والسلع سواء للحجاج أو رواحلهم، ويغتنم أهالي المنطقة هذه الفرصة الموسمية للمتاجره، والربح[٥].

---

[١] ابن بطوطه، الرحلة، ص٥٨. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٤. درادكه، طرق الحج، ص٧٣، ١٣٢-١٣٣. مالكي، سليمان عبدالغني، طرق حجاج الشام، ومصر منذ الفتح الاسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري، مجلة الدارة، العدد١، ايلول، ١٩٨٤، ص٩. وسيشارله فيمابعد: مالكي، حجاج الشام ومصر. غوانمه، عمان، ص١٦٠.

[٢] الخياري، تحفة الأدباء، ج١، ص٨٥.

[٣] ابن بطوطه، الرحلة، ص٥٩. درادكه، طرق الحج، ص١٥٧.

[٤] الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٧. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦٢. مالكي، حجاج الشام ومصر، ص٩. درادكه، طرق الحج، ص١٥٧.

[٥] الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٧، ١٢٥٨،١٢٦٨،١٢٣٣. كبريت، رحلة الشتاء، ص٢٣٢. المالكي، حجاج الشام ومصر، ص٩. وظل الأمر كذلك حتى العصور الحديثة انظر: بيركهارت، سوريا الجنوبية، ج٢، ص١٥٠-١٥١.

وبعد خروج الركب من معان له أن يختار إحدى الطريقين: إما أن يتجه الى عقبة الصوان[1]، فذات حج ثم تبوك، فالعلا إلى أن ينتهي المسير إلى المدينة المنورة(يثرب). ثم مكة[2]، وأما أن يتجه الركب من معان إلى أيله، فينضم الركب الشامي إلى الركب المصري ليتجهوا بعد ذلك إلى المدينة ثم إلى مكة.

وكان يقام في أيلة(العقبة) سوق تجاري عظيم يقصده التجار من سائر الديار الشامية للكسب والربح[3]، وظل هذا السوق العظيم المتشعب حتى العصر المملوكي حيث وصفه الجزيري بقوله:" وينصب سوقا كبيرة، فيه من البضائع والفواكه ما لا يوجد في غيره"[4]، ويذكر أيضا:" إنه مكان مقصود، تأتي إليه أجلاب الشام، وتقام به الأسواق العظيمة الممتدة والمتشعبة، التي لا توجد في أمهات الأقاليم وكبار المدن"[5].

ويسلك الركب الشامي أحيانا طريقا آخر في جنوب الشام للوصول إلى أيلة، حيث كان الحجاج ينطلقون من دمشق الى جند الاردن بأربع مراحل، أولها جاسم من عمل دمشق، وخسفين، وفيق ذات العقبة المذكورة، ومنها الى طبرية، ثم اللجون على الطريق المستقيم والطريق الآخر إلى بيسان واللجون، ومنها إلى الرملة ثم إلى أسدود، وإلى

---

(1) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٩. كبريت، رحلة الشتاء، ص٢٣٣.

(2) الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٩-١٢٦٥.

(3) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٧٣. الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٢٥٦. غوانمه، أيلة، ص٧٤. وله: صفحات، ص١١٢. درادكه، طرق الحج، ص١٧٣. المالكي، حجاج الشام ومصر، ص١١٢.

(4) الجزيري، درر الفرائد، ج٢، ص١٣٤٨.

(5) الجزيري، درر الفرائد، ج٢، ص١٣٤٩. غوانمه، ايلة، ص٧٤.

غزة ومن ثم إلى ايلة[1]. وقد اهتم الخلفاء بتوفير الراحة للحجاج باقامة الاستراحات والخانات وحفر الآبار على طول الطريق[2] وحراسة القوافل باقامة نقط للمراقبة.

وطريق الحاج الشامي هذه كانت تتغير حسب ظروف الأمن والاستقرار في المناطق والأماكن التي يسيرون منها، فأحيانا يتجه الركب الشامي كما أسلفت الى الطريق المؤدي الى البلقاء والشراة ثم الى أيلة، وأحيانا يتجه الركب عبر الازرق والجفر، وباير الى معان(الطريق السلطاني أو الصحراوي)، ويتوقف بعد ذلك على عدم وجود ما يهدد الحجاج من أخطار وخصوصا في فترة الوجود الصليبي في بلاد الشام، ويرافق قوافل الحجاج قوات عسكرية لحمايتها من النهب والسلب من قبل بعض القبائل العربية القاطنة حول طريق الحاج هذه.

وكان الحجاج على اختلاف مواطنهم يحققون هدفين من خلال هذه الرحلة أداء فريضة الحج، والتجارة بتبادل السلع أو الشراء والبيع. حيث كانوا يحضرون معهم ما تشتهر به بلادهم من سلع ومن السلع التي يشتريها الحجاج من بلاد الحجاز: التوابل، كالفلفل، والبهارات، والزنجبيل، وجوز الطيب، والعطور: كالكافور، والمسك، والعنبر، وخشب الصندل، والأحجار الكريمة: كاللؤلؤ، والألماس، والفيروز، والمرجان، والصمغ العربي، والنيلة، والورق، والحرير الصيني، والعاج، وغير ذلك من السلع، والبضائع.

---

[1] اليعقوبي، البلدان، ص٧٧. ابن قدامه، نبذ من الخراج، ص٧٣. الاصطخري، المسالك، والممالك، ص١٥٣. درادكه، طرق الحج، ص٨٨-٨٩. جوده، الرملة، ص٢٧٣. سالم، السيد عبدالعزيز، البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٢٢. وسيشارله فيمابعد: السيد عبدالعزيز، البحر الاحمر.

[2] حتي، تاريخ العرب، ص٣٩٢.

ويجلب الحجاج معهم الى بلاد الحجاز السلع المصنوعة في بلادهم؛ كالمنسوجات المصرية، والدمشقية بأنواعها، والتحف النحاسية المكفتة، وأفرية السمور، وأخشاب الصنوبر، والخيول العربية[1].

٢- الطرق البرية للقوافل التجارية، والمسافرين:

اتصلت جنوب بلاد الشام بطرق برية مع ما حولها من البلاد، وهذه الطرق ليست حديثة الوجود بل سلكتها القوافل التجارية منذ العصور السابقة للاسلام، ففي عصر الجاهلية كانت قريش تقوم بالتجارة من خلال ما عرف برحلة الشتاء الى اليمن، ورحلة الصيف الى بلاد الشام، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم(سورة قريش آية١،٢). ولقد بقيت هذه الطرق تقصدها قوافل التجار في العصور الاسلامية ولفترة طويلة، ومن أبرز هذه الطرق التي ربطت منطقة جنوب بلاد الشام بماحولها من البلاد هي:

أ- **الرملة - دمشق - حلب**: ويمر هذه الطريق من الرملة الى طبرية، ثم الى دمشق، ثم حمص، وحماة، وبعدها الى حلب[2].

ب- **طبرية - دمشق**: ويمر هذا الطريق من طبرية الى أفيق ذات العقبة، ثم الى جاسم، ثم الى الكسوة، فدمشق[3].

---

[1] الجاحظ، عمر بن بحر(ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)، التبصر بالتجارة، تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص٤٢. وسيشارله فيمابعد: الجاحظ، التبصر. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣١-١٣٢. زيادة، التجارة الخارجية، ص١٢٤-١٢٦. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٨١.

[2] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩٠. ابن قدامه، نبذ الخراج، ص٤٦.

[3] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٤-٧٥. ابن قدامه، نبذ الخراج، ص٣٩. اليعقوبي، البلدان، ص٨٨. الزيود، حالة بلاد الشام، ص ٣٢٨.

ج- **ملطية - رفح:** فمن حدود ملطية المتصلة مع العراق الى منبج، ثم الى حلب، ثم الى حمص ثم الى دمشق، ثم الى طبرية، والى الرملة، ثم الى رفح على الحدود المصرية[1].

د- **طبرية - برقة:** من طبرية الى الرملة ثم الى الجفار، ثم الى الفسطاط، فالاسكندرية ثم الى جب الرمل يلي برقة. وكما تنطلق هذه الطريق أيضا من طبرية الى سر من رأى (سامراء)، وبغداد[2].

هـ- **الرملة - الفسطاط:** وتبدأ من الرملة، الى غزة، ثم الى الفوما، ثم جرجير، ثم الى الغاضرة، ثم الى بلبيس، ثم الى الفسطاط مدينة مصر[3]. أو من عسقلان الى الفسطاط[4].

و- **غزة - دمشق:** فمن غزة الى جنين، فاللد، فالعوجا، ثم الطيرة، وقاقون، وفحمة، ثم الى حطين، ثم الى زرعين، ثم الى عين جالوت، ثم بيسان، واربد، وطفس، فرأس الماء، ثم الى الصنمين، ثم الى غباغب، ثم الى الكسوة، فدمشق[5].

وهذه الطرق اضافة الى طريق الحج السابق الذكر الذي كان ايضا طريقا للتجار فقد سلكته قوافلهم، وهناك طرق أخرى ربطت المدن الشامية الداخلية بالموانئ الواقعة على البحر المتوسط، والتي تنطلق منها المراكب الى الموانئ الاوروبية، بالاضافة الى الطريق الذي يربط ميناء ايلة على البحر الاحمر بالموانئ الفلسطينية كغزة، ويافا وحيفا. وقد عرف طريق

---

(1) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٨٩.

(2) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٠٣-١٠٤. ابن قدامه، نبذ الخراج، ص٤٥-٤٦.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص٩٠-٩١. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٧٦. ابن قدامة، نبذ الخراج، ص٣٩-٤٠. جودة، الرملة، ص٢٧٢.

(4) الهروي، الاشارات، ص٣٤-٣٥.

(5) العمري، المصطلح الشريف، ص٢٣٥-٢٣٦.

البحر الاحمر(بطريق البخور) حيث تصل المراكب محملة بالسلع من الشرق الاقصى، والصين الى عدن ومنها تنقل إما برا عبر تهامة عسير(صحراء عسير)، والحجاز الى الطريق السلطاني المار بالهضبة الاردنية في طريقه الى بصرى في حوران، وإما أن تنقل بحرا من عدن بواسطة مراكب خاصة أعدت للبحر الاحمر، حيث تنتهي الى أيلة(العقبة)، ومنها تنقلها القوافل الى بصرى، او القدس ومن ثم الى الموانئ الشامية في طريقها الى أوروبا[1]. وبذلك تكون مدينة أيلة(العقبة) قد لعبت دورا هاما في تجارة الشرق الاقصى، و لم تفقد أيلة أهميتها كميناء للتجارة الدولية طيلة العصور الاسلامية المختلفة والى الآن وقد أولاها الأمويون، والعباسيون، والفاطميون أهمية خاصة، واستمر ذلك في فترة الاحتلال الصليبي لجنوب شرقي الاردن الحالي.

وقد ظهرت طائفة من التجار عرفوا بتجار الكارم في العصر العباسي والفاطمي كان لهم وكلاء في المدن الهندية والصينية، وفي عدن وكانوا يقيمون في القاهرة، أو في دمشق، وكان لهؤلاء دورهم الكبير في حركة التجارة بين الشرق والغرب عبر جنوب

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٢٤،٢٠٥. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة، ص١١٨. نقولا، زيادة، تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٩٠، ص٧٦،٧٧. وسيشارله فيمابعد: نقولا، تجارة بلاد الشام. غوانمه، ايلة، ص٧١. وله: صفحات، ص١٠٩. وله: غوانمه، إمارة الكرك، ص٣٣٨. السيد عبدالعزيز، البحر الاحمر، ص٢٥. سيد، عبدالمنعم عبدالحليم، البحر الاحمر وظهيره في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٥٧٩. وسيشارله فيمابعد: عبدالمنعم، البحر الاحمر.

- بقيت هذه الطريق مستخدمة للتجارة حتى فترة متأخرة من العصر الاسلامي.

الجزيرة العربية، والديار المصرية ومن ثم المدن الايطالية كجنسوا والبندقية وبيزا، وقد جنوا من ذلك أموالا طائلة[1].

السلع التجارية

اشتهرت المنطقة موضع الدراسة بمنتوجاتها المتعددة التي كانت تجسد لها سوقا رائجة في البلدان المجاورة، بل نقلت تلك السلع الى الشرق الاقصى، واوروبا. فالمقدسي يجمل صادرات جنوب بلاد الشام من الانتاج الزراعي والصناعي بقوله:" يرتفع من فلسطين، الزيت، والقطين، والزبيب، والخرنوب، والملاحم(نوع من الاثواب الحريرية البيضاء)، والصابون، والفوط. ومن بيت المقدس: الجبن، والقطين، وزبيب العينوني، والدوري غاية، والتفاح، وقضم قريش(حب قريش) الذي لا نظير له، والمرايا وقدور القناديل، والإبر. ومن اريحا نيل غاية في الجودة. ومن صغر وبيسان النيلة والتمور. ومن عمان الحبوب، والخرفان، والعسل، ومن طبرية شقاق المطارح(جنس من الثياب والطيلسان)، والكاغد(الورق) والبز(القماش)، ومن قدس ثياب المنيرة، والبلعيسية، والحبال، ومن صور: السكر، والخرز، والزجاج المخروط والمعمولات، ومن مآب قلوب اللوز، ومن بيسان الرز. ومن الرملة: الذي اشتهرت بقطينها الذي لا مثيل له، وكذلك زيت الانفاق(الصافي) والحواري(الدقيق

---

[1] غوانمه، يوسف حسن، في التاريخ والحضارة العربية الاسلامية، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٠، ص٢١٣-٢٢١. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، الحضارة العربية.

الكارم أو الكارمية: اشتق اسم الكارم من الكانم، وهي منطقة من السودان الغربي تقع بين بحر الغزال، وبحيرة تشاد، ثم انتشر اسم الكارم بين المشتغلين بتجارة البهار، واصطلح على أنه التاجر الكارمي هو الذي يشتغل بالتجارة الشرقية بوجه عام، والتوابل على وجه الخصوص، وكانوا يتجرون في الخلنجان والزنجبيل، والعود الهندي، والزعفران، والمسك، وخشب الصندل، وكذلك الحرير الخام والاسلحة، واهم السلع وأعظمها شأنا هي الفلفل خاصة في الغرب الاوروبي اذ كان يستخدم في اطعمة الاغنياء، ولعلاج بعض الامراض، وفي صناعة الخمور، وفي حفظ الطعام. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة، ص٣٠١-٣٠٥. غوانمه، الحضارة العربية، ص٧٢.

الابيض)، والميازر(نوع من الثياب)، ولا مثيل لمعتقة(الخمر)، وقضم قريش، وعينوني، ودوري، وترياق، وتروذغ(المخيض)، وسبح بيت المقدس"[1].

أما نابلس فقد صدرت زيت الزيتون الى معظم اسواق بلاد الشام خاصة دمشق، فجامع بني أميه وحده خصص له نحو ألف قنطار كل عام، وكذلك صدر إلى الجزيرة العربية، كما صدرت نابلس كذلك الصابون، والخروب، وبقي هذا الانتاج الكثيف إلى عهد الرحالة ابن بطوطه[2].

أما واردات جنوب بلاد الشام من البلاد المجاورة فأهمها: المصنوعات النحاسية، ودهن البنفسج(يستخدم كدواء للصداع)، اضافة الى الجوز من دمشق[3]، والاشنان والمغرة(مسحوق اكسيد الحديد يستعمل في اعمال الطلاء)، وبذور البطيخ من حلب[4]، والتمور من العراق[5]، والمصنوعات الجلدية، والثياب الفاخرة والنفيسة، والشموع من مصر[6]، ومن اليمن العصائب والعقيق، والأدم، والرقيق، واللؤلؤ، والرصاص، والخيزران، واللبان، والفلفل، والعنبر، وجلود النمور، والخيول العربية[7].

والملاحظ أن التجار لجأوا في هذه الفترة الى استخدام السفاتج(الصكوك بدلا من النقود، وهي رقاع يكتبها لهم الجهابذه أو الصرافون بقيمة المبلغ التي يأخذونها منهم، وهي قابلة للصرف في أي بلد من عملائهم، وقد قام الصرافون في ذلك الوقت بمقام البنوك

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤-١٥٥. شاكر، جنوب الشام، ص٩٢-٩٣. الخالدي، ريف فلسطين، ص٢٢-٢٣.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٦-٥٧. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٠.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٠.

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٥. ابن الشحنه، الدر المنتخب، ص٢٥٢-٢٥٤.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١١٤-١١٥.

(٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٧٣. خسرو، سفرنامه، ص٧٣. الزيود، حالة بلاد الشام، ص١٨١-١٨٢.

(٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٩١-٩٢. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص٧، ٣٤.

حاليا، فالتجار يأخذون منهم الصكوك التي هي بمثابة الشيك أو الحوالة بقيمة ما لديهم من أموال ثم يشترون ما يلزمهم، ويحولون ثمنه عليهم، وكانت أغلب العمليات التجارية تتم بهذه الطريقة[1]. وكان أغلب الجهابذة، والصرافين في جنوب بلاد الشام من اليهود[2].

واستخدم التجار كذلك الصكوك كوسيلة لدفع الأموال في المعاملات التجارية، وبواسطة هذه الصكوك يدفع مبلغ من النقود الى الشخص المسمى فيه[3]. ولقد سهل هذا الامر العمليات التجارية، ويسرها بشكل كبير.

السياحة الدينية - الحج إلى الأماكن المقدسة -

أولى الخلفاء الأمويون، والعباسيون، والفاطميون بيت المقدس أهمية خاصة، فاهتموا بعمارة وترميم وتجديد المسجد الاقصى وقبة الصخرة حتى أصبحتا معلما دينيا مرموقا في جميع انحاء العالم الاسلامي. لذا أمها المسلمون من جميع انحاء العالم للزيارة والصلاة فيهما، وذلك للمكانة الدينية للمسجد الاقصى لدى المسلمين، فهي قبلتهم الأولى، اضافة الى العديد من الفضائل الدينية الاخرى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

ولهذا كانت القدس تجذب اليها أعداد كبيرة من المسلمين كل عام، وخاصة أثناء الحج الى مكة، وبهذا الصدد يقول ناصر خسرو:" اذا لم يستطيع احد من أهل الشام أداء فريضة الحج الى مكة حضر الى بيت المقدس، في موسم الحج، وقدم الاضاحي وتلك

(1) الزيود، حالة بلاد الشام، ص٤٤٢،٤٤٧.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. شاكر، جنوب الشام، ص١٠٠.

(3) اليوزبكي، توفيق سلطان، دراسات في النظم الاسلامية، جامعة الموصل، الموصل، ط٢، ١٩٧٩، ص٢٦٢-٢٦٣. وسيشار له فيمابعد: اليوزبكي، النظم.

عاداتهم، واحيانا كان عدد القادمين يزيد على مائـــة وعشـــرين الـــف زائـــر ومعـــهم أبنـــاؤهم يختنونهم هنـــاك"[1].

كما أن العديد من الحجاج كانوا يقومون بزيـــارة مدينـــة القـــدس قبـــل أداء فريضـــة الحج، أو بعدها، ولا سيما المغاربة[2]، كما قام بعض الخلفـــاء العباســـيين بزيـــارة القـــدس بعـــد أداء فريضة الحج كالخليفة ابو جعفر المنصـــور[3]. ولقـــد اســـتحب المســـلمون ختمـــة القـــرآن الكريم في شهر رمضـــان بالمســـجد الاقصـــى[4]، وكـــذلك زار القـــدس وأقـــام فيـــها العلمـــاء والفقهاء نذكر منهم ابن العـــربي[5].

ومن المناطق الدينية الأخرى التي كان يؤمها الأفـــراد في جنـــوب بـــلاد الشـــام مدينـــة الخليل، وفيها المسجد الابراهيمي الذي فيه قبر سيدنا ابراهيـــم، وزوجتـــه ســـارة، وقبـــور ابنائـــه الأنبياء يعقوب، واسحاق وزوجاتهم عليهم السلام. وقد أقـــام الخلفـــاء في الخليـــل بيـــت ضيافـــة الزوار وأوقفوا عليها وقف تميم الداري. ووجد في بيت الضيافـــة خـــدام وخبـــازون، وطبـــاخون يقدمون الأكل لزوار المسجد الابراهيمـــي مجانـــا[6].

أما النصارى فكانوا يزرون مدينة القدس لزيارة كنيســـة القيامـــة بالاضافـــة الى كنيســـة المهد في بيت لحم، فالمقدسات النصرانية في القدس، وبيت لحـــم، والنـــاصرة. هـــي أمكنـــة يحـــج

---

[1] خسرو، سفرنامه، ص٥٣. بكار، بيت المقدس كما صورها ناصر خسرو، ص١٢٢.

[2] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٣.

[3] الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٢٧٣.

[4] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. خسرو، سفرنامه، ص٦٣. الهروي، الاشارات، ص٣٠-٣١.

[5] عباس، احسان، رحلة ابن العربي الى المشرق كما صورها قانون التأويل، بحث منشور في كتاب فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص٤٧-٦٨. وسيشار اليه فيمابعد: احسان، فصول. الحياري، مصطفى، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، (د.ت)، ص١١-١٦. وسيشار له فيمابعد: الحياري، القدس.

[6] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣. خسرو، سفرنامه، ص٦٣.

اليها النصارى من كل أنحاء المعمورة. وللزيارات هذه سواء زيارة المسلمين للمسجد الاقصى أو زيارة النصارى لمقدساتهم أوقات خاصة. فالمسلمون يزورون بيت المقدس إما قبل أداء فريضة الحج وبعدها يذهبون لأداء الفريضة أو بعدها. أما النصارى فيأتون للزيارة في احتفالات اعياد الميلاد، ورأس السنة الميلادية[1].

أما بالنسبة لليهود، فإنهم يزورون معابدهم أو كنيشهم في القدس، وللحائط الغربي لسور المسجد الاقصى(حائط البراق) الموجود في حي المغاربة الحالي لادعائهم بأنه(حائط المبكى)، وأنه يمثل كما يعتقدون بقايا سور اوشليم القديمة[2].

أما مدينة نابلس ففيها طائفة السمرة لذا يؤمها اليهود لزيارة الكنيش هناك[3]. ولا شك أن زيارة هذه الأماكن الدينية أدى الى ايجاد نشاط تجاري، فوجدت الاسواق المتعددة بسلعها المختلفة التي جمعت من مختلف أرجاء المعمورة، فالزائر الى أي معلم ديني كان، أو سياحي يأخذ معه تذكارا، فلا أجمل من سبح القدس كذكرى لهؤلاء الزائرين[4]. كما وجدت لهؤلاء الزائرين الفنادق الكثيرة، كما أقامت الدولة الاسلامية البيمارستانات(المستشفيات) لخدمة المرضى من الحجاج المسلمين والنصارى واليهود[5].

فالأعداد القادمة للزيارة تقدر بعشرات الألوف، ومواعيد زياراتهم هي مواسم يستعد إليها أهالي فلسطين فيقيمون لهم الأسواق الموسمية في الطرق التي يسلكونها للوصول

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧. الهروي، الاشارات، ص٢٧،٢٨. خسرو، سفرنامه، ص٥٦. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٧٥. سايولف، رحلة، ص٣٨. سترانج، فلسطين، ص١٥٨-١٥٩، ١٨٢-١٨٥. الدومنكي، بلدانية، ص٥٢-٥٥، ٣٢٦-٣٢٨.

(2) خسرو، سفرنامه، ص٥٣.

(3) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٦. وله: الاقاليم، ص٣١. ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٩. بنيامين، رحلة، ص٩٦.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣،١٥٥.

(5) خسرو، سفرنامه، ص٦٣. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص٦١.

إلى القدس، كما يــهيئون للــزوار النصــارى التراجمــة، والأدلاء لزيــارة الكنــائس وأماكنـــهم الدينيـة.

أما الأهالي فيؤجرون البيوت لوفود الحجاج، والزائرين نظـــير مبــالغ جيــدة، ولاشــك أن هذه المواسم الدينية تشكل دخلا جيدا لأهالي منطقة جنوب بـــلاد الشــام والقـــدس بشــكل خاص. ومن هنا فقد أطلقنا على هـــذه المواســـم بالســـياحة الدينيـــة، وعلـــى هـــؤلاء الزائريـــن بالسياح، ومن هنا فإننا لا نجانب الحقيقة إن أطلقنـــا علـــى ذلـــك(الســـياحة الدينيـــة) لأن هـــذا المصطلح حديــث.

الفصل الرابع: المجتمع في جنوب بلاد الشام

- فئات السكان ومهنهم وأساليب معيشتهم.

أ- الحكام والولاة.

ب- المعممون وأهل العلم.

ج- التجار.

د- الحضر.

هـ- أهل الريف.

و- البدو (القبائل العربية، وأماكن تواجدها).

- الطوائف الدينية.

١- المسلمون.

٢- النصارى.

٣- اليهود.

- العادات والتقاليد.

- الأعياد الدينية.

- أعياد أهل الذمة.

- الاحتفالات المدنية.

- المآتم والأحزان.

- الأطعمة والأشربة.

المجتمع في جنوب بلاد الشام

كان سكان منطقة جنوب الشام في غالبيتهم قبل الاسلام عربا[1] وكانوا ينتشرون في معظم أنحاء المنطقة اضافة الى السكان الاصليين لجنوب بلاد الشام من الخلائط الآرامية، والذين كانوا يدعون في بعض الاحيان بالنبط والعجم.

وقد تزايد التأثير العرقي العربي للمنطقة بعد الفتح الاسلامي بنزول العديد من القبائل العربية في منطقة جنوب الشام، والتي كان أساسها قبيلتي قيس، ويمن. وقد ذكر المؤرخ الجغرافي اليعقوبي في مشارف الربع الاخير من القرن الثالث الهجري عن اماكن نزول هذه القبائل اضافة الى القبائل العربية الاخرى[2] والتي سيأتي ذكرها فيما بعد.

ولم يطرأ أي تبدل جوهري على التركيب السكاني، والطوائف الدينية التي تشكل منها المجتمع في جنوب بلاد الشام بعد قيام الخلافة العباسية في المنطقة، وفي العهود التالية، إذ ظل العرب ومواليهم المسلمون يشكلون الغالبية العظمى من السكان، توزعوا على ثلاثة أنماط للحياة هي: الحضر والريف، والبدو. وعلى أساس ذلك اتسمت طبيعة الحياة المعيشية للمجتمع في جنوب بلاد الشام.

---

(1) من القبائل العربية التي سكنت منطقة جنوب الشام قبل الاسلام قبيلة جذام ولخم والتي كانت تعيش في المنطقة الممتدة من تبوك الى شرق وادي عربة، والبحر الميت حتى منطقة البلقاء حول عمان، كما سكنها في هذه المنطقة فروع من لخم، كما سكنت جنوب القدس والخليل والمغار وحول رفح. (ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب ت(٢٠٤هـ/٨١٩ م)، جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: ناجي، حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ج٢، ص٣٧٥-٣٧٦.
وسيشار له فيما بعد: ابن الكلبي، جمهرة النسب).

(2) اليعقوبي، البلدان، ص٨٧-٩٠.

فئات السكان، ومهنهم وأسلوب المعيشة

انقسم المجتمع الاسلامي الى فئتين اجتماعيتين: فئة الخاصة أو الحكام، وفئة العامة أو المحكومين(الرعية).

أ- الحكام والولاة

تعاقب على ادارة شؤون جنوب بلاد الشام العديد من الحكام والولاة بحكم أن المنطقة مرت بمراحل متعددة للحكم تنقسم الى:

١- فترة الارتباط المباشر بالعراق وبغداد مابين سنة(١٣٢-٢٥٤هـ/٧٥٠-٨٦٨م). وتنتهي مع بدء الحكم الطولوني.

٢- فترة الارتباط بمصر(ومن خلالها بأمراء بغداد) ما بين سنة(٢٥٤-٣٥٨هـ/٨٦٨-٩٦٩م). ولقد حكمت خلال هذه الفترة منطقة جنوب بلاد الشام دولتان هما الدولة الطولونية(٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م)، ومؤسسها احمد بن طولون، والدولة الاخشيدية(٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م)، ومؤسسها ابو بكر محمد بن طغج قد تولى ولاية البلقاء من قبل والي دمشق تكين بن عبدالله الحربي الخزري، فأصبح محمد بن طغج واليا على المنطقة الممتدة من عمان شمالا حتى أيلة(العقبة) جنوبا. وكان مركز هذه الولاية مدينة عمان، وظلت كذلك في فترة الحكم الفاطمي[1].

[1] غوانمه، عمان، ص٩٧.

عندما خضعت منطقة جنوب بلاد الشام للحكم العباسي، عملت الدولة العباسية على أن يكون الحكام والولاة لجنوب بلاد الشام من رجال البيت العباسي المباشرين، يحكمونها الحكم المباشر. واستمر ذلك قرابة الخمسين عاما قبل أن يشاركهم في حكمها آخرون من غير أبناء البيت نفسه، ولكن هؤلاء المشاركين كانوا من ابناء الدولة العباسية عملا دأبا وولاء مطلقا للدولة العباسية، ولكن المصادر أهملت احيانا ذكر ولاة فلسطين والاردن خاصة لأنه كثيرا ما كانت تضم ادارة الأمور في جنوب بلاد الشام الى والي أو حاكم دمشق[1]، ومن الولاة الذين تولوا عمان والبلقاء في العصر العباسي نذكر: صالح بن علي، ولاه الخليفة عبدالله السفاح على البلقاء وفلسطين، ومحمد بن عبيدالله بن محمد بن سليمان تولى ولاية البلقاء في عهد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور، ويقال بأنه جمع ثروة كبيرة من ولايته ونتيجة لذلك عزله الخليفة عن الولاية سنة(١٥٨هـ/٧٧٥م)، وصالح بن سليمان الذي تولى ولاية البلقاء في عهد الرشيد وقد عهد اليه بذلك جعفر بن يحيى الذي قضى على الفتنة العصبية التي حدثت بين قيس ويمن في البلقاء سنة(١٨٠هـ/٧٩٦م)، ومن الذين تولوا ولاية البلقاء في العصر الفاطمي نذكر ناصح الطباخ وبدر بن حازم[2].

هذا قد اتسمت حياة الحكام والولاة بشكل عام بالغنى والترف لوفرة ايراداتهم من الرواتب، والأعطيات التي منحها لهم الخلفاء، وسعة ضياعهم وأملاكهم المختلفة.

ويصف المقدسي علية القوم في الرملة من الأمراء والحكام بقوله:" ان الخيول كانت مركبا نبيلا لا يركبه سوى الأمير أو الرئيس"[3].

---

(1) شاكر مصطفى، جنوب الشام، ص٩-١١.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر: يوسف غوانمه، عمان، ص٩٢-١٠١.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦. شاكر مصطفى، جنوب الشام، ص١٠١.

ب - المعممون، وأهل العلم

وتشتمل هذه الفئة على أرباب القلم من أصحاب الوظائف الديوانية، والفقهاء والعلماء، والأدباء، والكتاب، وأهل التصوف، وطلاب العلم[1].

وبحكم المكانة الدينية للمسجد الاقصى، وغيرها من المزارات والأماكن الدينية المختلفة فقد ارتاد المنطقة الكثير من طلاب العلم، والعلماء وغيرهم فقد كانت تعقد حلقات العلم والمذاكرة في المسجد الاقصى وغيره من المساجد والخوانق[2].

ولقد تعددت مراكز العلم في جنوب بلاد الشام، وأخرجت العديد من العلماء الذين اشتهروا في مجال علم الحديث، والفقه، وغير ذلك من العلوم الأخرى.

ومن مراكز العلم في جنوب الشام: عمان، والبلقاء، اللتان ارتبطتا بعلماء، وفقهاء دمشق ومحدثيها[3]، وأيلة(العقبة) التي كانت معقلا للعثمانية وأهل الحديث منذ منتصف القرن الأول الهجري ففيها نزل جماعة من موالي عثمان بن عفان، وبقيت ذريتهم فيها لعصور متأخرة، ولقد اشتغلوا بعلوم الحديث فكانوا حلقة الوصل بين علماء الحجاز، ومصر وبلاد الشام[4]. ومن المراكز العلمية الأخرى في جنوب الشام: الرملة وعسقلان وطبرية[5].

---

(1) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٢٨.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(3) غوانمه، يوسف، الحياة العلمية والثقافية في الاردن في العصر الاسلامي، دار هشام، اربد، الاردن، ١٩٨٤، ص١٣. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، الحياة العلمية.

(4) غوانمه، الحياة العلمية، ص١٤-١٦.

(5) احسان عباس، فصول، ص٥٩.

أما منطقة جنوب بلاد الشام لم تكن بصورة عامة ذات حركة علمية نشيطة، في فترة الدراسة، ويتضح أنه كان هناك نوعا من الركود العلمي من خلال ما يذكره المقدسي في كتابه احسن التقاسيم حيث يصف بيت المقدس بقلة العلماء، وخلو مسجدها من الجماعات والمجالس[1]. ثم يتعرض الى فقهائها فيشير الى قلة البدعة فيهم[2]، والظاهر أن الصبغة التعبدية هي الغالبة على طبيعة الحياة الثقافية في جنوب الشام[3].

وكان الغالب في القراءات (القرآن) حروف ابي عمرو، وانتشرت في بلاد الشام بشكل عام (منذ أواخر القرن الثالث الهجري) قراءة الكسائي، وكانوا يستعملون السبع ويجتهدون في تطبيق الأحكام القرآنية فيها[4].

ج- التجار:

وهذه الفئة من السكان تميزت بالغنى وكثرة المال، والتجار أنواع هم: الركاض، والخزان، والمجهز، وللتجار رئيس يعرف بشهبندر التجار. وتمتع التجار بمكانة خاصة عند الحكام بحكم ثرائهم، وكان أغلب استقرارهم في المدن[5].

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤. غوانمه، الحياة العلمية، ص٢٠.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(3) غوانمه، الحياة العلمية، ص٢٠.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤.

(5) الدمشقي، محاسن التجارة، ص١٥٧.

د ـ الحضر:

وهم سكان المدن، وأغلبهم يشتغلون بالصناعات والحرف المختلفة كالبناء والحدادة والنجارة، والخياطة، وغير ذلك من المهن فالرحالة ناصر خسرو يذكر:" ورأيت في القدس كثيرا من الصناع المهرة، وقد اختص أهل كل صنعة بقسم خاص بهم"[1].

فالمدينة استقطبت اخلاطا من الناس الذين عاشوا حياة مدنية حضرية متقدمة توفرت لهم فيها سبل الاستقرار والراحة، كما أن المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية كانت تقوم على خدمتهم من مدارس وأسواق عامرة بصنوف البضائع المختلفة. وعاش سكان المدن في دور وقصور يتفاوت مظهرها حسب مقدار ثرائهم. فقد كانت المنازل عبارة عن دورين: الادنى يشتمل على قبوين وايوان، كلها معقودة بالحجر والطين، وبيت مسقف بالخشب والقصب، أما العلوي فيشتمل على قبو معقود بالطين والحجر يصعد إليه من داخل الدار بسلم(درج) من الحجر، ولها باب ينفتح من جهة القبلة[2]. فمنازل الرملة تتصف بأنها فسيحة مبنية بالحجارة المنحوته والطوب[3]، ومزدانه بالمرمر ذي الألوان الجميلة[4]. وكان تجار القماش في الرملة يركبون الحمير المصرية بسروج، لأن الخيول كانت مركبا نبيلا لا يركبه سوى الامير أو الرئيس[5].

---

(1) خسرو، سفرنامه، ص٥٤.

- يعرف ابن خلدون الحضر بأنهم: الحاضرون أهل الأمصار والبلدان، ومن هؤلاء من ينقل في معاشه الصنائع، ومنهم من ينقل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرقى من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري. (ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٢٠).

(2) خسرو، سفرنامه، ص٥٤. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٣٠. وله: تاريخ القدس، ص١٢٧،١٢٨. المرجعان يعودان للعصر المملوكي ولكن هذا النمط المعماري ظل مستخدما منذ عصور سبقت ذلك.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٣.

(4) خسرو، سفرنامه، ص٥٢.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦. شاكر مصطفى، جنوب الشام، ص١٠١.

ويلاحظ أن لكل مدينة لهجة خاصة بها تختلف عن غيرها وهذه اللهجات متواجدة الى الآن.

أما بالنسبة لعدد سكان المدن في جنوب الشام خلال فترة الدراسة فإنه قلما ذكر الرحالة الذين زاروا المنطقة عدد السكان إلا أن ناصر خسرو الذي زار المنطقة خلال القرن(الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) يقدر عدد سكان القدس بعشرين الفا[1]، وقد بلغت مساحة القدس ٧٢٠ دونما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فكثافتها السكانية اذن ٢٨ شخصا للدونم الواحد، وهذه الكثافة كانت تأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة عكا التي بلغت كثافتها السكانية ٥٠ شخصا للدونم الواحد، وهذه الكثافة كانت في تزايد مستمر في العصور اللاحقة[2]، إلا أن هناك عوامل كانت تؤثر في الديموغرافية وبالتالي على الكثافة السكانية كانتشار الأوبئة وحدوث قحط و جفاف في المنطقة قد أدى كل ذلك الى هجرة السكان في معظم الأحيان بالاضافة الى الزلازل التي تؤدي الى هدم المنازل[3].

---

(١) خسرو، سفرنامه، ص٥٣. غوانمه، القدس، ص١١٥.

(٢) غوانمه، تاريخ القدس، ص١١٥-١١٧. ويذكر المقدسي يصف مساحة بيت المقدس بقوله:" وهي اصغر من مكة وأكبر من المدينة". (المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤).

(٣) - حدث في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)، في فلسطين طاعون وصف " بأنه طاعون حارف ربما أتى على جميع أهل البيت فخربت أرضهم وتعطلت" فلم تجد الارض من يقوم على زراعتها فوكل الخليفة الى من يعمرها بعد أن أصبحت ملكا للدولة. (البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٣. غوانمه، الطاعون والجفاف، ص٧٤).

- حدث في عهد الخليفة العباسي المأمون(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، بفلسطين وبيت المقدس جوع شديد بفعل الجراد الذي أتى على المنطقة فمات الكثير من الناس من الجوع وهرب العديد من الناس من بيت المقدس من شدة الجوع و لم يبق فيها من الناس سوى القليل. (ابن البطريق، التاريخ المجموع، ص٥٥).
- حدث في عام(٣٦٢هـ/٩٧٢م) وعام(٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، زلزال كان له تأثير واضح في بلاد الشام بشكل عام حيث هدمت المباني ومات خلق كثير تحت الهدم. (ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٩٠،٣٢٩. وانظر: غوانمه، يوسف، الزلازل في بلاد الشام في العصر الاسلامي، دار الفكر، عمان، ١٩٩٠، ص١٢، ص٤٣ ومابعدها. وسيشارله فيمابعد: غوانمه، الزلازل).

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية في المدينة وكانت تختلف عن الريف والبادية، فالمرأة في المدينة كانت تحتجب بصورة عامة، ولا تخرج من مترلها إلا في الأمور الضرورية، فالمرأة في مدينة نابلس كانت لا تخرج إلا في يوم الجمعة عند وقت صلاة الظهر، وبعد الانتهاء من الصلاة يرجعن الى بيوتهن[1]. اضافة الى أن المرأة في المدينة كانت تنال قسطا لا بأس به من التعليم، ووظيفتها في المترل هو رعاية الأولاد، وادارة شؤون البيت.

وكان نظام الطوائف الحرفية هو السائد في حياة المدينة، فلكل صناعة أو حرفة سوق خاص بها[2]، ولها رئيس يعرف بشيخ الحرفة، ولكل حرفة من الحرف تقاليدها وأعرافها الخاصة. فهذا التنظيم الحرفي أسهم بدور كبير في تمتين الروابط الاجتماعية بين العاملين في الحرفة الواحدة، وتنظيم علاقاتهم مع غيرهم من أصحاب الحرف[3].

ومن الأمور الأخرى التي تميز أهل الحضر عن غيرهم بأنهم يعتنون بحاجات الترف والكمال، وتوفير سبل الراحة والرفاهية[4]، ووسائل التسلية مثل الغناء، والصيد وكان ذلك في العصور المختلفة[5].

---

(1) ابن العربي، ابوبكر محمد بن عبدالله المعافري(٤٦٨-٥٤٣هـ/١٠٧٥-١١٤٨م)، احكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ص١٥٢٣.

(2) خسرو، سفرنامه، ص٥٤.

(3) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٦٤.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٣٠.

(5) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٤٨-١٤٩.

هـ - أهل الريف(الفلاحون):

اتسمت منطقة جنوب الشام بأنها منطقة زراعية من الدرجة الأولى، وكان الريف فيها خصبا مزدهرا بشكل عام، وهذا ما وصفه أغلب الرحالة والجغرافيين الذين زاروا المنطقة كالمقدسي، ناصر خسرو اللذان يصفان ذلك بقولهما:" الضياع الجليلة"، و" النفيسة" حول الرملة والداروم. والكروم والتفاح والشجر حول الجليل، وقرى الفراديس الأربع قرب القدس، وعمارات سلوان. وعن الخيرات المتدفقة والنعم في رساتيق الجليل وأرسوف وغير ذلك[1]. ونستطيع أيضا أن نستدل على مدى اتساع الريف في جنوب بلاد الشام من خلال قول ناصر خسرو:" سرت من عسقلان وتوغلت في قرى كثيرة لو أردت الحديث عنها جميعها لاستغرقت صفحات كثيرة"[2].

واتصفت الحياة بالريف بالهدوء والبساطة، والسهولة في التعامل بين الفلاحين، الذين سادت بينهم روح التعاون والمشاركة خاصة في مجال العمل الزراعي عند جني المحصول الزراعي، فأهل الريف يأكلون مما يزرعون ويعتمدون على ما تنتجه الارض في تجارتهم مع المدن، فهم يبيعون قسما من الانتاج، ويخزنون قسما كمؤنة لهم[3].

وكان أغلب سكان الريف في جنوب بلاد الشام من السكان الأصليين (الخلائط الآرامية)، وعندما تم الفتح الاسلامي للمنطقة ونزلت بعض القبائل العربية في جنوب بلاد

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١، ١٤٢-١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١. خسرو، سفرنامه، ص٥٠، ٥٤، ٧٣، ٧٦.

(2) خسرو، سفرنامه، ص٨١.

(3) فالح، الحياة الزراعية، ص١٩٢.

الشام تحولت حياة قسم كبير منهم بالتدريج الى حياة الاستقرار، فعملوا بالزراعة، وامتلكوا الضياع[1].

وكما اتصف الريف بالبساطة، فإن حياة أهل الريف كانت ولا زالت كذلك، فهم متمسكون بالعادات والتقاليد بشكل كبير. فأهل الريف قليلو الاختلاط بغيرهم، ويبدو أن الحياة المنزلية لم تتغير في مظاهرها الأساسية عندهم، فالتغيير كان بطيئا بسبب ظروف الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية للبلاد بشكل عام[2]. فهم يقتصرون على الضروري من المأكل والملبس والمسكن، وسائر الأحوال والعوائد ويقتصدون من الأشياء الكمالية[3]. فهم يعتمدون على البيئة بتزويدهم بما يحتاجون اليه في معيشتهم، فبيوتهم مبنية من الطين او اللبن او الحجارة والخشب، وهذا النمط من بيوت الفلاحين وجد في قرى الاردن وفلسطين الى وقت قريب، وهذا ما يفهم من قول ابن قدامه اذ يذكر:" ولابد أن يكون الحائط منيعا يمنع ما وراءه ويكون مما جرت العادة بمثله ويختلف باختلاف البلدان فلو كان مما جرت عادتهم بالحجارة وحدها كأهل حوران وفلسطين أو بالطين كالفطائر لأهل غوطة دمشق أو بالخشب أو بالقصب كأهل الغور كان ذلك أحياء"[4].

---

(1) اليعقوبي، البلدان، ص٨٨-٩٠. شاكر مصطفى، جنوب الشام، ص١.

(2) حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٩٤.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٢.

(4) ابن قدامه، عبدالله بن احمد بن محمد، ت(٦٢٠هـ/١٢٢٣م))، المغني، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧، ج٥، ص٥٣٨. وسيشارله فيمابعد: ابن قدامه، المغني. وانظر: غوانمه، دراسات، ص٩٢.

ففي شمال البحر الميت اكتشفت بيوت جدرانها من اللبن، وأساسها من حجر الغشيم(الأحجار الكبيرة الحجم) في حين أن السقوف من القصب المغطى بالطين[1]، وكان الفلاحون في جنوب الشام يبنون الطوابين بجانب بيوتهم لعمل الخبز[2].

وكانت القرى بشكل عام تنهض عادة قرب ينابيع المياه، واذا تعذر وجود الينابيع كانوا يحفرون الصهاريج والآبار لجمع مياه الأمطار يبدو أن هذه الصهاريج قديمة جدا.

ويلاحظ بشكل عام أن بيوت القرية تكون متقاربة من بعضها البعض، وازقتها ضيقة وأحيانا غير نافذة وذلك لسهولة الدفاع عن السكان وحمايتهم من الغارات الخارجية[3].

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية في القرية فهي تقوم على اساس التعاون الجماعي بين افراد القرية خاصة في الأعمال الزراعية، والمشاركة في الافراح والأتراح واحترام الصغير للكبير، ولرب الأسرة المرجع في جميع الامور[4].

وشكلت المرأة في مجتمع القرية عنصرا هاما، فبالاضافة الى أعمال البيت المعتادة من اعداد الطعام، ورعاية الأولاد، فإنها كانت تساعد زوجها في الأعمال الزراعية وكذلك امتهنت المرأة في الريف صناعة الأجبان، والنسيج والحياكة وصناعة البسط الجميلة. وظلت الحياكة مهنة تزاولها الريفيات والمدنيات في العصور اللاحقة[5].

---

(1) حتي، تاريخ سورية، ج١، ص٩٤.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧-١٥٨.

(3) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٣٣. نمط البناء متشابها في العصور الاسلامية المختلفة.

(4) احمد، رمضان احمد، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص٢٠٩-٢١١. وسيشارله فيمابعد: احمد رمضان، المجتمع الاسلامي.

(5) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٦٣. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٣٤.

و - البدو:

اتسمت حياة البدو منذ القدم بعدم الاستقرار والتنقل من مكان إلى آخر، ففي الصحراء يسكنون طلبا للكلأ والمراعي اللازمة للماشية التي يقومون بتربيتها والاعتناء بها، فالرعي هي المهنة الرئيسة التي مارسها البدو، ولازالوا كذلك حتى الوقت الحاضر.

كان البدو يشكلون قطاعا هاما من سكان جنوب بلاد الشام، وكانوا يتألفون من عشائر وبطون، انتشرت مضاربهم في مختلف انحاء منطقة جنوب بلاد الشام وعلى سيف البادية من الشمال الى الجنوب، وإن كانوا في أحيان كثيرة يجاورون القرى والمدن. وقد أنف البدو حياة الاستقرار في قرى حضرية، ولم يمتهنوا الزراعة إلا في حدود ضيقة(نصف الرعاة).وقد زاولوا مهنة الرعي وتربية الماشية وتغذوا على منتجاتها، وباعوا الفائض من انتاجها للمدن والقرى والأسواق الموسمية. فقد ذكر ابن خلدون العمران البدوي بقوله: " أن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الانعام، وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منتجة إنما هو قصد الاستقلال، وقد يأوي الى الكهوف[1]. وقد ورد في القرآن الكريم وصف لمساكن البدو وأثاثهم وامتعتهم بعبارة في منتهى الرقة والجزالة قال تعالى:"وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين" (سورة النحل آية ٨٠)، ويذكر ابن خلدون كذلك:" فالبدو أصل للمدن والحضر، وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٣٠.

الضروري فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة، ولهذا تجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها"[1].

وللبدو عادات وتقاليد متوارثة التزموا بالحفاظ عليها، وممارستها في مختلف شؤون حياتهم، فلهم أحكام وقوانين عشائرية يعملون بها، وللبدو قاض يحكم بينهم اذا ما حصل خلاف في أمر ما. والنظام القبلي هوالسائد بين القبائل العربية، فلكل قبيلة شيخ وهو بمثابة الحاكم لهم، مرجعهم اليه في مختلف الامور، وأفراد القبيلة ولاؤهم الى قبيلتهم يدافعون عنها. فالبدوي يعتبر نفسه محاربا، ولذا فهو يحتقر مهنة الفلاحة ومن هنا فقد اتسمت العلاقة بين البدو والفلاحين بالعداوة احيانا، والاعتداءات على الاراضي الزراعية[2]. ان كثيرا من النظم الاجتماعية، وأنماط السلوك، والقيم البدوية لازالت تتعايش في مدننا، وعواصمنا العربية المعاصرة، جنبا الى جنب مع أنماط السلوك الغربية المكتسبة، لا بل تكاد تنفرد بشخصيتها في المجتمعات العربية القروية. فنظام القرابة والانتماء العائلي ساعد على أن يحتفظ العرب بوحدتهم الحضارية، والحفاظ على قيمهم الروحية[3].

وينقسم البدو إلى ثلاثة أقسام: قسم كان يرتحل من مكان الى آخر، وقسم شبه مستقر، والقسم الآخر هو ما يسمى بالعشير. وهذا القسم مؤلف من فلاحين ابقوا على تنظيمات أسلافهم العشائرية[4].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص١٣١.

(2) المقريزي، السلوك، ق٢،ج٢، ص٨٠٤.

(3) غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٣٥. ومع أن هذا المرجع يتحدث عن فترة متأخرة إلا أن العادات والتقاليد ظلت متوارثة جيلا بعد جيل.

(4) ابن صصري، محمد بن محمد(ت٨٠٠هـ/١٣٩٧م)، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم، م، بريز، جامعة كاليفورنيا، بيركلي، ١٩٦٣، ص٥. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٧. آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص٣٧٤.

وسكن منطقة جنوب بلاد الشام العديد من القبائل العربية التي استقرت وحافظت على تنظيماتها العشائرية، فالمؤرخ والجغرافي اليعقوبي ذكر هذه القبائل وأماكن استقرارها بقوله:" وأما أهل جند فلسطين فأخلاط من العرب من لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة" ويضيف مفصلا:" حوران ومدينتها بصرى وأهلها قوم من قيس من بني مرة خلا السويداء، فإن بها قوما من كلب. والبثنية ومدينتها أذرعات وأهلها قوم من يمن ومن قيس. والظاهر (هضبة الاردن الشرقية) ومدينتها عمان والغور. ومدينتها ريحا(اريحا) وهاتان المدينتان أرض البلقاء، وأهلها قوم من قيس، وبها جماعة من قريش، وقاب وزغر: وأهلها أخلاط من الناس. والشراة ومدينتها أذرح، وأهلها موالي بني هاشم، وبها الحميمة منازل علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وولده، ..وجبل الجليل: وأهلها قوم من عاملة...، والرملة مدينة فلسطين، وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم وذمتها سامرة، .... وكورة جبرين(بيت جبرين) وأهلها قوم من جذام[1]". وهذه القبائل العربية ما تزال سلالاتها ممتدة فنجد بعضهم نال حظوة لدى السلاطين في فترات لاحقة عندما أوكلوا لهم مهمة درك أي حراسة الطرق والمسالك عبر أراضيهم نظير أموال، واقطاعات وامتيازات تقدم اليهم[2].

[1] اليعقوبي، البلدان، ص٨٧-٩٠. وانظر: غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٣٦-١٤٠.

[2] غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٣٥.

الألبسة

اهتم سكان جنوب الشام بألبستهم وتعددت أنواعها ومسميالها فقد دلت المصادر العربية والإسلامية والمراجع العربية الحديثة على ذلك وكانت الألبسة تنقسم الى:

- الالبسة الخارجية

أ- **الإزار:** وهو قماش فضفاض يغطي الملابس، غير مطرز ويلف حول الوسط والأرجل، وقد استعمل للرجال والنساء، وفي بعض الأحيان كان يستخدم الرجل أزارين الأول يغطي أعلى الجسد والآخر اسلفه[1].

ب- **الجبة:** وقد شاع لبسه بين أهل الريف[2]، وأطلق عليها أحيانا اسم الفرجية[3]. وهو لباس خارجي من القماش الطويل مفتوح من الأمام واسع الأكمام وتلبس فوق القميص، وهي مصنوعة من القطن[4]، وأحيانا من الصوف[5].

ج- **القميص:** على شكل لباس مصنوع من الكتان لونه أبيض ويلبس في الصيف وله فتحة عنق دائرية، بدون فتحة امامية[6].

---

(1) العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص١٨١،١٨٣،١٨٧. وسيشارله فيمابعد: العبيدي، الملابس في العصر العباسي. العسلي، كامل، وثائق مقدسية تاريخية، (د.ن)، عمان، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٤. وسيشارله فيمابعد: العسلي، وثائق مقدسية. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٣.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٣.

(3) ماير، ل، الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م)، ١٩٧١، ص٣٠. وسيشارله فيمابعد: ماير، الملابس المملوكية.

(4) العبيدي، الملابس في العصر العباسي، ص٢٤١. ماير، الملابس المملوكية، ص٣٠. العسلي، وثائق مقدسية، ص٥٩.

(5) احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٣.

(6) ماير، الملابس المملوكية، ص٣٧. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٢.

د- القباء: وهو ثوب طويل مقفل من الامـــام بــازرار، ومقــور تمــام التقويــر في موضع الرقبة، ويلبس تحت القباء الجبـــة[1].

هـ- الطيلسان: نوع من أنواع الثياب يوضع فوق الكتف أو الرأس ويغطي نصف الوجه وأطلق عليه أحيانا اسم طرحه[2].

وكان أهالي جنوب بلاد الشام يلبسون المماطر(رداء للوقاية من مياه الأمطار) [3].

الألبسة الداخليـة

أ- **السراويل**: نوع من الملابس التي تلبس تحت الملابـــس الخارجيــة ولهــا ســاقان وتستر اسفل الجسم[4]. وكان أهل القدس، ونــابلس يلبســون الملابــس احيانــا بدون ســراويل[5].

ب- **التبان**: من ألبسة البدن الداخلية وهو ســـروال صغــير[6].

لباس الـرأس:

أ- **الشاش**: هو لباس خفيف نسبة الى مدينة شاش فيمــا وراء النـــهر، وهـــي مثـــل المخروط الناقص يخرج من وسطها مثـــل النتـــوء[7].

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٤.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. العبيدي، الملابس في العصر العباسي، ص١٠٤،١٠٥. ماير، الملابس المملوكية، ص٩٤.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

(4) احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٢.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٧٢. ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٨٣.

(7) العبيدي، الملابس في العصر العباسي، ص١٠٠،١٠٤. العسلي، وثائق مقدسية، ج٢، ص٤٨.

ب- **العمامة:** ويلبسها العلماء وعامة الناس على اختلاف طبقاتهم، وتصنع من القطن[1] وتكون هذه العمائم على شكل قطع أو خرق تلف حول الرأس وتسمى التخفيفة[2].

ج- **الكوفية والعقال:** وهي لباس أهل القرى بالدرجة الأولى وتكون الكوفية عبارة عن منديل مربع يلبس فوق الرأس وله من الطول ذراع ومثله في العرض، ويقال سميت كذلك نسبة الى الكوفة في العراق[3]. ويوضع العقال الذي يكون مبروما مثل الحبل على الكوفية ويلبس تحتها طاقية صغيرة ليثبت الغطاء على الرأس[4].

لباس القدم:

أ- **الخف:** حذاء غليظ، وهو أسود اللون على الغالب[5].

ب- **النعل:** حذاء قصير مصنوع من الجلد الملون أو الاسود[6].

ج- **الزربول:** نوع من الاحذية الطويلة تشبه الجزمة في وقتنا الحاضر[7].

---

(1) ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٨٢.

(2) ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٨٢. العبيدي، الملابس في العصر العباسي، ص٩٠،١١٣. ماير، الملابس للملوكية، ص٩٩.

(3) احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٢.

(4) احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢١٢.

(5) العبيدي، الملابس في العصر العباسي، ص٣١٨. العسلي، وثائق مقدسية، ج٢، ص٣٧. غوانمة، التاريخ الحضاري، ص١٥٢.

(6) ماير، الملابس للملوكية، ص١٢٩.

(7) العبيدي، الملابس في العصر العباسي، ص٣١٧. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٥٢.

الطوائف الدينية

يتألف سكان منطقة جنوب بلاد الشام كباقي الديار الشامية، والمصرية من الطوائف التالية:-

١- المسلمون:

ويشكلون غالبية السكان، فمنذ الفتح الاسلامي للمنطقة بدأ قسم كبير من السكان الأصليين(الخلائط الآرامية، التي عرفت أحيانا بالأنباط العجم) بالتدريج يتحولون من الديانة المسيحية الى الاسلام فحلت اللغة العربية مكان اللغة السريانية[1]. وبذلك ازداد عدد السكان المسلمين.

وانضم الى السكان الاصليين في اعتناق الاسلام، القبائل العربية التي كانت تسكن في أماكن متعددة من جنوب بلاد الشام قبل مجيء الاسلام، وأضيف اليها سكان القبائل العربية التي نزلت المنطقة بعد الفتح، فأدى ذلك الى زيادة عدد السكان.

فأغلب السكان في جنوب بلاد الشام كانوا من أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح من أهل الفقه والحديث، وهم على المذاهب الفقهية الأربعة: الشافعية والمالكية والحنبلية، والحنفية[2]. حيث وجد لهذه المذاهب الفقهية حلقات تعقد في المساجد يتذاكر فيها الناس أمورهم الفقهية، فكان لأصحاب المذهب الحنفي حلقة(مجلس) ذكر في المسجد

---

[1] اليعقوبي، البلدان، ص٨٩. شاكر، جنوب الشام، ص١-٣. وله: فلسطين ما بين العهدين الفاطمي والايوبي، الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات الحضارية، (د.ن)، بيروت، ١٩٩٣، مج٢، ص٤٤٥. وسيشارله فيمابعد: شاكر، للموسوعة الفلسطينية.

[2] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٣-١٥٤. متز، الحضارة الاسلامية، ص١٦٥-١٨٠. الخازن، الحضارة العباسية، ص١٤٨-١٥٣. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٦٦.

الاقصى[1]، ومع أن المذهب الشافعي هو السائد في جنوب بـــلاد الشـــام، إلا أن القضـــاة كـــانوا يعينون فيها من أصحاب المذهب الحنفـــي[2].

وبالرغم من انتشار الاسلام في جنوب الشام إلا أن المصادر تذكـــر عـــن وجـــود اثنـــتي عشر مسجدا فقط[3]، ولما كانت المنطقة تحت الحكم الفـــاطمي فقـــد انتشـــر المذهـــب الشـــيعي في بعض المدن، فقد كان أهل طبرية، وعمان شـــيعة، كمـــا أن نصـــف نـــابلس كـــانوا شـــيعة كذلك[4]، ويذكر اليعقوبي: أن أهالي طبرية كانوا خلال القـــرن الثـــاني الهجـــري علـــى مذهـــب الاشـــعرية[5].

ومن الفرق الاسلامية الاخرى التي وجدت في جنوب بـــلاد الشـــام، الكراميـــة، الذيـــن كان لهم مجالس وخوانق في بيت المقدس[6].اما المعتزلة فقد كانوا في خفيـــة مـــن أمرهـــم[7].

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٣-١٥٤.

(3) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٩.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤،١٥٦. غوانمه، عمان، ص٦٥. البيشاوي، نابلس، ص١٥٣.

(الشيعة: هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصاية، إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. (الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٥، ج١، ص١٩٥. وسيشارله فيما بعد:الشهرستاني، الملل والنحل).

(5) اليعقوبي، البلدان، ص٨٨. (الاشعرية: هم اصحاب ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري، المنتسب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عليه، وهم على قول: اثبات الحال ونفيه لصفات الله تعالى، وإن الانسان مسير وليس مخير، فلا عقاب لأفعاله السيئة. (الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١١٩-١٣٣)).

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٠. (مادة الخانقة).

- الكرامية: فرقة اسلامية مستقلة من الصفاتية المجسمة: أتباع ابو عبدالله محمد بن كرام السجستاني (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م). الامين، شريف يحي، معجم الفرق الاسلامية، دار الاضواء، (د.م)، ١٩٨٦، ص١٩٥-١٩٦).

- الخوانق: مفردها الخانقاه ،وهو مكان خاص يسكنه أهل الصلاح والخير والصوفية. (ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٢٠).

(7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٣.

- المعتزلة: ويسمون بأصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، ولهم مبادئ عدة منها: أ- ا، القدر خير وشره من عند الله تعالى ب- أن القرآن الكريم مخلوق. جـ- الوعد والوعيد. د- العدل. هـ- العقل أساس الحكم. (الشهرستاني، للملل والنحل، ج١، ص٥٣-٥٧).

وأما العثمانية (موالي عثمان بن عفان) التي نزلت في مدينة أيلة(العقبة)، وبقيت ذريتهم فيها لعصور متأخرة، فقد اشتغل هؤلاء بالحديث، وكانوا حلقة الوصل بين علماء الحجاز من جهة، مصر والشام من جهة أخرى. وبهذا تكون أيلة قد لعبت دورا هاما في ازدهار الدراسات الدينية بعامة، وعلم الحديث بخاصة حتى أنها وصفت بأنها أحد مراكز الرواية الهامة في بلاد الشام[1].

٢- النصارى:

على الرغم من انتشار الاسلام بين السكان الاصليين في منطقة جنوب بلاد الشام. إلا أن العديد منهم بقي على الديانة النصرانية، فالاسلام لم يجبر أحدا على ترك دينه، بل ظل أهل الذمة من النصارى واليهود يؤدون طقوسهم الدينية بحرية تامة.

ومن هنا فإننا نجد أن هؤلاء النصارى تواجدوا في مناطق أكثر من غيرها، فهناك مدن كان يسكنها مجموعات كبيرة من النصارى كبيت لحم، مكان مولد السيد المسيح عيسى عليه السلام وفيها كنيسة المهد[2]. وبيت المقدس وفيها كنيسة القيامة[3]، وطبرية[4]، والناصرة[5]، والكرك، والشوبك وعمان[6].

عاش النصارى إلى جانب المسلمين متجاورين في المسكن، والعمل متعاونين فيما بينهم، وهذا ما يؤكده برنارد الحكيم عندما زار بيت المقدس عام(٢٥٧هـ/٨٧٠م)،

---

(١) غوانمه، الحياة العلمية ، ص١٤. نبيه عاقل، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، مج٢، ص٣٢٤.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧.

(٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤.

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤١.

(٥) الهروي، الاشارات، ص٢٢.

(٦) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٧. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٤٢.

بقوله:" إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام، والأمن مستتب"[1]. فالتسامح الديني الاسلامي أعطى للطوائف الدينية - أهل الذمة- حق ممارسة شعائرهم الدينية، وبكل حرية ودون أي تدخل ما لم تمس الدولة الاسلامية بأذى، وهذه الحرية الدينية في ممارسة الشعائر الدينية كفلها الخليفة عمر بن الخطاب للنصارى عندما تسلم مفاتيح بيت المقدس من بطريركها صفرونيوس[2]، ولقد سار الخلفاء فيما بعد على نهج الخليفة الراشدي في هذا الامر.

ورغم تلك المعاملة الحسنة إلا أنه كانت تمر فترات تسوء فيها العلاقات بين المسلمين والنصارى نتيجة فتن واضطرابات تحدث بين الطرفين[3]، ومهما حدث للنصارى من مضايقات إلا أنهم تمتعوا بحياة افضل مما كانوا عليها تحت الحكم البيزنطي والأفرنجي فيما بعد، حتى أن المسلمين شاركوا النصارى في أعيادهم، وفي أتراحهم وأفراحهم.

---

[1] نقولا، رواد المشرق العربي، ص١٥٣.

[2] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤٩٨.

[3] في عام(٣٦٢هـ/٩٢٤م) ثار المسلمون على النصاري بدمشق، والرملة حيث هدموا الكنيسة للملكانيين، وكذلك كنيسة قيسارية، فرفع النصارى للخليفة العباسي المقتدر بالله فأصدر أوامره باعادة بنيان ما هدم من الكنائس النصرانية في الرملة وعسقلان، وغيرهما من المدن التي وحدث فيها كنائس للنصارى. ومما يجدر ذكره أن اليهود كانوا يساعدون المسلمين بل هم الذين ربما أشعلوا النيران في كنيسة عسقلان ليتملقوا للمسلمين وهم قلة، أو نكاية بالنصارى. وفي عام(٣٥٥هـ/٩٦٥م)، وفي عهد الاخشيد كان والي القدس الاخشيدي يدعى محمد بن اسماعيل الصناحي، وكان الحسن بن عبيد الله بن طفج واليا على بلاد الشام كلها، وكان يأخذ الأموال من بطريق النصارى في مناسبة الأعياد، ويبدو أنه أثقل عليه في الطلب هذا العام فشكاه الى كافور الاخشيدي فكتب إليه هذا أن انصف النصارى، إلا أنه لم يرتدع فاضطر البطريق ألى أن يهاجر الى الرملة حيث المعاملة الافضل فتدخل الحسن بن عبيد الله ليثنيه عما هو مقدم عليه، وكتب لوالي القدس بضرورة انصاف النصارى، ولكن الصناحي عظم عليه الامر فما كان منه إلا أن استعمل العنف مع النصارى وأحرق كنيسة القيامة، وصهيون وغيرهما ونهبهما. (الانطاكي، يحي بن سعيد، (ت٤٥٨هـ/١٠٦٧م)، تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس، لبنان، ١٩٩٠، ص٧٧، ١١٠-١١٢. وسيشارله فيمابعد: الانطاكي، تاريخ اوتيخا. ترتون، اهل الذمة، ص٥٢-٥٣.

٣- اليهود:

تمتعت الطائفة اليهودية بالمعاملة الحسنة من قبل المسلمين، ومارسوا تأدية شعائرهم الدينية بحرية تامة، تلك الحرية التي كفلها لهم الاسلامي باعتبارهم من أهل الذمة، الذين عاشوا بين المسلمين ووجدوا كل تقدير وود وتعاون.

وتوزعت الطائفة اليهودية في عدة مدن وقرى في جنوب بلاد الشام، وكان عددهم أقل من النصارى، وكانوا يتألفون من ثلاثة طوائف: اليهود الربانيون[١]، واليهود القرائيين[٢]، وكان السامرة هم الأغلب في جنوب الشام، فالمقدسي يذكر:" والسامرة فيه من فلسطين(الرملة) الى طبرية، ولا تجد مجوسيا ولا صابئا"[٣]. وأكثر تواجد للسامرة كان في مدينة نابس ويبنا[٤]، وبيت ماما[٥]، وهي عندهم مقدسة، ولا يسكنون غيرها إلا لمعمل أو لحاجة[٦]. ومن معتقدات السامرة أنهم الوحيدون المتحفظون بالتوراة، والتعاليم الموسوية

---

[١] اليهود والربانيون: هم أحد الفرق اليهودية الكبيرة، وهم شيعة الحاخاميم الفقهاء الذين افتروا على الله ، وزعموا أن الله يخاطبهم بكل مسألة بالصوت الذي سموه" بث قول"، وتسمى هذه الفرقة: الفريسيون، حيث كانت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على عهد السيد المسيح. كما كانوا من أشد خصوم للمسيح خطرا لتبحرهم في العلم وزعامتهم بين الناس. (البيشاوي، سعيد وآخرون، دراسات في الأديان والفرق، دار الاتحاد، عمان، ١٩٩٠، ص٥٠. وسيشارله فيمابعد: البيشاوي، الاديان. أسود، عبدالرازق محمد، المدخل الى دراسة الاديان، والمذاهب، دار المسيرة، دار العربية للموسوعات، لبنان، ١٩٨١، ج١، ص١٩١. وسيشارله فيمابعد: اسود، دراسة الاديان).

[٢] اليهود والقرائيين: تأتي تسميتهم من كفرهم بـ" المشنا"، " التلمود"، وجعلهم الكتاب المنـزل هو النص المقدس المكتوب المسمى بـ "المقرا"، وتعرف هذه الفرقة باسم العنانيون أيضا نسبة الى مؤسسها: عنان بن داود الذي قام بتأسيها في العراق في القرن الثامن الميلادي(البيشاوي، الاديان، ص٥١-٥٢. اسود، دراسة الاديان، ص١٩٣-١٩٤).

[٣] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٤. اليعقوبي، البلدان ص٨٩.

[٤] اليعقوبي، البلدان، ص٨٩،٩٠. التطيلي، الرحلة، ص١٤٢. البيشاوي، نابلس، ص١٥٢.

[٥] البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٣. ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٢.

[٦] البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٤٧.

الصحيحة، وهم لا يتزاوجون إلا من طائفتهم للحفاظ على العرق السامري، وللسامرة رئيس يقيم في نابلس[١]، وهم كذلك إلى الآن.

ومن المناطق الأخرى التي تواجد فيها السامرة، وغيرهم من اليهود مدينة بيت المقدس[٢]، كما وجدت أعداد قليلة من اليهود في مدينة عجلون حسب رواية التطيلي الذي يذكر أنه عندما زار عجلون وجد في هذه المدينة نحو ستين يهوديا بينهم الربيون، وصادوق، واسحاق[٣]، وتشير بعض الوثائق عن وجود عدد قليل من اليهود في مدينة عمان في العصر الفاطمي[٤].

وكان لليهود معابدهم الخاصة يؤدون فيها شعائرهم الدينية تعرف باسم الكنيش، كما أنهم يذهبون بأعداد كبيرة الى بيت المقدس لزيارتها في مواسم خاصة بهم[٥].

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٥٨-٥٩. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢٠١. غوانمه، تاريخ القدس، ص١٢٢.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٤. الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٥٨.

(٣) التطيلي، الرحلة، ص١١٧. وهذا المصدر متأخر عن الدراسة ولكنه يعطينا فكرة عن اعداد اليهود في فلسطين والذي كان عددهم ضئيلا جدا.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٣. غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٤٤.

(٥) خسرو، سفرنامه، ص٥٣.

العادات والتقاليد

إن أغلب ما نمارسه من سلوكيات حاليا في وقتنا الحاضر من احتفالات دينية أو مدنية، أم مآتم ما هي إلا ممارسات مستمدة من العادات والتقاليد التي عرفها الأهالي منذ زمن بعيد، توارثتها الأجيال مع حدوث بعض التغيرات التي تتوافق ومتطلبات العصر. وهذه الاحتفالات لم تكن مقتصرة على المسلمين بل شملت أهل الذمة من نصارى ويهود.

الأعياد الدينية

وهي كثيرة ومتنوعة خاصة في فترة العصر الفاطمي، وأهم الاحتفالات التي قام بها المسلمون في جنوب بلاد الشام، والعالم الاسلامي هو الاحتفال بالعيدين الفطر، والاضحى اضافة الى الأعياد التي استحدثت في العصر الفاطمي، واهتم المسلمون بالاحتفال بها. كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ولليالي الوقود، وعيدا لغدير، وغير ذلك من الاحتفالات التي كان لها مراسم ومواعيد معينة انتظرها الأهالي لما لها من مظاهر احتفالية متميزة. ومازالت بعض الاحتفالات بالأعياد قائمة نذكر منها:-

عيد الفطر، وعيد الأضحى(النحر)

بعد صوم شهر رمضان، وأداء الشعائر الدينية التي تميز شهر رمضان المبارك من أداء صلاة التراويح، والسماح للدروس والمواعظ في المساجد[1]، يأتي عيد الفطر ليستقبله الأهالي بفرحة وترتيبات خاصة تبعث البهجة، والسرور في النفوس عند الصغار والكبار،

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦.

فأول ما يقوم به المسلمون في أول أيام عيد الفطر أو الأضحى على حد سواء هو أداء صلاة العيد في المساجد، وبعدة يخرجون إلي المقابر لزيارة موتاهم[1].

وكذلك تحتفل الخوانق والروابط والزوايا بقدوم العيد[2] ومن الأمور التي يقوم المسلمون بها في أيام العيد هو لبس الملابس الجديدة، ويقوم الاصغر بزيارة الاكبر[3]. اضافة الى تزيين الشوارع والأسواق بمختلف أنواع الزينة لاضفاء المسرة والبهجة في القلوب.

أما بالنسبة للاحتفال بالعيد الاضحى فيبدأ من يوم عرفة، حيث يحتفل الأهالي به في المساجد بعد صلاة العصر حتى مغيب الشمس[4]. حتى أن الذين لا يستطيعون الذهاب الى الحج يزورون بيت المقدس، ويذبحون الذبائح في يوم العيد، ويقومون بعد ذلك بختان أولادهم[5]، ومن العادات المتبعة الى الآن هو تزيين مداخل البيوت لاستقبال الحجاج، والمباركة لهم بالعودة الميمونة.

عيد الغدير

وهو من الأعياد الخاصة بالشيعة، وأصل هذا العيد ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله بشأن علي بن أبي طالب في غدير خم[6]:" ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا:

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص١١٩. كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٨٢.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٦-١٥٧.

(3) كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٩٣.

(4) ابن بطوطة، الرحلة، ص٥٨. ابن جبير، الرحلة، ص١٣٢.

(5) خسرو، سفرنامه، ص٥٣. بكار، بيت المقدس، كما صورها ناصر خسرو، ص١٢٢.

(6) غدير خم: منطقة تقع بين مكة، والمدينة سمي العيد باسمها نظرا لأن الحديث الشريف قيل فيها. (ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١).

من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه"[1].

وهذا العيد مستحدث بدأ الاحتفال به في العصر الفاطمي، وتكون بداية الاحتفالات به في يوم الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام، يقوم الشيعة ليله بالصلاة، ويصلون في صبيحته ركعتين قبل الزوال، ويلبسون فيه الجديد، ويعتقون فيه الرقاب ويكثرون من عمل البر ومن الذبائح[2].

ليالي الوقود

وهي من الاحتفالات الدينية التي استحدثت في العصر الفاطمي استعدادا لمقدوم شهر رمضان. وليالي الوقود الاربع هي ليلة رجب ونصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه، وقد عرفت بالوقود، لأنه كان يزاد فيه الوقيد(الاضاءة) على حافات الجوامع، والمساجد، كما يحرق البخور في مجامر الذهب والفضة، كما تقدم سلال الحلوى والطعام على الحاضرين بالمسجد، ثم ينشد المنشدون والناحة، حتى منتصف الليل[3].

المولد النبوي

مازال الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف حتى الآن، وذلك في شهر ربيع الأول في اليوم الثالث عشر منه. وذلك بترتيل الأناشيد الدينية الخاصة بهذه المناسبة، وعقد حلقات ذكر لسيرة النبي عليه الصلاة والسلام[4].

---

(1) مسند الامام احمد بن حنبل، دار صادر ، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص٢٨١.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٤٥. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢٤٣.

(3) المقريزي، الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٥. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢٤١.

(4) احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢٤١. كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٩٢.

أعياد أهل الذمة

احتفل اهل الذمة من نصارى ويهود، بأعيادهم الدينية الخاصة بهم بطريقتهم الخاصة، وفي أوقات معينة من السنة.

أعياد النصارى

أ- **عيد الميلاد:** وهو اليوم الذي ولد فيه السيد المسيح، ويصادف في وقت البرد[1]، أي في ٢٥ كانون أول، ويحتفل النصارى بهذا العيد بتزيين الكنائس وايقاد المصابيح فيها[2].

ب- **عيد الفصح:** وهو العيد الكبير لدى النصارى، ويكون مع نهاية صومهم الأكبر، ويزعمون أن المسيح قام فيه بعد صلبه بثلاثة أيام، وأقام أربعين يوما ثم صعد الى السماء[3]، وموعد عيد الفصح هو وقت النيروز[4]. وجرت العادة أن يقوم النصارى بالاحتفال بهذا العيد خاصة في كنيسة القيامة ببيت المقدس التي يقصدها النصارى من كل مكان بالشام، ومصر وبلاد البيزنطيين للحج اليها يوم الفصح. ويحملون اليها الأموال الجمة والثياب

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٥٤.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٥٤.

(٤) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

- النيروز: وهو اليوم الجديد، وأهل الشام يحتفلون به في اليوم الأول من كانون الثاني ويسمونه القلنداس. (المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٣٨. البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي(٣٦٢هـ-٤٤٠هـ/٩٧٢-١٠٤٨م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، ١٩٢٣، ص٢٩٣. وسيشارله فيمابعد: البيروني، الاثار الباقية. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٥٨).

والستور، ويصوغون لها القناديل والأواني من الذهب والفضة، وفي هذا اليوم تضاء الكنائس، وتنصب الصلبان[1].

ج- **عيد الشعانين:** أي التسبيح، ويحتفل به النصارى سابع أحد من صومهم[2]وحول كيفية الاحتفال بهذا العيد ما يصفه الأنطاكي بقوله:" وكان رسم النصارى في بيت المقدس جاريا في كل عام بحمل شجرة الزيتون في عيد الشعانين من الكنيسة بالعازرية (العيزارية) الى كنيسة القيامة وبينهما مسافة بعيدة، وأن يشق بها شوارع المدينة بالقراءة والصلوات حاملين الصليب مشهورا، ويركب والي البلد في جميع مركبه معهم، ويذب عنهم وكان الرسم بمصر وسائر البلاد أيضا أن تزين الكنائس في هذا العيد بأغصان الزيتون وقلوب النخيل، ويفرق على الناس على سبيل التبرك"[3].

د- **عيد بربارة:** وهو ينسب الى القديسة بربارة، ويصادف في أول الشتاء في الرابع من شهر كانون أول[4].

هـ - **عيد العنصرة:** ويسمى عيد الخميس، ويصادف في العشرين من شهر نيسان[5].

---

(1) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٠٨-١٠٩. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٠٨.

(2) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٠٧.

(3) الانطاكي، تاريخ اوتيخا، ص١٩٤.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧. صالح بن يحي، صالح بن الحسين(ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، تاريخ بيروت، تحقيق: فرنسيس هورس اليسوعي، وكمال الصليبي، دار المشرق، بيروت، ، ١٩٦٧، ص٩. وسيشارله فيمابعد: صالح بن يحي، تاريخ بيروت.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٥٥.

و- عيد الصليب: وهو احتفال يقيمه النصارى احتفاء باكتشاف الصليب المقدس على يد هيلانه زوجة الامبراطور قسطنطين، ويصادف في السابع من شهر أيلول[1].

هذه الاعياد النصرانية تعارف عليها المسلمون بالمواسم، ويقدرون بها الفصول، ولهم فيها أمثال، وحول ذلك يقول المقدسي:" ومن أعياد النصارى الذي يتعارفها المسلمون، ويقدرون بها الفصول: الفصح وقت النيروز، والعنصرة وقت الحر، والميلاد وقت البرد، وعيد بربارة وقت الأمطار. ومن أمثال الناس: إذا جاء عيد بربارة فليتخذ البناء زماره، وإذا جاء القلندس فتدفيء واحتبس، وعيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لد وقت الزرع وشهورهم رومية[2]".

أعياد اليهود

أ- عيد رأس السنة: وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام في أوائل شهر تشرين اول، أما اليوم الرابع فهو يوم صيام. ويسمون اليهود هذا العيد باسم عيد راس هيشا أي عيد رأس الشهر، ومنزلته عندهم كعيد الاضحى عندنا، ويقولون: إن الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بذبح اسماعيل ابنه فيه، وفداه بذبح عظيم[3].

---

(1) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٢. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٥٧.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٦٤.المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٧٩. البيشاوي، الاديان، ص٤٨. أسود، دراسة الاديان، ص١٧٨.

ب- **عيد صوموريا:** ويسمونه الكبور(الغفران)، وهو يعتبر عندهم الكفارة عن الذنوب، وهو عندهم الصوم العظيم الذي يقولون أن الله فرض عليهم صومه، ومن لم يصمه قتل عندهم، ومدة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين أول، ويختم بمضي ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر[1].

ج- **عيد المظلة:** يعرف هذا العيد باسم "سك وت" بالعبرية، وهو عيد زراعي يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية الغذائية للسنة كلها في فصل الخريف. وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من شهر تشرين أول، ويكون الاحتفال به منذ غروب شمس يوم الرابع عشر، واليوم الأخير يسمى عرابا أي شجر الخلاف، وهو أيضا حج لهم يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل، وأغصان الزيتون، وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض، ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله إياهم في التيه الغمام[2].

د- **عيد الفطير:** ويسمونه الفصح، ويكون في الخامس عشر من شهر نيسان وهو سبعة أيام أيضا يأكلون فيها الفطير، وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخمير، لأن هذه الأيام عندهم هي الأيام التي خلص الله فيها بني اسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا الى التيه، فجعلوا يأكلون اللحم والخبز والفطير

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٦٤. البيشاوي، الاديان، ص٤٧. اسود، دراسة الاديان، ص١٧٨.

(2) القلقشندي، ج٢، ص٤٦٣-٤٦٤. البشاوي، الاديان، ص٤٦. اسود، دراسة الاديان، ص١٩٧٦.

وهم بذلك فرحون. وفي أحد هذه الايام غرق فرعون، وتخلصوا من العبودية التي كانوا يعيشون فيها[1].

هـ - **عيد الأسابيع**: ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، ويكون بعد عيد الفطير بسبعة الأسابيع ويعرف ايضا بعيد الحصاد، ويقول اليهود أن نزول الوصايا العشر على سيدنا موسى - عليه السلام- كان في اليوم الخمسين من العومر(الفترة الواقعة بين بداية عيد الفصح وبداية عيد الحصاد)، واليهود يعظمون هذا العيد ويأكلون فيه القطائف ويتفننون في عملها، ويجعلونها بدلا من المن الذي أنزل الله عليهم في هذا اليوم ويسمى هذا العيد أيضا عشرتا أي الاجتماع[2].

الاحتفالات المدنية

وتكون الاحتفالات المدنية بمناسبات عائلية كحفلات الزفاف، وختان الأولاد، فمن المتعارف عليه في حفلة الختان أن يهدى صاحب الحفلة من أهله وأصدقائه شيئا كثيرا من السمن، والارز، والغنم، وجميع ما يلزم لتلك الحفلة، ويكون ذلك دينا عليه وفاؤه حين يأتي الوقت المناسب لها، وتختم تلك الحفلة بقراءة المولد النبوي الشريف[3]. وكان يتم ختان الأولاد في بعض الاحيان في بيت المقدس في موسم الحج[4].

---

(1) البيشاوي، الاديان، ص٤٧. اسود، دراسة الاديان، ص١٧٧.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص٤٦٤-٤٦٥. البيشاوي، الاديان، ص٤٨. اسود، دراسة الاديان، ص١٧٨.

" وقد اعتمدت على هذه المصادر المتأخرة بالاضافة الى المراجع الحديثة لأن هذه الاعياد ظلت متوارثة جيلا بعد جيل".

(3) كرعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٤١.

(4) خسرو، سفرنامه، ص٥٣. كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٧٥-٢٧٦.

أما حفلات الزفاف فلها ترتيباتها الخاصة، فبعد أن يتم اختيار العروس المناسبة تبدأ (الجاهة)، وذلك بارسال وفد على رأسهم عميد العائلة لطلب النسب، ويتم قراءة الفاتحة، وبعد ذلك بثلاثة أيام تتم الاستعداد لحفلة عقد القران ويحضر الحفل عادة الأقارب، والأصدقاء، ويفتتح الحفل بقراءة المولد النبوي، وبعد أن يتم عقد القران تدار الحلوى على المدعوين، وينتهي الاحتفال بعد دفع المهر المقرر[1].

وبعد أن يتم تجهيز جميع مستلزمات بدء الحياة الزوجية، وتحضر العروس كامل لوازمها يتم تحديد موعد لاقامة حفلة الزفاف التي تقام فيها حلقات الغناء والرقص يعبر فيها الأفراد المدعوون عن فرحتهم بهذه المناسبة من خلال الأهازيج والزغاريد[2]، ولا تزال هذه الافراح متداولة بين الناس.

أما أهل الذمة كانوا يهتمون بحفلات الزفاف، التي كان يحضرها النساء والرجال بأفخر الملابس، وهم يحيون هذه الحفلة بالغناء والرقص والموسيقى، ثم تزف العروس التي تظهر بأفخر الملابس إلى دار زوجها، ويسير أمامها الرجال ومن خلفها وسط الغناء، والموسيقى[3].

---

(١) كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٧٨.

(٢) كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص٢٧٨-٢٧٩.

المآتم والأحزان

فكما للأفراح، والاحتفالات باشكالها طقوس ومراسم خاصة، فإن للاحزان اذا ما حدث مكروه لأحد لا سمح الله - كحالة الوفاة- ترتيبات سلكها المجتمع في جميع العالم الاسلامي، وهي مستمدة من الشريعة الاسلامية.

فإذا ما تم الاعلان عن وفاة احد الاشخاص، قام أهل البيت بالاعلان عن وفاته بالمآذن[1]، فيحضر الأهالي لمواساة أهل الميت ومن هنا يظهر التعاون بين افراد المجتمع الواحد، وتبدأ المراسم بغسل المتوفى وتكفينه[2]، ثم ينقل الجثمان كما هو متعارف عليه الى احد المساجد ليتم أداء صلاة الجنازة على المتوفى، ليشيع الجثمان الى المقبرة. وكانوا يمشون خلف الجنازة كما يعرف لمواساة الميت قبل دفنه في القبر، فالقبور عند اهالي جنوب بلاد الشام كانت مسنمة (قليلة الارتفاع)[3].

وبعد الدفن يذهب الجميع الى بيت اهل المتوفى لتقديم التعزية، او الى بيت كبير الاسرة، ويكون ذلك على مدى ثلاث ليال، يستمعون فيها الى الوعظ والارشاد وعذاب الآخرة[4]. ومن العادات التي عرفت عند أهالي جنوب بلاد الشام هو الخروج الى قبر الميت مدة الثلاثة أيام الأولى من دفنه، وقراءة القرآن الكريم عند قبره وختمه[5].

---

(1) كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٧٦.

(2) ابن الاخوة، معالم القربة، ص١٠١-١٠٥. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢٥٤.

(3) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

(4) كردعلي، خطط الشام، ج٦، ص٢٧٦. احمد رمضان، المجتمع الاسلامي، ص٢٥٤.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧.

الأطعمة والأشربة

لكل بلد أو منطقة نوع من الطعام يشتهر به، ويعرف. فمنطقة جنوب بلاد الشام عرفت أطعمة متعددة اعتمدت في صناعتها على ما تنتجه أراضيهم من حبوب وبقوليات، وخضراوات، وما تقدمه المواشي من الحليب الذي يتم تصنيعه، بالاضافة الى اللحوم بأنواعها، وهذه الاطعمة ما يزال بعضها الآن يصنع في البيوت نذكر منها:

أ- **الرشته**: أو مايعرف الآن باسم حراق اصبعه أو الرشتاية[1].

ب- **الكشك**: وهو يصنع من البرغل بخلطه باللبن الخاثر، ويتم تخزينة لفصل الشتاء[2].

ج- **المنسف**: وهي أكلة مشهورة عند أهل البادية، ويعتزون بتقديمها للضيف الذي يحل عليهم[3].

---

[1] الرشته: وتصنع كالتالي: بقطع اللحم ونوضع في القدر، ويغمر بالماء ثم يوضع عليه عود دار صيني (عيدان القرفة)، وملح وبقبضة البذ حمص ومثل نصفه عدس، ويغلى الى أن ينضج ثم تطرح الرشته والتي هي عجين رقيق مقطع، وتبقى على النار حتى تنعقد سلسا، ثم تترك على النار حتى تهدأ فترفع(البغدادي، محمد بن الحسن، كتاب الطبيخ، أعاد نشره: فخري البارودي، دار الكتاب الجديد، (د.م)، (د.ت)، ص١٧. وسيشارله فيمابعد: البغدادي، الطبيخ).

– يذكر الخوارزمي أن اهل الشام اشتهروا بالاطرية وعلى ما يذكر ابن المبرد طريقة صنعها فإنها نفس اكلة الرشتاية ولكن دون وضع اللحم. انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٥٨. ابن المبرد الدمشقي، كتاب الطباخة، تحقيق: حبيب الزيات، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، مج٣٥، ١٩٣٧، ص٣٧١،٣٧٤. وسيشارله فيمابعد: ابن المبرد، كتاب الطباخة.

[2] يذكر قسطوس بن لوقا كيفية تحضير الكشك بقوله:" يؤخذ من البر بعد كمال يبسه فينقى ويطحن جريشا لا في الغاية بل متوسطا ويوضع في اجانات من الفخار الواسعة الافواه معرضة للشمس في شهر حزيران أو تموز ويصب في أول مرة المخيض قدر ما يغمر ما فيها من الطحين ويحل ما فيها ويغطى ويترك للشمس ثم يصب في اليوم الثالث المخيض وهكذا عشرة أيام ثم يترك ليشتد فإذا اشتد تعمل منه كتل تنشر للشمس حتى ييبس، ويرفع ويستعمل وقت الحاجة". قسطوس، الفلاحة، ص٣٤-٣٥. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٥٨. القاسمي، قاموس الصناعات، ج٣، ص٢٥٨.

[3] يتكون المنسف من اللحم المطبوخ في اللبن الرائب، وتوضع رقاق الخبز في إناء واسع(صينية كبيرة من النحاس)، ويطرح فوقه الارز أو البرغل، ثم يغطي الجميع بقطع اللحم الكبيرة والسمن واللبن الذي طبخ به اللحم، وبعد الطعام كانوا يحتسون القهوة المعدة من البن اليمني.(غوانمه، التاريخ الحضاري، ص١٥٢).

ومن الأطعمة الأخرى التي عرفها أهالي الشام بشكل عام ومنهم أهل منطقة جنوب بلاد الشام الأطعمة التي تعتمد في صنعها على البقوليات كالعدس والذي كان يقدم في دار الضيافة في مدينة الخليل للغرباء مع الزيت، وأحيانا يضاف لذلك الزبيب[1].

كما كان العدس يجرش ويطبخ ويوضع فيه السلق والقلقاس ثم يوضع بعد الاستواء السماق والبصل المقلي والبقدونس والخل والزيت[2]. وكان أيضا يطبخ العدس مع البرغل ويسمى(مجدرة) [3].

ومن البقوليات التي استخدمها أهالي جنوب بلاد الشام في أكلهم الترمس الذي كانوا يملحونه ويأكلونه[4]. وكانوا يصنعون البيسار(نوع من الطعام المصنوع من الفول المجروش) [5]، ويمكن ان تكون هذه الأكلة هي البصارة وهي الفول المجروش المطبوخ مع الملوخية. وقد كانوا ايضا يقلون الفول بالزيت ويسلقونه ويباع مع الزيتون[6].

وكما صنع أهالي جنوب الشام الأطعمة فإنهم صنعوا الحلويات كالزلابية التي كانوا يصنعونها في فصل الشتاء[7] والقطائف[8]. كما أنهم كانوا يصنعون من الخرنوب (الخروب) ناطفا يعرف بالقبيط، ويتخذون من السكر ناطفا[9].

---

(1) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٤٧. خسرو، سفرنامه، ص٧٨. سترانج، فلسطين، ص٢٥٧،٢٦٢.

(2) ابن المبرد، كتاب الطباخة، ص٣٧٤.

(3) البغدادي، الطبيخ، ص٢٢٩.

(4) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

(8) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٥٨.

(9) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٨.

وكان أهالي جنوب الشام يصنعون الخبز في البيوت، ويذكر ابن العوام: أن أهالي الشام كانوا يعجنون خبزهم في أواني نحاس يدثرونها فتحمى فتسرع الاختمار[1]. ويقول المقدسي عن صنع الخبز بفلسطين:" وللقرياتيين الطوابين وهي تنور في الارض صغير قد نرش بالحصى فيوقد الزبل حوله وفوقه فإذا احمر طرحت الارغفة على الحصى"[2]. وبعد نضج الأرغفة بفعل حرارة الطابون يتم انتزاع الارغفة وتعاد الكرة مرة اخرى حتى ينتهي العجين.

---

(1) ابن العوام، الفلاحة، ص٣٢٤.

(2) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٥٧-١٥٨.

الخاتمة

أن الأهمية الزراعية والاقتصادية لمنطقة جنوب بلاد الشام خلال فترة الدراسة وفي العصور السابقة واللاحقة لم تأت من فراغ، فالموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي حبى الله به منطقة جنوب بلاد الشام بوصفها همزة الوصل بين مختلف الحضارات التي نشأت بها، وفي المناطق المجاورة لها لذا كانت مسرحا لأحداث عديدة، ومنطقة تنازع عليها الغزاة منذ القدم.

فمن يسيطر على جنوب بلاد الشام، يكون قد امتلك وسيطر على خطوط التجارة الداخلية والخارجية، التي توصل جنوب الشام بما يجاورها من الدول، اضافة الى التجارة بين الشرق والغرب.

وتشكل جنوب بلاد الشام وحدة جغرافية متكاملة تمتد من الشمال الى الجنوب ضمن أربعة نطاقات جغرافية متباينة - وهي امتداد لشمال بلاد الشام - تبدأ بالسهل الساحلي المطل على البحر المتوسط غربا، وبالبادية شرقا، مما كان له أكبر الأثر في تباين المناخ، وبالتالي تنوع المحاصيل الزراعية، حتى أنها جمعت أنواعا من المحاصيل لا تجتمع إلا بها. فمنطقة الغور التي تميزت بها جنوب الشام وجد فيها محاصيل زراعية تزرع في مناطق الشرق خاصة في الهند كالقطن، وقصب السكر وغير ذلك من المحاصيل التي كان لخصوبة التربة، ووفرة المياه من مصادر مختلفة سواء من مياه الأمطار، أو مياه العيون والينابيع، والأنهار الأثر الواضح في انتاج محاصيل زراعية بشكل فائض ساعد ذلك على ايجاد صناعات زراعية فاقت شهرتها الآفاق. وكانت مطلبا لكل تاجر ومشتر لما اتصفت به من جودة واتقان.

فكانت تصدر الى مختلف انحاء الأقطار المعروفة آنذاك، فأدى ذلك الى انتعاش الحياة الاقتصادية، وبالتالي أثر على مستوى المعيشة للأفراد في جنوب الشام.

ونظرا لأهمية الزراعية لما تدره من الأرباح والأموال باعتبارها من الموارد الرئيسة لخزينة الدولة من خلال ضريبة الخراج التي كانت تؤخذ على الأراضي الزراعية. فقد اهتم الخلفاء وبشكل كبير بالشؤون الزراعية في البلاد التي تحتم جغرافيتها أن تكون الزراعة هي حرفتها الأولى. فكانوا يهتمون بحفر القنوات والترع، والقناطر. وغير ذلك من الأعمال التي تساعد وتسهل مهمات الفلاح في الزراعة لما في ذلك من مصلحة للفلاحين وللمسلمين عامة.

وكما كان للزراعة دورا في انعاش جنوب بلاد الشام اقتصاديا فإن للصناعة، والتجارة دور كبير في ذلك أيضا، فوجود المواد الخام الأولية ساعد على وجود صناعات متعددة كصناعة النسيج، وصناعة الزجاج وغير ذلك من الصناعات المختلفة التي امتازت بجودتها وشهرتها التي صدرت الى مختلف أسواق المعمورة آنذاك.

وقد أدت التجارة الداخلية والخارجية الى انعاش جنوب بلاد الشام وسكانها اقتصاديا. فإشرافها على واجهتين بحريتين اتصلت المنطقة من خلالهما بتجارة الشرق والغرب فكانت تمثل وسيطا تجاريا بينهما. فمدينة أيلة(العقبة) التي تقع على الطرف الشمالي للبحر الأحمر، كانت تستقبل السفن المحملة بالسلع القادمة من الشرق، لتنقل هذه السلع الى موانئ البحر المتوسط، كعكا، ويافا التي تقوم على ايصالها الى دول الغرب وبالعكس. وهكذا اصبحت منطقة جنوب بلاد الشام السوق التجاري امام سلع الشرق والغرب.

وارتبطت المنطقة بشبكة من طرق المواصلات والاتصالات استخدمتها القوافل التجارية والحجاج المتنقلة بين مصر والشام الى الحجاز وجنوب الجزيرة العربية. ولقد ساهم وجود الأماكن الدينية في فلسطين لكل من: المسلمين، واليهود، والنصارى في انعاش اقتصاد المنطقة من خلال زيارة هذه الطوائف الدينية الثلاثة الأماكن الدينية الخاصة بهم فالمسلمون كانوا يقومون بزيارة المسجد الأقصى في بيت المقدس، والمسجد الابراهيمي في الخليل، واليهود يقومون بزيارة كنيش لهم في بيت المقدس. أما النصارى فكانوا يقومون بزيارة كنيسة القيامة في بيت المقدس، وكنيسة المهد في بيت لحم، وغير ذلك من الأماكن الدينية الأخرى. وهذا ما يعرف في وقتنا الحالي بالسياحة الدينية فقد كانت تعقد الأسواق المختلفة لخدمة الزائرين، الى تلك الأماكن لذا كان الأهالي يبيعون هؤلاء الحجاج السلع المختلفة ويشترون منهم ما يحضرونه معهم.

وكان المجتمع في جنوب بلاد الشام يتألف من فئات متعددة كل له نمط واسلوب معين في الحياة والمعيشة، وهذه الفئات هي: الحضر، أهل المدن ويشتغلون في الحرف والصناعات المختلفة والوظائف، ويسكنون في بيوت مبنية من الحجارة والطوب ولقد تفننوا في بنائها وزخرفتها، وذلك لتوفر الصناعين المهرة والمواد الخام اللازمة لذلك.

وتميزت حياة الحضر بنوع من الرفاهية، والترف لوجود الحاجات الكمالية لرفاهيتهم. أما أهل الريف فهم سكان المناطق الزراعية، ويشكلون الغالبية من السكان. فالمنطقة تتميز بزراعتها، وكان أهل الريف يشتغلون بالزراعة والفلاحة، وتتسم حياتهم بالبساطة والتكافل العائلي والاجتماعي.

أما أهل البدو فهم سكان الصحراء ينتقلون مـــن مكـــان إلى آخـــر ســـعيا وراء الكـــلأ والماء، ومهنتهم الرئيسة رعي الماشية. وبيوتهم مبنية من نســـيج صـــوف الاغنـــام.

وعاش في منطقة جنـــوب الشـــام الطوائـــف الدينيـــة الثلاثـــة المســـلمون، النصـــارى، اليهود، كل يمارس شعائره الدينية بحرية تامة، فالاسلام يدعـــو الى التســـامح بـــين الاديـــان لـــذا عاش الجميع في مجتمع متعدد الأديان بكل انسجام وحـــب ووئـــام، وأن حدثـــت بعـــض الفـــتن فإنها تزول سريعا، ويعود الجميع الى حياة الألفة والمحبـــة والتعـــاون.

إن بعض عاداتنا وتقاليدنا التي نمارسها الآن في حياتنا مـــن الأفـــراح والأتـــراح مـــا هـــي إلا موروثات انتقلت إلينا من أجدادنا وسوف يرثها من يأتي بعدنا فـــهي كسلســـلة ممتـــدة مـــن الاجداد الى الآباء فالأبناء وهكـــذا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر العربية المخطوطة

١- الأجهوري: علي بن محمد ت(١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

"رسالة في المغارسة"، ميكروفيلم عن مخطوطة مكتبة الكونجرس، المحفوظة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم ٤٦٤.

ثانيا: المصادر العربية المطبوعة

٣- ابن الأثير: عز الدين بن محمد، ت(٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

"الكامل في التاريخ"، ١٣جزء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

٣- .... : "اللباب في تهذيب الأنساب"، ٣أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.

٤- ابن الأخوة: محمد بن محمد بن احمد القرشي، ت(٧٢٩هـ/١٣٢٩م).

"معالم القربة في أحكام الحسبة"، تحقيق: محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

٥- ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد القاسم بن خليفة.

"عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، جزءان، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

٦- ابن إياس: ابو البركات محمد بن احمد، ت(٩٣٠هـ/١٥٢٣م).

"بدائع الزهور في وقائع الدهور"، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب:ج١،ق٢،ط٢،١٩٨٣، ج٢،ط٢،١٩٨٤،ج٣، ط٣،١٩٨٤،ج٤،ط٢،١٩٨٤،ج٥،ط٣،١٩٨٤.

٧- ابن بطوطه: ابو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي، ت(٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

"رحلة ابن بطوطه المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨.

٨- ابن بعرة الكاملي.

"كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية"،تحقيق: عبدالرحمن فهمي، لجنة احياء التراث العربي، مصر، ١٩٦٦.

٩- ابن جبير: ابو الحسن محمد بن احمد الكناني، ت(٦١٤هـ/١٢١٧م).

"رحلة ابن جبير"، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط٣، ١٩٨٦.

١٠- ابن حجاج الاشبيلي: احمد بن محمد (من أعيان القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).

"المقنع في الفلاحة"، تحقيق: صلاح جرار، وجاسر ابو صفية، تدقيق: واشراف: عبدالعزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية، (د.م)، ١٩٨٢.

١١- ابن الجوزي: ابو الفرج عبدالرحمن بن علي، ت(٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

"المنتظم في أخبار البشر"، ١٢ جزء، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

١٢- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين احمد بن علي، ت(٨٥٢هـ/١٤٤٩م).

"إبناء الغمر بابناء العمر في التاريخ"، ٩أجزاء، تحقيق: عبدالله الحضرمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.

١٣- ابن حنبل: مسند الامام احمد بن حنبل، ٤ أجزاء، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٤- ابن حوقل: ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، ت(٣٦٧هـ/٩٧٧م).

"صورة الارض"، منشورات دار الحياة، بيروت، (د.ت).

١٥- ابن خرداذبة: ابو القاسم عبدالله بن عبدالله، ت(٣٠٠هـ/٩١٣م).

"المسالك والممالك"، وضع مقدمته وفهارسه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

١٦- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد، ت(٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، ٧أجزاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

١٧- ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد، ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م).

"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ٨أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩.

١٨- ابن رجب: زين الدين ابو الفرج.

"الاستخراج لأحكام الخراج"، تحقيق: جندي محمود شلاش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٩.

١٩- ابن رستة: ابو علي أحمد بن عمر.

" الأعلاق النفيسة"، مطابع بريل، ليدن المحروسة، ١٨٩١.

٢٠- ابن سعيد: ابو الحسن بن علـــي، (٦٨٥هـــ/١٢٨٦م).

"كتاب الجغرافيا"، حققـــه ووضـــع مقدمتـــه وعلـــق عليـــه: اسمـاعيل العـــربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيـــع، بـــيروت، ١٩٧٠.

٢١- ابن سيدة: ابو الحسن علي بـــن اسمـــاعيل، ت(٤٥٨هـــ/١٠٦٠م).

"كتاب المخصص"، ١٧جزء، تحقيق: لجنـــة إحيـــاء الـــتراث العـــربي، منشـــورات دار الآفاق، بـــيروت، (د.ت).

٢٣- ابن سينا: ابو الحسن بن علـــي.

"القانون في الطب"، دار صـــادر، بـــيروت، ١٩٨٨.

٢٣- ابن شاهين الظاهري: غرس الديـــن خليـــل، ت(٨٩٢هـــ/١٤٩٧م).

"زبدة كشف الممـــالك وبيـــان الطـــرق والمســـالك"، وضـــع حواشـــيه: خليـــل منصور، دار الكتب العلمية، بـــيروت، ١٩٩٧.

٢٤- ابن شداد: عز الدين أبي عبدالله محمد بن عليّ بـــن ابراهيـــم الحلـــبي،ت(٦٨٤هـــ/١٢٦٥م).

"الأعلاق الخطـــيرة في ذكـــر أمـــراء الشـــام والجزيـــرة"، تـــاريخ لبنـــان والاردن وفلسطين، تحقيق: سامي الدهان، ج٢، ق١+ق٢، المعـــهد الفرنســـي للدراســـات العربيـــة، دمشـــق، ١٩٥٦، ج١، ق١، تحقيـــق: دومنيكـــك ســـورديل، ١٩٥٣، ج٣، ق١+ق٢، تحقيق: يحي عبـــارة، دمشـــق، (د.ت).

٢٥- ابن صصري: محمد بن محمـــد، ت(٨٠٠هـــ/١٣٩٧م).

" الـــدرة المضيئـــة في الدولـــة الظاهريـــة"، تحقيـــق: وليـــم، م، بريـــز، جامعـــة كاليفورنيا، بـــيركلي، ١٩٦٣.

٢٦- ابن الصيرفي: حسين الدين علي بن محيب بن سليمان، ت(٥٤٢هـ/١١٤٧م).

"الاشارة إلى من نال الوزارة"، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٢.

٢٧- ابن طولون: محمد بن علي بن احمد الحنفي، ت(٩٥٣هـ/١٥٤٦م).

" مفاكهة الخلان في حوادث الزمان"، جزء ان، تحقيق: محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٨- ابن العديم: كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد، (٥٨٨-٦٦٠هـ/١١٩٢-١٢٦١م).

"زبدة الحلب من تاريخ الحلب"، ٤أجزاء، عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه: سامي الدهان، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٥١.

٢٩- ابن العربي: ابو بكر محمد بن عبدالله المعافري، (٤٦٨/٥٤٣هـ).

"أحكام القرآن"، جزء ان، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨.

٣٠- ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، ت(٥٧١هـ/١١٧٥م).

"تاريخ دمشق"، ٧٠جزء ا، تحقيق: محب الدين ابو سعيد العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

٣١- ....: "تهذيب تاريخ دمشق"، هذبه ورتبه: بعد القادر بدران، ت(١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، دار المسيرة، (د.م)، ١٩٧٩.

٣٢- ابن الفقيه: ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني، ت(٣٤٠هـ/٩٤٥م).

"مختصر كتاب البلدان"، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٣٣- ابن قاضي شهبة: تقي الدين ابو بكر بن احمد، ت(٨٥١هـ/١٤٤٧م).

"تاريخ ابن قاضي شهبة"، تحقيق: احمد الزبيدي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١.

٣٤- ابن قتيبة: ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري،ت(٢٧٦هـ/٨٨٩م).

"الأنواء في مواسم العرب"، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٦.

٣٥- ....: "عيون الأخبار"، جزء ا، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٣.

٣٦- ابن قدامة: ابو الفرج جعفر بن زياد البغدادي، ت(٣٢٠هـ/٩٣٢م).

"نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة"، وضع مقدمته وحواشيه: محمد مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٣٧- ....: "الخراج وصناعة الكتابة"، شرح وتحقيق: محمد الزبيدي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١.

٣٨- ابن قدامة: موفق الدين ابي محمد عبدالله بن احمد، ت(٦٣٠هـ/١٢٣٠م).

"المغني"، ٦أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

٣٩- ابن القلانسي: ابو يعلى حمزة.

"ذيل تاريخ دمشق"، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.

٤٠- ابن كثير: ابو الفداء الحافظ الدمشقي، ت(٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

"البداية والنهاية"، ١٤جزء ا، دقق أصوله وحققه: احمد ابو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٨.

٤١- ابن الكلبي: ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب، ت(٢٠٤هـ/٨١٩م).

"جمهرة النسب"، رواية السكري عن ابن حبيب، جزء ان، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦.

٤٢- ابن المبرد الدمشقي:

"كتاب الطباخة"، تحقيق: حبيب الزيات، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، مج٣٥، ١٩٣٧.

٤٣- ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت(٧١١هـ/١٣١١م).

"لسان العرب"، ١٥جزءا، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.

٤٤- ابن النديم: ابوالفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق، ت(٣٨٣هـ/٩٩٣م).

"الفهرست"، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له: يوسف علي الطويل، وضع فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

٤٥- ابن وحشية: ابو بكر احمد بن علي بن قيس الكلداني، (من أعيان القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

"الفلاحة النبطية"، جزء ان، تحقيق: توفيق فهد، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٥.

٤٦- ابن الوردي: زين الدين ابو حفص سراج الدين عمر، ت(٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

"خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣.

٤٧- ....: "تتمة المختصر في أخبار البشر"، جزء ان، تحقيق: رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.

٤٨- ابو البقاء: عبدالله بن محمد البدري الدمشقي، ت(٨٨٧هـ/١٤٨٢م).

"نزهة الأنام في محاسن الشام"، المكتبة العربية، بغداد، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢١.

٤٩- ابو الخير الاشبيلي، (من أعيان القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

"عمدة الطبيب في معرفة النبات"، جزءان، تحقيق: محمد العربي الخطابي، اكاديمية المملكة المغربية، (د.ت).

٥٠- ابو عبيد: ابن سلام، (١٥٧-٢٢٤هـ/٧٧٤-٨٣٨م).

"الأموال"، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨١.

٥١- ابو الفداء: المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الافضل، ت(٧٣٢هـ/١٣٣١م).

"تقويم البلدان"، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ماك، كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٢٠.

٥٢- ابو يوسف: القاضي يعقوب بن ابراهيم، (١٨٣هـ/٧٩٩م).

"كتاب الخراج"، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

٥٣- الادريسي: ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني،(من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).

٥٤- الأسدي: محمد بن محمد بن خليل،(من أعيان القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي).

"التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار"، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٧٦.

٥٥- الاصطخري: ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، ت(٣٢١هـ/٩٣٣م).

"المسالك والممالك"، تحقيق: محمد جابر، مراجعة: محمد غربال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦١.

٥٦- .... "الأقاليم"، مطابع بريل، ليدن، ١٩٦٧.

٥٧- الأنطاكي: داود بن عمر.

"تذكرة أولي الألباب"، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠.

٥٨- الأنصاري: ابو العباس نجم الدين بن الرفقة، ت(٧١٠هـ/١٣١٠م).

"الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان"، تحقيق: محمد احمد الخاروف، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ١٩٨٠.

٥٩- البلاذري: احمد بن يحي بن جابر، ت(٢٧٩هـ/٨٩٢م).

"فتوح البلدان"، مراجعة: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

٦٠- البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ت(٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

"مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، ٣أجزاء، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٥٤.

٦١- البغدادي: محمد بن الحسن.

"كتاب الطبيخ"، أعاده نشره: فخري البارودي، دار الكتاب الجديد، (د.م)، (د.ت).

٦٢- البكري: ابو عبدالله بن عبدالعزيز، ت(٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

"معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"، تحقيق: مصطفى السقا، ٤أجزاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧.

٦٣- ....:" المسالك والممالك"، جزء ان، حققته وقدم له وفهرسه: ادريان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢.

٦٤- البيروني: أبو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي، (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).

"الجماهر في معرفة الجواهر"، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

٦٥- ....: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، دار صادر، بيروت، ١٩٢٣.

٦٦- الثعالبي: ابو منصور عبدالله بن اسماعيل، ت(٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

"لطائف المعارف"، تحقيق: ابراهيم الأبياري، وحسن الصوفي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.

٦٧- الجاحظ: عمر بن بحر، ت(٢٥٥هـ/٨٦٩م).

"التبصر بالتجارة"، تحقيق: حسن حبشي عبدالوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

٦٨- الجزيري: عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن ابراهيم الانصاري، ت(٩٧٧هـ/١٥٦٩م).

"الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة"، ٣أجزاء، أعده للنشر: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٨٣.

٦٩- الجهشياري: ت(٣٣١هـ/٩٣٢م).

"كتاب الوزراء والكُتّاب"، تحقيق وفهرسة: مصطفى السقا وآخرون، (د.ن)، القاهرة، ١٩٥٧.

٧٠- الجواليقي: أبو منصور موهوب بن احمد، (٥٤٠هـ/١١٤٥م).

"المعرب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم"، تحقيق: احمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٦١.

٧١- حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله.

"كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون"، جزءان، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

٧٢- الحازمي: ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان، ت(٥٨٤هـ/١١٨٨م).

"ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط"، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية في اطار جامعة فرانكفورت، جمهورية المانيا الاتحادية، طبع وتصوير عن مخطوط مكتبة السليمانية رقم(٢١٤٠)، استانبول، ١٩٨٦.

٧٣- حسان بن ثابت.

"ديوان حسان بن ثابت"، تحقيق: سيد حنفي، حسن كامل الصيرفي، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٤.

٧٤- الحميري: محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي، ت(٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

"الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥.

٧٥- الخوارزمي: محمد بن احمد بن يوسف، ت(٣٨٧هـ/٩٩٧م).

"مفاتيح العلوم"، دار الأحياء الثقافي، القاهرة، ١٩٧٣.

٧٦- الخياري: ابراهيم بن عبدالرحمن، ت(١٠٨٣هـ/١٦٧٢م).

"تحفة الأدباء وسلوة الغرباء"، جزء ان، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، مديرية الثقافة العامة، بغداد، (د.ت).

٧٧- الدمشقي: ابو الفضل جعفر بن علي.

"الاشارة الى محاسن التجارة"، تحقيق وتقديم: فهمي سعد، دار السف باء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.

٧٨- الدمشقي: العطار محمد بن حسين، ت(١٢٤٣هـ/١٨٣٣م).

"علم المياه الجارية في دمشق"، أو رسالة في علم المياه، ضبط وتحقيق: احمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤.

٧٩- الدمشقي: شمس الدين ابي عبدالله بن ابي طالب الانصاري، المعروف بشيخ الربوة.

"نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٨٠- الدوداري: ابو بكر بن عبدالله بن ايبك، ت(٧٣٦هـ/١٣٣٥م).

"الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: المنجد، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، (د.ن)، القاهرة، ١٩٦١.

٨١- الزمخشري: محمود بن عمـــر، ت(٥٣٨هـــ/١١٣٦م).

" كتاب الأمكنة والمياه والجبال"، تحقيق: السامرائي، مطبعـــة الســعدون، بغـــداد، ١٩٦٨.

٨٢- سابق: ســيد.

"فقه السنة"، ٤أجزاء، دار الكتاب العـــربي، بـــيروت، (د.ت).

٨٣- السبكي: تاج الدين عبد الوهـــاب، ت(٧٧١هـــ/١٣٦٩م).

"معيد النعم ومبيد النقم"، تحقيق: محمـــد علـــي النجـــار وآخـــرون، دار الكتـــاب العربي، مصـــر، ١٩٤٨.

٨٤- السبكي: تقي الديـــن، ت(٧٣٨هـــ/١٣٢٧م).

"الفتاوي الكبرى"، جـــزء ان، تحقيـــق: محمـــد عبدالقـــادر عطـــا، دار الكتـــب، بـــيروت، (د.ت).

٨٥- السخاوي: شمس الدين محمد بـــن عبدالرحمـــن، ت(٩٠٢هـــ/١٤٩٦م).

" التبر المسبوك في ذيـــل الســـلوك "، مكتبة الكليـــات الأزهريـــة، القـــاهرة، (د.ت).

٨٦- السمهودي: محمد محي الدين عبدالحميد بن احمـــد المصـــري.

"فـــاء الوفـــاء بأخبـــار دار المصطفـــى"، تحقيـــق: محمـــد النمنكـــاني، (د.ن)، (د.م)،١٩٥٥.

٨٧- الشيرزي: عبدالرحمن بن نصـــر، ت(٥٨٩هـــ/١١٩٣م).

"نهاية الرتبة في أحكام الحسبة"، لجنة التـــأليف والترجمـــة، القـــاهرة، ١٩٤٦.

٨٨- الصابئ: ابو اسحاق ابراهيم، الرضي ابو القاسم علي بن الحسين.

"رسائل الصابئ"، والشريف الرضي، تحقيق: محمد يوسف نجم، وزارة الاعلام، الكويت، ط٢، (د.ت).

٨٩- الصابئ: ابو الحسن الهلال بن المحسن.

"الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء"، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨.

٩٠- صالح بن يحي: صالح بن الحسين، ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م).

"تاريخ بيروت"، تحقيق: فرانسيس هورس اليسوعي، وكمال الصليبي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧.

٩١- الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، ت(٣١٠هـ/٩١٧م).

"تاريخ الطبري"، أو تاريخ الرسل والملوك، ١٠أجزاء، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٧.

٩٢- الظاهري: غرس الدين بن شاهين، ت(٨٧٢هـ/١٤٩٧م).

"زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك"، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

٩٣- العمري: شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل الله، ت(٧٤٩هـ/١٣٤٩م).

"مسالك الابصار في ممالك الامصار"، الجزء الأول، تحقيق: احمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٤.

٩٤- ....: "التعريف بالمصطلح الشريف"، تحقيق: سمير الدروي، منشورات جامعة مؤته، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ١٩٩٢.

٩٥- الفراء: ابو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، ت(٤٥٨هـ/١٠٧٣م).

" الأحكام السلطانية"، صححه وعلق عليه: محمد حامد التقي، (د.ن)، (د.م)، ط٢، ١٩٦٦.

٩٦- الفيروز أبادي: محمد بن يعقوب الشيرازي.

"القاموس المحيط"،٧ أجزاء، المطبعة الاميرية، (د.م)، ط٣، ١٣٠٠م.

٩٧- القاياتي: الشيخ محمد عبد الجواد، ت(١٣٢٠هـ/١٩٠٢م).

"نفحة البشام في رحلة الشام"، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١.

٩٨- القرشي: يحي بن آدم، ت(٢٠٣هـ/٨١٨م).

"الخراج"، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

٩٩- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، ت(٦٨٢هـ/١٢٣٨م).

"آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

١٠٠- القلقشندي: احمد بن علي، ت(٨٢١هـ/١٤١٨م).

"صبح الأعشى في صناعة الانشاء"، ١٤جزءا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد شمس الدين، دار الفكر، بيروت،١٩٨٧.

١٠١- ....:"نهاية الارب في معرفة انساب العرب"، تحقيق: ابراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.

١٠٢- الكاتب عريب: ابن سعيد ابو الحسن.

"الأنواء"، طبعة ليدن، بريل،١٩٦١.

١٠٣- كبريت: محمد بن عبدالله الحسيني المرسوي، ت(١٠٧٠هـ/١٦٥٩م).

"رحلة الشتاء والصيف"، ط٢، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ.

١٠٤- الكرخي: ابوبكر محمد بن الحسن،ت(في القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي).

"كتاب انباط المياه الخفية"، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٤٠.

١٠٥- الكندي: ابو عمر محمد بن يوسف، ت(٣٥٠هـ/٩٥٧م).

"كتاب الولاة وكتاب القضاة"، مهذبا ومصححا بقلم: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٨٠.

١٠٦- ماري بن سليمان: (من أعيان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).

" أخبار فطاركه كرسي المشرق من كتاب المجدل للاستبصار والجدل"، روما، ١٨٩٩.

١٠٧- الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب، ت((٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

"الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٥.

١٠٨- المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد الأزدي.

"الكامل في اللغة والأدب"، ٤أجزاء، مراجعة وتحقيق: نعيم زرزور، تغاريد بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٨٧.

١٠٩- مجهول: (من أعيان القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي).

"مفتاح الراحة لأهل الفلاحة"، تحقيق: محمد صالحية، وحسان العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٨٤.

١١٠- مجــهول.

"المناسك وأماكن طرق الحــج ومعــالم الجزيــرة"، تحقيــق: حمــد الجاســر، دار اليمامة للنشر والتوزيع، الريــاض، ١٩٦٩.

١١١- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بــن علــي،ت(٣٤٦هــ/٩٥٧م).

"مروج الذهــب ومعــادن الجوهــر"، ٤أجــزاء، تحقيــق: محمــد محــي الديــن عبدالحميد، المكتبة العصرية، بــيروت، ١٩٨٨.

١١٢- ....: "التنبيه والاشراف"، دار ومكتبــة الهــلال، بــيروت، ١٩٨١.

١١٣- المقدسي: ابو عبدالله محمد بن احمــد البشــاري،ت(٣٨٠هــ/٩٩٠م).

"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وضع مقدمتــه وهوامشــه وفهارســه: محمــد مخزوم، دار احياء التراث العــربي، بــيروت، ١٩٨٧.

١١٤- المنجم: اسحاق بن حسين،(من علماء القــرن الخــامس الهجــري).

"آكام المرجــان في ذكــر المدائــن المشــهورة في كــل مكــان"، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

١١٥- النابلسي: عبدالغني بن اسمــاعيل، ت(١١٤٣هــ/١٧٣٠م).

"علــم الملاحــة في علــم الفلاحــة"، منشــورات دار الآفــاق، بــيروت، ط٢، ١٩٨١.

١١٦- ....: "تعطير الأنام في تعبير المنام"، جزء ان، المطبعــة الاميريــة، دار الفكــر، بــيروت، ١٩٦٤.

١١٧- ....: "المختار من كتاب الحضرة الأنســية في الرحالــة القدســية"، تحقيــق: احســان النمر،(د.ن)، نــابلس، ١٩٧٢.

١١٨- مجير الدين الحنبلي، ابو اليمن القاضي مجير الدين العليمي،ت(٩٢٨هـ/١٥٢١م).

"الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل"، جزء ان، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣.

١١٩- مسكوية: ابو علي احمد بن محمد،ت(٤٢١هـ/١٠٣٠م).

"تجارب الأمم"، ٤ أجزاء، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٠.

١٢٠- المقريزي: تقي الدين احمد بن علي،ت(٨٤٥هـ/١٤٤١م).

"السلوك لمعرفة دول الملوك"، ٤أجزاء، ج١،ق١+ق٢، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ج١،ق٣،١٩٧٠، ج٣،ق٢، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، مصر، ١٩٧٠، ج٣، ق٣،١٩٧١،ج٤،ق١،١٩٧٢،ج٤،ق٢،١٩٧٢.

١٢١- ....: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"،٣أجزاء، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٢٢- النووي: محي الدين ابن شرف،ت(٦٧٦هـ/١٢٧٧م).

" تهذيب الأسماء واللغات"، جزء ان، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت).

١٢٣- النويري: شهاب الدين احمد بن عبدالله،ت(٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

"نهاية الارب في فنون الادب"، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

١٢٤- النيسابوري: احمد بن محمد بن أبي الفضل،ت(٥٣١هـ/١١٣٥م).

"السامي في الأسامي"، نشره: محمد حنداوي، (د.م)، ١٩٦٧.

١٢٥- الهروي: ابو الحسن علي بن ابي بكـــر،ت(٦١١هـــ/١٢١٠م).

"الاشـارات لمعرفـة الزيـــارات"، تحقيـــق: جـــانين ســـورديل، (د.ن)، دمشـق،١٩٥٣.

١٢٦- الهمداني: لسان اليمن الحسن بن احمد بـــن يعقـوب،ت(٣٣٤هـــ/٩٤٥م).

"صفة جزيرة العرب"، تحقيق: محمـــد بـــن علـــي الاكـــوع، مركـــز الدراســـات والبحوث اليمني، صنعـــاء، ط٣،١٩٨٣.

١٢٧- وكيع: محمد بن خلف بن حيـــان، ت(٣٠٦هـــ/٩١٨م).

"أخبار القضاة"، جزء ان، عالم الكتـــب، بـــيروت، (د.ت).

١٢٨- ياقوت، شهاب الدين عبـــدالله،ت(٦٢٦هـــ/١٢٣٨٠م).

"معجم البلدان"، ٥أجزاء، دار صـــادر، بـــيروت، ١٩٩٥.

١٢٩- ......: "المشترك وضعا المفترق صقعا"، مكتبـــة المثـــنى، بغـــداد، ١٦٩٠.

١٣٠- اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بـــن وهـــب،ت(٢٨٤هـــ/٨٩١م).

"تاريخ اليعقوبي"، جزء ان، دار صـــادر، بـــيروت، ١٩٦٠.

١٣١- ....: "كتاب البلدان"، دار احياء الـــتراث العـــربي، بـــيروت، ١٩٨٨.

ثالثا: المراجع العربية الحديثة

١- الأحمد: سامي سـعيد.

"تاريخ فلسطين القديم"، مركز الدراسات الفلسـطينية، بغـداد، ١٩٧٩.

٢- الإمام: رشـاد.

"مدينة القدس في العصر الوسـيط(٦٥١-٩٢٢هـ/١٢٥٣-١٥١٦م)"، الـدار التونسية، تونـس، ١٩٦٧.

٣- الامين: شريف يحـي.

"موسوعة الفرق الاسـلامية"، دار الأضـواء، (د.م)، ١٩٨٦.

٤- احمد رمضان: احمـد.

" الرحلة والرحال المسـلمون"، دار البيـان العـربي للطباعـة والنشـر، جـدة، ١٩٨٠.

٥- ....: "المجتمع الاسلامي في بـلاد الشـام خـلال الحـروب الصليبيـة"، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

٦- أسود: عبدالرزاق محمـد.

" المدخل الى دراسة الاديـان والمذاهـب"، دار المسـيرة العربيـة للموسـوعات، لبنـان، ١٩٨١.

٧- آل ياسين، محمد حسـن.

" معجم النبات والزراعة "، جزء ان، مطبعة المجمـع العلمـي العراقـي، ١٩٨٩.

٨- انبخيت: محمد عدنـــان.

" لواء الكرك في العــــهد المملوكـــي"، (د.ن)، (د.م)، ١٩٧٦.

٩- البهلوي العماني: ابو محمد عبدالله بن محمــــد بركــة.

" كتاب الجامع"، وزارة التراث القومي والثقافة، ســـــلطنة عمـــان،١٩٧١.

١٠- البيشاوي: ســـعيد.

"نـــابلس والأوضـــاع الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والثقافيـــة"، خـــلال الحـــروب الصليبية، (د.ن)، عمـــان، ١٩٩٠.

١١- ....: "دراسات في الأديان والفـــرق"، دار الاتحـــاد، عمـــان، ١٩٩٠.

١٢- جريس: غيثـــان.

"بحوث في التـــاريخ والحضـــارة الاســـلامية"، جـــزء ان، دار المعرفـــة الجامعيـــة، الاســـكندرية، (د.ت).

١٣- حقمان: حنا عبدالله يوســـف.

" جولة في تاريخ الأراضي المقدسة من أقـــدم العصـــور حـــتى اليـــوم"، جـــزء ان، نشره: حنا جقمان، بيـــت لحـــم، ط٢، ١٩٩٤.

١٤- جودة: صادق احمـــد.

"مدينة الرملة من نشأتها حـــتى عـــام(٤٩٢هــــ/١٠٩٩م)"، مؤسســـة الرســـالة، عمان، دار عمار، بـــيروت، ١٩٨٦.

١٥- جودي: محمد حســـين.

"صناعة النحاس عنـــد العـــرب وأثرهـــا علـــى الفـــن الأردني"، (د.ن)، عمـــان، ١٩٩٣.

١٦- الحسن: احمد يوسف.

"التقانة في فلسطين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر"، بحث منشور في كتاب الصراع الاسلامي- الفرنجي على فلسطين في العصور الوسطى، تحرير: هادية دجاني - شكيل دجاني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٤.

١٧- حسن، حسين الحاج.

"حضارة العرب في العصر العباسي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.

١٨- حمارنه: صالح.

"ثورة الفلاحين في فلسطين أيام المعتصم(٢٢٧هـ/٨٤٢م)"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، (د.م)، (د.ت).

١٩- حمور: عرفان.

"أسواق العرب"، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب، دار الشورى، بيروت، (د.ت).

٢٠- الحياري: مصطفى.

"القدس في زمن الفاطميين والفرنجة"، المعهد الملكي للدراسات العربية، عمان، (د.ت).

٢١- الخازن: وليم.

"الحضارة العباسية"، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

٢٢- الخالدي: احمد سـامح.

"اهل العلم والحكم في ريف فلسطين"، عمان، جمعيـة عمـان المطـابع التعاونيـة، عمـان، ١٩٦٨.

٢٣- خان: ظفر الاسـلام.

"تاريخ فلسطين القديم"، دار النفـائس، بـيروت، ط٢، ١٩٧٩.

٢٤- خماش: نجـدة.

"الادارة في بلاد الشـام في العصـر الأمـوي"، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٩٨٣.

٢٥- خياط: جعفـر.

"مبادىء الزراعة العامـة"، (د.ن)، بغـداد، ١٩٣٣.

٢٦- خير، صفـوح.

"غوطة دمشق دراسة في الجغرافية الزراعيـة"، وزارة الثقافـة والارشـاد القومـي، دمشـق، ١٩٦٦.

٢٧- دائرة المعارف الاسـلامية، ١٩٧٣.

٢٨- الدباغ، مصطفى مـراد.

"بلادنا فلسطين"، دار صـادر، بـيروت، (د.ت)، ق١+ج١، ق٢+١٠ أجـزاء.

٢٩- دراج: احمـد.

"وثائق دير صهيون بـالقدس الشـريف"، مكتبـة الأنجلـو المصريـة، القـاهرة، ١٩٦٨.

٣٠- درادكه، صالح.

"طرق التجارة والحج في بلاد الشام في العصر العباسي"، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٤.

٣١- ....: "طرق الحج الشامي في العصور الاسلامية"، عمان، المطابع العسكرية، ١٩٩٧.

٣٢- الدمياطي: محمود مصطفى.

"معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس"، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٥.

٣٣- الدوري: عبد العزيز.

"النظم الاسلامية"، بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٨.

٣٤- ....: "مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، دار الطليعة، بيروت، ط٤، ١٩٨٢.

٣٥- ....: "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري"، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٧٤.

٣٦- ......: العرب والارض، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٧٣.

٣٧- الرفاعي: محمود فيصل.

"دور العرب المسلمين في تقدم علوم المياه والري"، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، (د.ت)، الكويت، ١٩٨٨.

٣٨- الريس: محمد ضياء الديـــن.

"الخـــراج والنظـــم الماليـــة للدولـــة الاســـلامية"، دار الانصـــار، القـــاهرة، ط٤، ١٩٧٧.

٣٩- زيادة: نقـــولا.

"رواد المشرق العربي في العصور الوسطى"، هديـــة المقتطـــف، ١٩٤٣.

٤٠- ....: "فلسطين من الاسكندر الى الفتـــح العـــربي الاســـلامي"، الموســـوعة الفلســـطينية، قسم الدراسات الحضاريـــة، (د.ن)، بـــيروت، ١٩٩٠.

٤١- ....: "الحسبة والمحتسب في الإسلام"، المطبعـــة الكاثوليكيـــة، بـــيروت، ١٩٦٣.

٤٢- ....: "تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي"، المؤتمر الـــــدولي الخـــامس لتـــاريخ بلاد الشام، لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنيـــــة، عمـــان، ١٩٩٠.

٤٣- ....: "عربيات تاريخ وحضارة"، رياض الريـــس للنشـــر، لنـــدن، ١٩٩٤.

٤٤- زيتون: عـــادل.

"ملامح من تاريخ الفلاحـــين في الوطـــن العـــربي في نضالـــه في القطـــر العـــرب السوري"، ٣ أجـــــزاء، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

٤٥- الزيود: محمد احمـــد.

"حالة بلاد الشـــام الاقتصاديـــة منـــذ العصـــر الطولـــوني وحـــتى نهايـــة العصـــر الفاطمي"، دار الفكر، دمشـــق، ١٩٩٢.

٤٦- زينهم: محمـــد.

"تكنولوجيا فن الزجاج"، مراجعة: مصطفى عبدالرحيـــم، الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتاب، القـــاهرة، ١٩٩٥.

٤٧- سالم: السيد عبدالعزيز.

"البحر الاحمر في التاريخ الاسلامي"، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣.

٤٨- السبع: محمد.

"أسس الزراعة ونظمها عند العرب"، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، بعنوان:" اسهامات في علم الملاحة"، مؤسسة الكويت، الكويت،١٩٨٣.

٤٩- سيد: عبد المنعم عبد الحليم.

"البحر الاحمر وظهيره في العصور القديمة"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣.

٥٠- شراب: محمد.

"معجم البلدان-فلسطين"، دار المأمون للتراث، دمشق،١٩٨٧.

٥١- شعث: شوقي.

"فلسطين أرض الحضارات"، (د.ن)، (د.م)،١٩٩٤.

٥٢- شما، سمير.

"النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين"، مطبعة الجمهورية، (د.م)، ١٩٨٠.

٥٣- الشهابي: مصطفى.

"الزراعة العملية الحديثة"، مطبعة الحكومة، دمشق،١٩٩٢.

٥٤- ....:"كتاب الاشجار والأنجم المثمرة"، (د.ن)، دمشق،١٩٢٤.

٥٥- الصالح: صبحـــي.

"النظم الاسلامية"، نشأتها وتطورها، دار العلــم للملايــين، بــيروت،١٩٦٠.

٥٦- صالح: الحمارنــه.

"مواقع ومدن في جنــوب بــلاد الشــام"، ودورهــا في العصــر العباســي الأول، المؤتمر الــدولي الخــامس لتــاريخ بــلاد الشــام، لجنــة تــاريخ بــلاد الشــام، (د.م)،١٩٩٠.

٥٧- الطاهر: علي نصـــوح.

"شجرة الزيتـــون تاريخـــها وزراعتـــها وأمراضـــها وصناعتـــها"، مطبعـــة الاردن، عمـــان، ١٩٤٧.

٥٨- الطراونه: طه ثلجـــي.

" مملكة صفد في عهد المماليك"، دار الآفـــاق الجديـــدة، بـــيروت، ١٩٨١.

٥٩- الطرزي: عبـــدالله.

"جغرافية الاردن"، الموسوعة الاردنيـــــة، (د.ت).

٦٠- العارف: عـــارف.

"المفصل في تاريخ القدس"، مطبعة العـــارف، القـــدس، ١٩٦١.

٦١- ....، "تاريخ بئر السبع وقبائلها"، مطبعة بيـــت المقـــدس، القـــدس، ١٩٣٤.

٦٢- عاقل: نبيـــه.

"فلسطين في العهد الأموي والعباسي والفـــاطمي"، الموســـوعة الفلســـطينية، قســـم الدراسات الحضارية، (د.ن)، بـــــيروت،١٩٩٠.

٦٣- عباس: احسان.

"تاريخ بلاد الشام من قبل الاسلام حتى بداية العصر الأموي (٦٠٠-٦٦١م)"، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٠.

٦٤- ....: "فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

٦٥- عبدالخالق: هناء.

"الزجاج الاسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، (د.ت).

٦٦- العبيدي: صلاح حسين.

"الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني"، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ١٩٨٠.

٦٧- العسلي: كامل.

"من آثارنا في بيت المقدس"، (د.ن)، عمان، ١٩٨٢.

٦٨- ....: "وثائق مقدسية تاريخية"، (د.ن)، عمان، ١٩٨٣.

٦٩- عطا الله: محمود علي.

"نيابة غزة في العصر المملوكي"، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦.

٧٠- علوية: احمد عثمان.

"تواجد الرمال الصالحة لصناعة الزجاج في الأقطار العربية"، الاتحاد العربي للاسمنت ومواد البناء، (د.م)، ١٩٩٠.

٧١- علي: احمد اسماعيل.

"تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي(١٣٢-٤٦٣هـ/٧٤٩-١٠٧٠م)"،

دار دمشق، دمشق،١٩٨٣.

٧٢- علي: جواد.

"المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام"، بيروت، دار العلم للملايين، بغداد،

مكتبة النهضة، ط٣، (د.ت).

٧٣- علي: سعيد اسماعيل.

"النبات والفلاحة والري عند العرب"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،

١٩٨٣.

٧٤- علي: محمد عادل.

"الزراعة في التاريخ في العصور القديمة"، مراكز احياء التراث العلمي العربي،

جامعة بغداد، ١٩٩٩.

٧٥- عماد الدين.

"فلسطين في الأدب الجغرافي والعربي"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد

الشام، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان،١٩٨٣.

٧٦- العودات: محمد.

"نباتات سورية"، جمعية علوم الحياة، سوريا، (د.ت).

٧٧- غوانمه: يوسف حسين.

"التاريخ السياسي لشرقي الاردن في عصر دولة المماليك الأولى"، وزارة

الثقافة والشباب، عمان،١٩٧٩.

٧٨- ......:"عمان حضارتها وتاريخها"، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان،١٩٧٩.

٧٩-.......:"إمارة الكرك الأيوبية"، منشورات بلدية الكرك، الأردن، ١٩٨٠.

٨٠-.......:" التاريخ الحضاري لشرقي الأردن"، دار الفكر، عمان، ط٢،١٩٨٢.

٨١-....:"تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي"، دار الحياة، عمان، ١٩٨٢.

٨٢-.....:" أيلة(العقبة)، والبحر الاحمر وأهميتها التاريخية والاستراتيجية "، دار هشام للنشر والتوزيع، اربد، ١٩٨٤.

٨٣-.....:" الحياة العلمية والثقافية في الأردن في العصر المملوكي"، دار هشام، اربد،١٩٨٤.

٨٤-.....:" مدينة اربد في العصر الاسلامي"، منشورات مركز الدراسات الأردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦.

٨٥-.....:" المساجد الاسلامية القديمة في منطقة عجلون"، منشورات مركز الدراسات الأردنية، جامعة اليرموك، ١٩٨٦.

٨٦-......:" الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي"، دار الفكر، عمان، ١٩٩٠.

٨٧-.....:" صفحات من تاريخ القدس وفلسطين والأردن في العصر الإسلامي"، دار الفكر، عمان، ١٩٩٩.

٨٨-......:" في التاريخ والحضارة العربية الاسلامية"، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٠.

٨٩- فالح: حسين.

" الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي"، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٨.

٩٠- فهمي: نعيم زكي.

"طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب(أواخر العصور الوسطى)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٧٣.

٩١- القاسمي: محمد سعيد.

"قاموس الصناعات الشامية"، تحقيق: ظافر القاسمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨.

٩٢- القرضاوي: يوسف.

"غير المسلمين في المجتمع الاسلامي"، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٧٧.

٩٣- قساطلي: نعمان.

"الروضة الغناء في دمشق الفيحاء"، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢،١٩٨٢.

٩٤- كاتبي: غيداء خزنة.

" الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى أواسط القرن الهجري الممارسات والنظريات"، مركز الوحدة، بيروت، ١٩٩٤.

٩٥- كرد علي: محمد.

"خطط الشام"، ٦أجزاء، (د.ن)، بيروت، ١٩٦٩.

٩٦- المبيض: سليم.

"النقود العربية الفلسطينية وسكها من القرن السادس قبل الميلاد حتى عام ١٩٤٦"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.

٩٧- محمد: رفعت موسى.

"الوكالات والبيوت الاسلامية في مصر العثمانية"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (د.ت).

٩٨- محمود: شفيق جاسر.

" تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية"، مكتبة الايمان، (د.م)، ط٢، ١٩٨٩.

٩٩- مرزوق: محمد عبدالعزيز.

"الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه"، مكتبة اسعد، بغداد، ١٩٦٣.

١٠٠- المصري: عبدالمهدي عبدالهادي.

"الارض الخاصة بالدولة في الاسلام"، أراضي الصوافي، دار ام القرى، الاردن، ١٩٨٩.

١٠١- مصطفى: شاكر.

"دولة بني العباس"، جزء ان، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ت).

١٠٢- ....: "جنوب بلاد الشام في العصر العباسي(١٣٢-٣٥٨هـ/٧٥٠-٩٦٩م)"، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ١٩٩٢.

١٠٣- ....:"فلسطين ما بين العصر الأيوبي والفاطمي"، الموسوعة الفلسطينية، قسم الدراسات الحضارية، (د.ن)، بيروت، ١٩٩٠.

١٠٤- .....: "التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام"، جزء ان، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

١٠٥- المظفر: محمـود.

"إحياء الأرض الموات"، المطبعة العالميـة، القـاهرة، ١٩٧٢.

١٠٦- المعايطة: زريـف.

" الأسواق في بلاد الشام في العصر العباسـي"، المؤتمـر الـدولي الخـامس لتـاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمــان، ١٩٩٠.

١٠٧- "معجم الأصمعي"، تحقيق: هادي حسن حمودي، عـالم الكتـب، بـيروت،١٩٩٨.

١٠٨- " المعجم الوسيط"، جزء ان، ابراهيـم مصطفـى واحمـد الزينـات وآخـرون، المكتبـة العلمية، طـهران، (د.ت).

١٠٩- مهران: محمد بيومـي.

" بلاد الشام"، دار المعرفة الجامعيـة، الاسـكندرية، ١٩٩٠.

١١٠- " الموسوعة الفلسطينية"، القسـم العـام، ٤ مجلـدات، هيئـة الموسـوعة الفلسـطينية، دمشـق، ١٩٨٤.

١١١- مؤنس: حسـين.

" أطلس تاريخ الاسلام"، الزهراء للاعلام العـربي، القـاهرة، ١٩٨٧.

١١٢- النحال: محمد سـلامه.

"جغرافية فلسطين"، دار العلم للملايـين، بـيروت، (د.ت).

١١٣- ......: "فلسطين أرض وتاريخ"، منشـورات فلسـطين، بـيروت، ١٩٨١.

١١٤- اليوزبكي: توفيق سـلطان.

" دراسات في النظم الاسلامية"، جامعة الموصـل، الموصـل، ط٢،١٩٧٩.

١١٥- يوسف: حمد احمد عبـدالله.

"بيت المقدس مـن العـهد الراشـدي وحـتى نهايـة الدولـة الأيوبيـة"، (د.ن)، القـدس،١٩٩٢.

رابعا: المصادر والمراجع المعربة

١- ابن بصـــال.

" كتاب الفلاحة"، نشره وترجمه وعلق عليـــه: خوســيه ماريــه، ميـــاس بييكـــر وساد، ومحمد عزيمات، معهد مولاي الحســـن، تطـــوان، ١٩٥٥.

٢- ابن البطريق: افتيشـــيوس.

"كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديـــق"، مطبعــة الآبــاء اليســوعيين، بــيروت، ١٩٠٩.

٣- آشــتور: آي.

"التاريخ الاقتصـــادي والاجتمـــاعي للشـــرق الأوســـط في العصـــور الوســطى"، ترجمـــة: عبدالهـــادي عبلـــه، مراجعـــة: احمـــد غســـان ســـبانو، دار قتيبـــــة، دمشـــق،١٩٨٥.

٤- الأنطاكي: يحي بن ســـعيد، ت(٤٥٨هـــ/١٠٦٧م).

"تاريخ الانطاكي"، أوصلة تاريخ اوتيخا المسمى التاريخ المجمـــوع علـــى التحقيـــق أو التصديق، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، جـــروس بـــرس، لبنـــان، ١٩٩٠.

٥- الفتيري: يعقوب(بطريك عكـــا).

"تاريخ بيت المقدس"، ترجمة: سعيد البيشـــاوي، دار الشـــروق، عمـــان، ١٩٩٨.

٦- بورشارد: الحاج بورشارد، من دير جبـــل صـــهيون.

"وصف الأراضي المقدسة"، ترجمة وتعليق: سعيد البيشـــاوي، مراجعـــة وتدقيـــق: مصطفى الحياري، دار الشـــروق، عمـــان،١٩٩٥.

٧- بيركهارت.

"رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية"، ترجمة أنور عرفان، المطبعة الاردنية، عمان، ١٩٦٩.

٨- ترتون: أ. س.

"أهل الذمة في الاسلام"، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٧.

٩- تشوانغ: وي.

"الاختراعات الاربعة الصينية في العصور القديمة"، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، ١٩٨١.

١٠- التطيلي: بنيامين.

"رحلة بنيامين التطيلي(١١٦٥-١١٧٣م)"، تحقيق: عزرا حداد، دار الشرق للطباعة، بغداد، ١٩٤٥م.

١١- جب، هاملتون.

"المجتمع والغرب"، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

١٢- حتي: فيليب.

"تاريخ سورية ولبنان وفلسطين"، جزءان، ترجمة: جورج حداد، وعبد الكريم رافق، اشرف على مراجعته وتحريره: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨.

١٣- ....: "موجز تاريخ الشرق الادنى"، ترجمة: انيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

١٤- ....،وآخرون: "تاريخ العرب": دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، ط٥، ١٩٧٤.

١٥-خسرو: ابو معين القبادياني المروزي.

"سفرنامه"، ترجمة وتقديم: احمد خالد البدلي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٣.

١٦- دانيال الراهب.

"رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الاراضي المقدسة(١١٠٦-١١٠٧م)"، ويلسون، دي بليع، ترجمة: سعيد البيشاوي، وآخرون، (د.ن)، عمان، (د.ت).

١٧- الدومنكي، أ.س مرمرجي.

"بلدانية فلسطين العربية"، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٧.

١٨- ديماند: م.س.

"الفنون الاسلامية"، تحقيق: احمد محمد عيسى، مكتبة المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢.

١٩- راوولف، ليونهارت.

"رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان"، ترجمة: سليمان التكريتي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.

٢٠- ريسلر: جاك.

"الحضارة العربية الاسلامية"، ترجمة: عادل زعيتر، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٣.

٢١- سترانج: لي.

"فلسطين في العهد الاسلامي"، ترجمة: محمود عمايره، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٠.

٢٢- الشابشتي: (٣٣٨هـ/٩٩٨م).

" الديارات"، ترجمة: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ت).

٢٣- شالميتار: بدرو.

" المدينة الإسلامية"، ترجمة: احمد محمد تعلب، مقالات مختارة من حلقة التدارس التي عقدت بمركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية، جامعة كمبردج، المملكة المتحدة، أشرف على النشر: (ر.ت)، سيرجنت، اليونسكو، (د.م)، ١٩٨٣.

٢٤- قسطوس: ابن لوقا الرومي.

"الفلاحة اليونانية"، ترجمة: سرجس ابن هلبا الرومي، (د.ن)، (د.ت).

٢٥- كاهن: كلود.

"تاريخ العرب والشعوب الاسلامية"، ترجمة: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، (د.م)، ١٩٧٧.

٢٦- لامنس: هنري اليسوعي.

"تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار"، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

٢٧- لوبون: غوستاف.

"حضارة العرب"، ترجمة: عادل زعيتر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣.

٢٨- لومبارد: لويـــس.

"الجغرافيا التاريخية للعالم الاســـلامي خـــلال القـــرون الاربعـــة الاولى"، ترجمـــة: عبدالرحمن حميده، دار الفكر، دمشـــــق، (د.ت).

٢٩- ....:"الاسلام في فجر عظمته"، ترجمة: حســـين العـــودات، مراجعـــة: علـــي الخشـــن، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومـــي، دمشـــق، ١٩٧٩.

٣٠- ماكدوال: ديفيد وليـــام.

"مجموعات النقود"، ترجمة: نبيل زين الدين، مراجعـــة: حـــامد الجوهـــري، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، القـــاهرة، ١٩٨٦.

٣١- مـــتز: آدم.

"الحضارة الاسلامية في القـــرن الرابـــع الهجـــري"، ترجمـــة: محمـــد عبدالهـــادي ابوريده، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، القـــاهرة، ط٢، ١٩٩٥.

٣٢- هـــايد: ف.

"تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصـــور الوســـطى"، ترجمـــة: احمـــد رضـــا، مراجعة وتقديم: عز الدين فـــوده، الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتـــاب، القـــاهرة، ١٩٨٥.

٣٣- هنتس: فـــالتر.

"المكاييل والأوزان الاسلامية"، ومـــا يعادلهـــا بالنظـــام المـــتري، ترجمـــة: كـــامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنيـــة، عمـــان، ط٢، ١٩٧٠.

٣٤- واطسون: اندريــــو.

" الابداع الزراعي في بدايات العالم الاسلامي"، ترجمـــة: احمـــد الاشـــقر، جامعـــة حلب، حلـــب، ١٩٨٥.

خامسا: المقالات العربية والدوريات

١- بكار: يوسف.

"بيت المقدس كما صورها ناصر خسرو في رحلته"، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٢٧-٢٨، ١٩٨٧.

٢- البيطار: أمينة.

"الحياة الاقتصادية في بلاد الشام(١٣٢-٣٥٩هـ/٤٧٩-٩٦٩م)"، مجلة دراسات تاريخية، العدد٣، كانون اول، ١٩٨٠.

٣- الحمارنه: صالح.

"زراعة قصب السكر، وصناعته عند العرب المسلمين"، حولية دائرة الآثار العامة، دائرة الآثار العامة، عمان، العدد٢٢، ١٩٧٧-١٩٧٨.

٤- الحاجري: محمد طه.

"الورق والوراقه في الحضارة الاسلامية"، مجلة المجمع العلمي العراقي، العددان، ١٢،١٣، ١٩٦٥.

٥- الخياري: مصطفى.

"جند الاردن ملاحظات حول حدوده الجغرافية"، مجلة الابحاث، السنة ٣٥، ١٩٨٧.

٦- خريسات: محمد عبدالقادر.

"البلقاء منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري(دراسة سياسة ادارية)"، مجلة دراسات تاريخية، السنة السابعة، العددان، ٢١، ٢٢ آذار، حزيران، ١٩٨٦.

٧- خماش: نجدة.

" الضريبة الزراعية وأهميتها في صدر الاسلام"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٤٣،٤٤، ايلول - كانون اول،١٩٩٢.

٨- دوكرسو: جاستوف.

"تاريخ الحرير في بلاد الشام"، مجلة المشرق، مجلده١، العدد٤، ١٩٦٢.

٩- الزيات: حبيب.

"الفسيفساء وصناعتها قديما من الروم الملكيين"، مجلة الشرق، السنة٣٥، ١٩٣٧.

١٠- الشهابي: مصطفى.

"تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي"، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، آذار، ١٩٢٧، مج٧.

١١- غوانمه: يوسف.

"التجارة الدولية في مناطق شرق الاردن(من جنوب الاردن) العصر المملوكي"، مجلة دراسات تاريخية، العددان، ٢٣-٢٤، ١٩٨٦.

١٢- .....: "الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام(الاردن وفلسطين)"، في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، العدد١٣،١٤، تشرين، ١٩٨٣.

١٣- فرح: نعيم.

"اضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام"، ودورها في التجارة العالمية في العهد البيزنطي، مجلة دراسات تاريخية، العددان، ١٥،١٦، جامعة دمشق، ١٩٨٤.

١٤- كريم: جمعه محمــود.

"أثر تجارة المحـاصيل الزراعيــة علــى الطـرق التجاريــة في غــور الاردن(درب القفول)"، منذ بداية العصر العباســي حــتى نهايــة العصــر العباســي، دراســات تاريخية، العــدد٥١، ١٩٩٦.

١٥- كوركيس: عــواد.

"الورق او الكاغد صناعته في العصور الوســطى"، مجلــة المجمــع العلمــي العــربي بدمشق، المجلد٢٣، لسنة٣٦٧هـــ/١٩٤٨م.

١٦- مالكي: سليمان عبدالغـــني.

"طرق حجاج الشام ومصر منذ الفتــح الاســلامي الى منتصــف القــرن الســابع الهجري"، مجلة الدارة، العــدد١، ايلــول، ١٩٨٤.

سادسا: الرسائل الجامعية

١- ابودلو: ربا احمـــد.

" معاصر قصب السكر في غور الاردن في القرنـــين الثـــاني عشـــر والرابـــع عشـــر الميلاديين"، رسالة ماجستير غير منشـــورة في معـــهد الآثـــار، جامعـــة الـــيرموك، اربـــد، ١٩٩٠.

٢- محاسنه: محمد ســـلامه.

" الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الامـــوي"، رســـالة ماجســـتير غـــير منشورة، جامعة بغـــداد، ١٩٨٦.

٣- مكاحله: نهـــى.

" الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي"، رســـالة ماجســـتير غـــير منشـــورة في كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربـــد، ١٩٩٥.

سابعا: المصادر والمراجع الإنجليزية

1- The Jewish Encyclopedia.

2- The Islamic Encyclopedia.

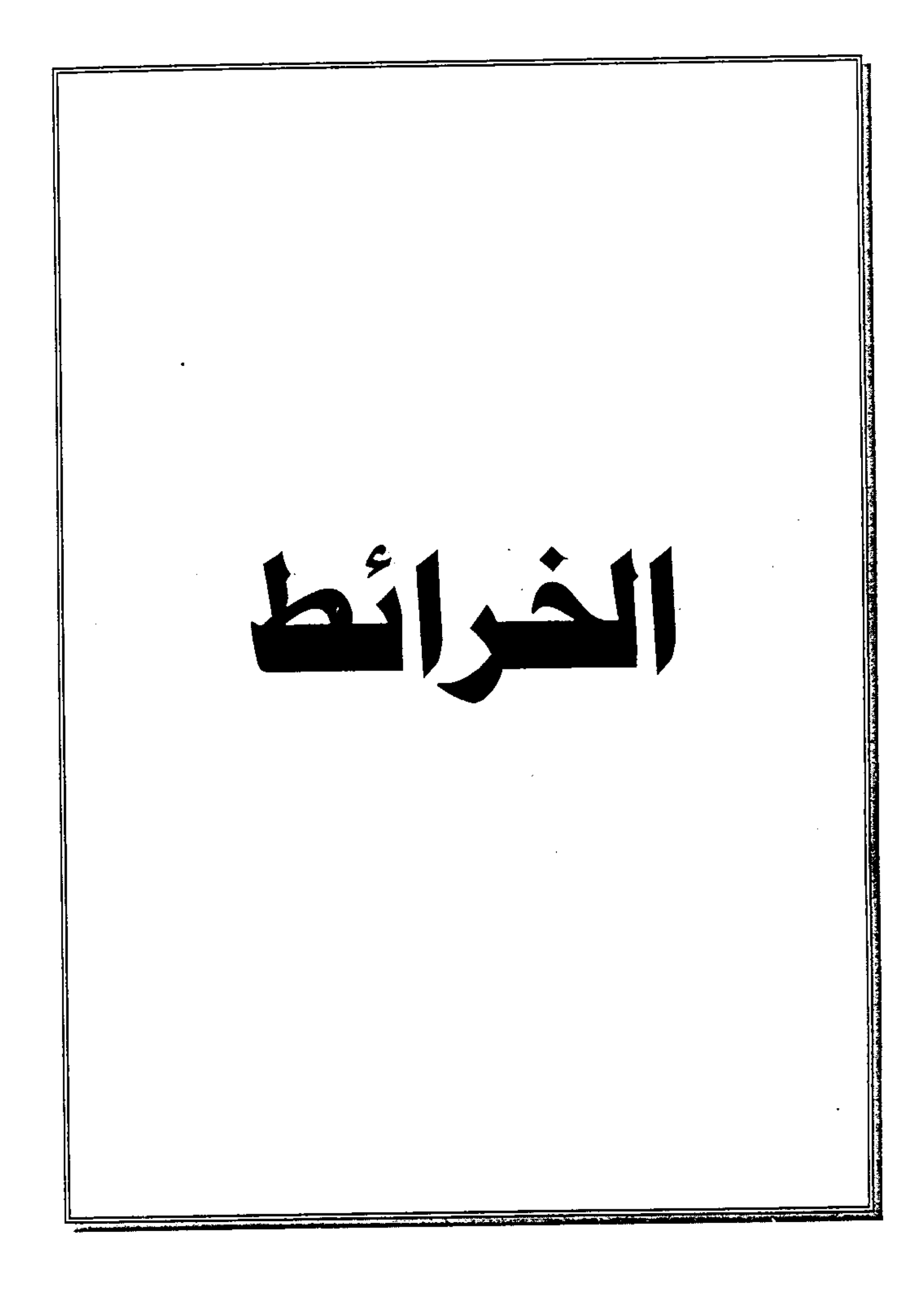
3- Considine, Douglas Maxwell, Food and Food Production Encyclopedia, Van Nostraad, Reinhold New York, 1982.

4- Smith, George Adam, The Historical Geography of the Holy Land. The Fantana Library Technology and philosophy, 1965.

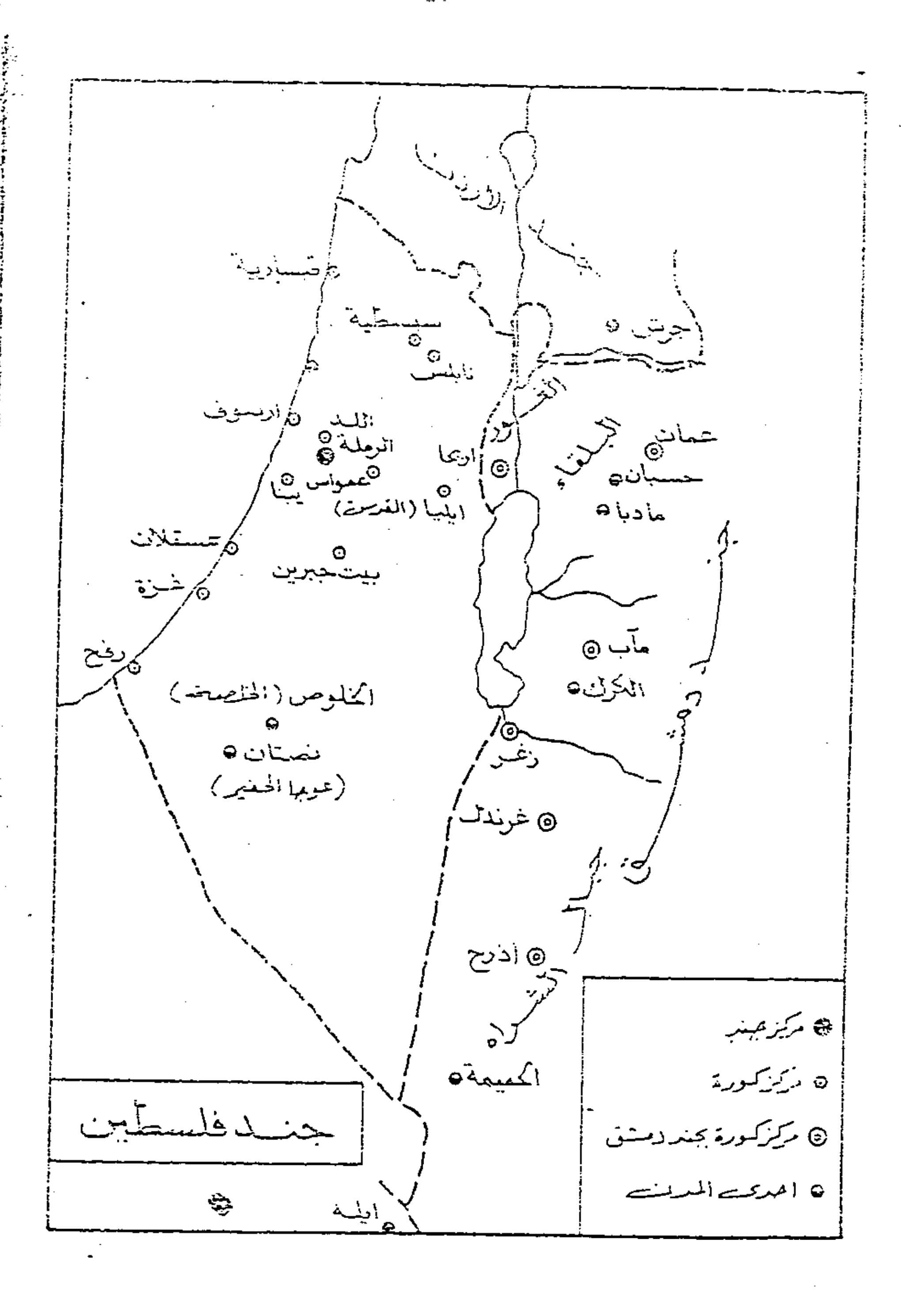
5- Watson, Andrew, Agricultural in novation in the early Islamic World, Cambridge University press, Cambridge, 1983.

6- Wright, Thomas, Early Travels in Palestine, London, n. d.

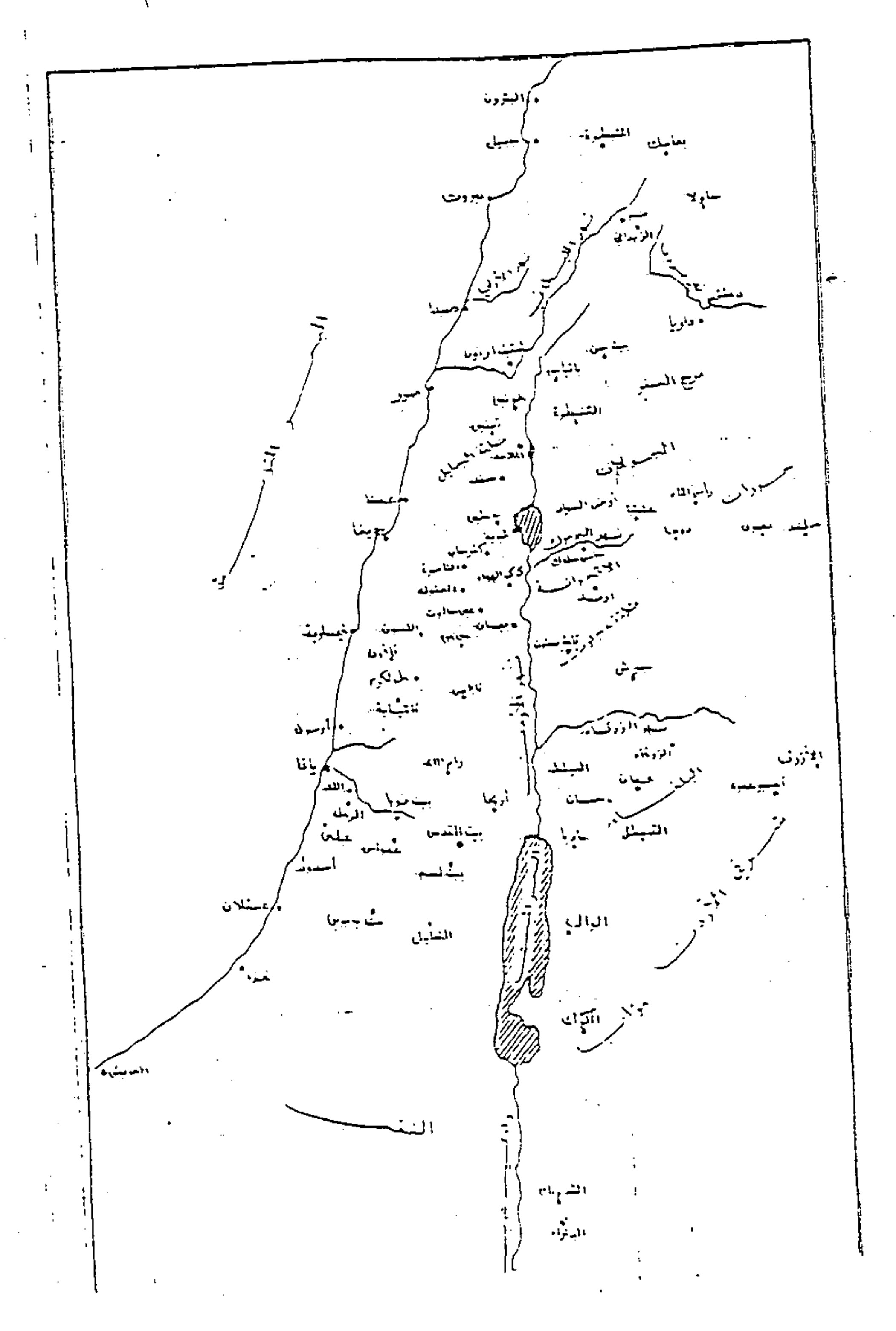
7- The Travels of Bishop Arculf in The Holy Land A.D 700. In Early Travels in Palestine, London, n.d.



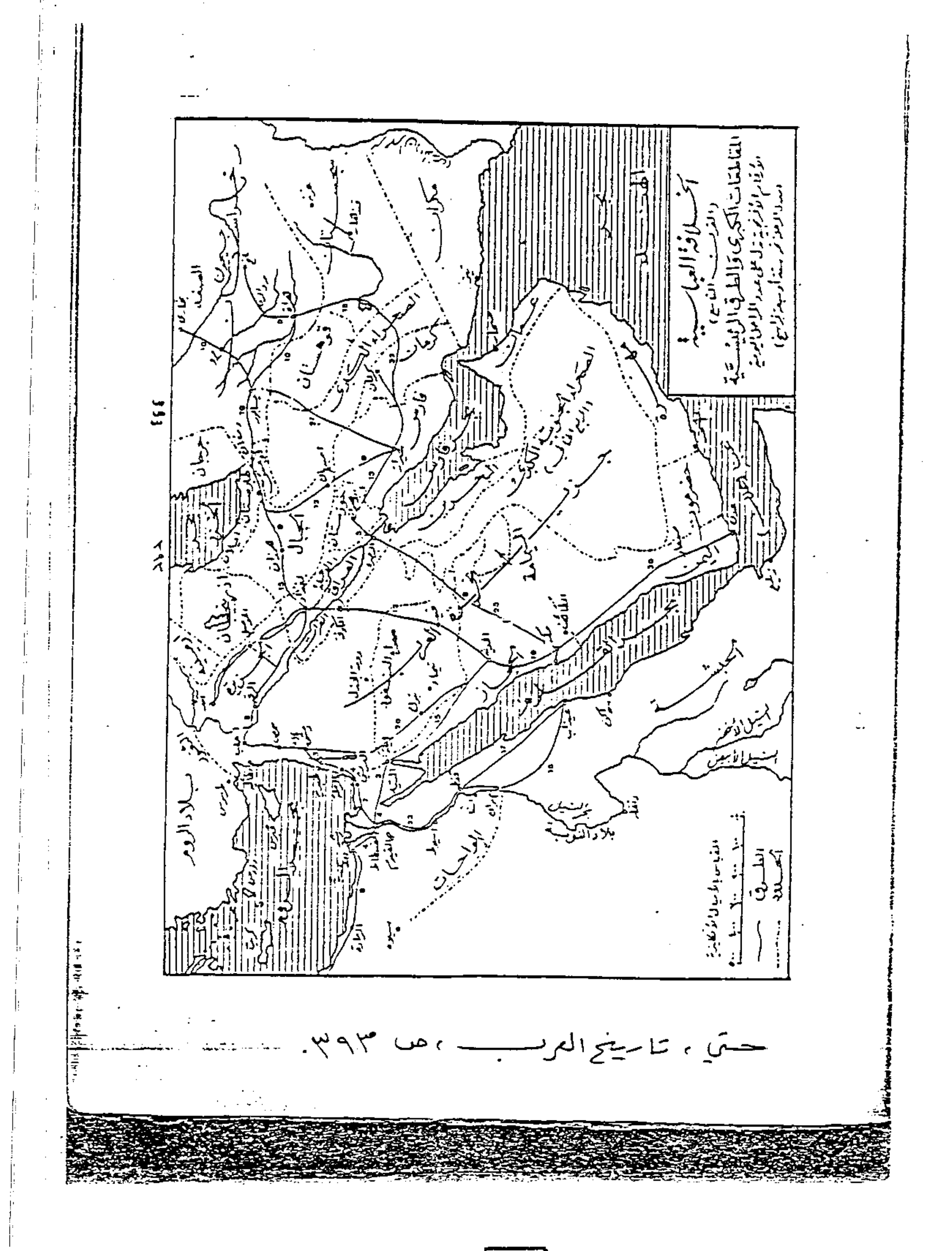
الخرائط


قيسارية
سبسطية
نابلس
ارسوف
اللد
الرملة
عمواس
يبنا
اريحا
ايليا (القدس)
عسقلان
بيت جبرين
غزة
رفح
الخلوص (الخلصة)
نصتان
(عوجا الحفير)
جرش
البلقاء
عمان
حسبان
مادبا
مآب
الكرك
زغر
غرندل
أذرح
الشراة
الحميمة
ايلة
جند فلسطين
مركز جند
مركز كورة
مركز كورة بجند دمشق
احدى المدن

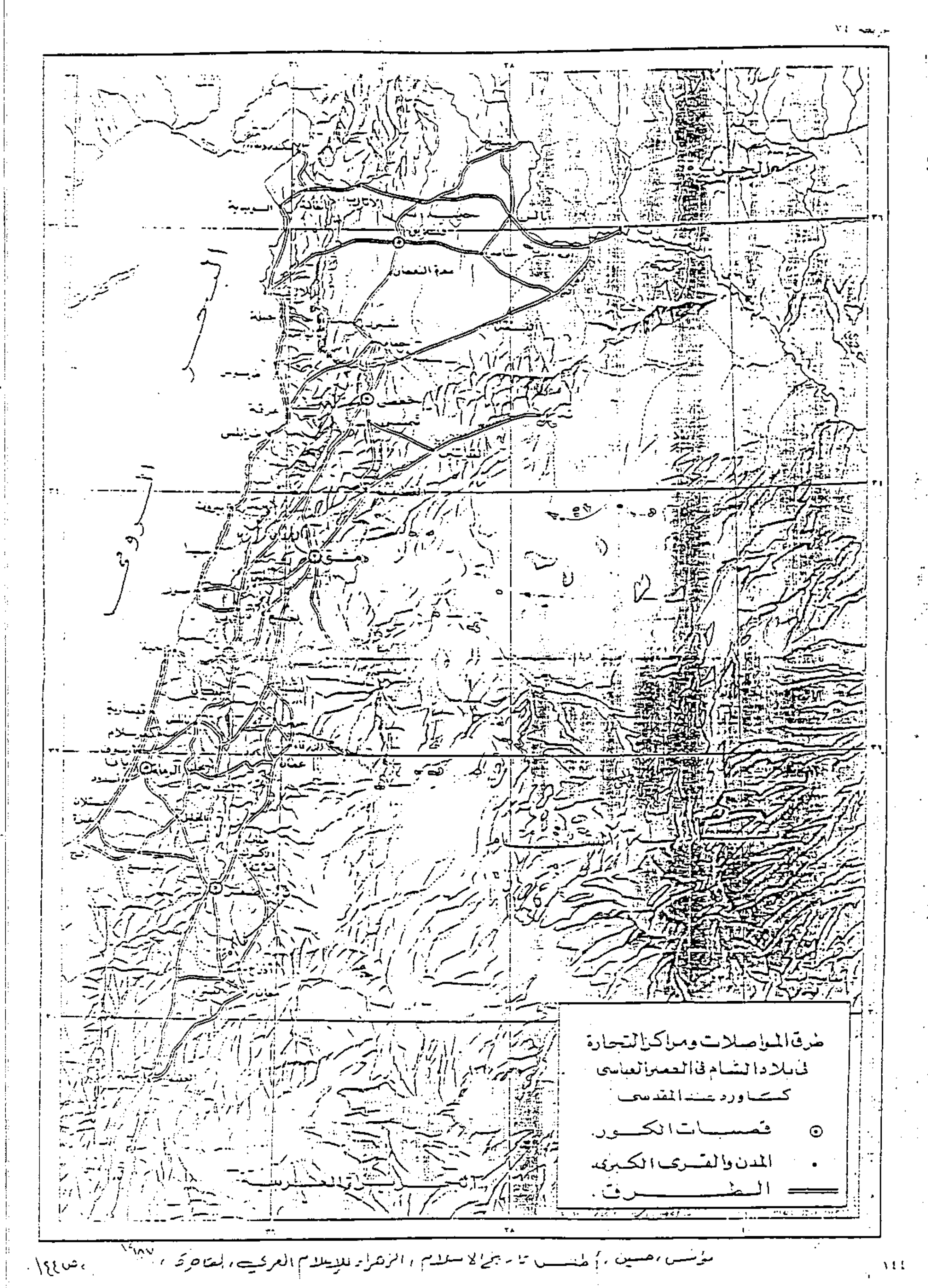
خارطة للمواقع التاريخية جنوب بلاد الشام



من كتاب : «الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي»
للدكتور يوسف غوانمة



حتي ، تاريخ العرب ، ص ٣٩٣.



مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الاسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٧، ١٩٨٧، ص ١٤٤.

ملخص

الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام في العصر العباسي الأول والثاني (١٣٢-٤٤٧هـ/٧٤٩-١٠٥٥م)

إعداد

انتصار رشيد سلوم

إشراف

الاستاذ الدكتور: يوسف حسن غوانمه

لعبت منطقة جنوب بلاد الشام دورا هاما في الحياة الاقتصادية عبر المراحل التاريخية المختلفة لما حباها الله من موقع جغرافي متميز، فكانت حلقة اتصال مهمة بين مصر، وبلاد الشام، والعراق وشمال افريقية فقد كانت الممر الطبيعي البري الوحيد والرئيس الذي يوصل إلى الديار المقدسة، وبذلك تعتبر ملتقى القوافل التجارية القادمة والذاهبة إضافة إلى أيلة(العقبة) التي تعتبر المنفذ البحري على البحر الأحمر واتصالها مع تجارة المحيط الهندي، والشرق الأقصى. بالإضافة الى الموانئ التي وجدت على ساحل البحر المتوسط التي خدمت

تجارة الغرب الاوروبي نذكر منها: عكا ويافا وغـــزة، وهكــذا فقــد كــانت المنطقــة مركــزا لتبادل سلع الغرب والشرق فأدى ذلك إلى انتعاش المنطقــــة اقتصاديــا.

وإلى جانب الموقع الجغرافي الاستراتيجي، فــإن تنــوع الظــروف المناخيــة والتضــاريس مثل السهل الساحلي، والمرتفعات الجبليـــة، والغــور، والصحــراء إضافــة إلى خصوبــة التربــة خاصة في المناطق الشمالية لجنوب بــلاد الشــام، أدى إلى تنــوع في المحــاصيل الزراعيــة. كمــا اشتهرت بمحاصيل زراعية استراتيجية كالقمح حتى وصفــت البلقــاء وعمــان بمعــدن الحبــوب لكثرة انتاجها منــه.

ولتنوع المحاصيل الزراعية قـــامت الصناعـــات الزراعيـــة المختلفـــة كصناعـــة الســكر، والصابون. هذا إلى توافر المعادن المختلفـــة كالرخـــام في بيـــت جـــبريل، والكـــبريت في الغـــور، والملح في البحر الميت، وغيرها من المعادن الأمر الـــذي أدى إلى رفـــع مكانـــة المنطقـــة اقتصاديـــا وتجاريـــا.

وكان للسكان دور أساسي في اســـتثمار هـــذه المـــوارد الاقتصاديـــة واســـتغلالها مـــن خلال النشاط الزراعي والصناعي الذي قاموا فيه. فســـكان جنـــوب بـــلاد الشـــام تـــألفوا مـــن العرب بقبائلهم المتعددة، وبقايا الروم الذيـــن اســـتقروا في البـــلاد بعـــد الفتوحـــات الاســـلامية. وسادت في المنطقة ثلاث ديانات: الاســـلام، والمســـيحية، واليهوديـــة، وبعـــد الفتـــح ســـادت الديانة الاسلامية في البلاد الشامية إلا أن الديانـــات الأخـــرى ظلـــت مكـــان رعايـــة واحـــترام وتقدير المســـلمين.

ومن هنا جاءت دراستي في موضوع الأهميــــة الاقتصاديــــة والزراعيــــة لمنطقــــة جنــــوب بلاد الشام خـــلال فـــترة الحكـــم العباســـي الأول والثـــاني(١٣٢-٤٤٧هـــ/٧٤٠-١٠٥٥م).

فلم توجد دراسة مستقلة عن الأهمية الاقتصادية والزراعية لجنوب بلاد الشام خلال فترة الدراسة المختارة. فحاولت من خلال هذه الدراسة اظهار أهمية المنطقة الاقتصادية وأهم المحاصيل الزراعية، بالاضافة إلى المعادن والصناعات التي قامت على ذلك، ودور السكان في هذا الانتعاش الاقتصادي لكل من فلسطين وشرقي الاردن، مستندة إلى ما كتبه الجغرافيون العرب، والمسلمون، والرحالة الذين زاروا المنطقة خلال فترة البحث علما بأن هناك أهمية دينية خاصة لفلسطين بسبب وجود المقدسات الدينية الاسلامية والمسيحية فيها، وهذا مما شجع على السياحة الخارجية إليها فأدى ذلك إلى زيادة المردود الاقتصادي وتنشيط التجارة فيها، وانعكس أثرها على حياة المواطنين ومواردهم الاقتصادية.

وقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول:

تناول **الفصل الأول** الاسم، والمدلول والاشتقاق لكل من الشام، والاردن وفلسطين. ثم تناول الفصل الطبوغرافية التاريخية لمنطقة جنوب بلاد الشام، والتقسيمات الادارية، والحدود الجغرافية للمنطقة خلال فترة الدراسة، وبيان الأهمية التاريخية لها في العصر الأموي، والعصر العباسي الأول والثاني.

وبحث **الفصل الثاني** في أصناف الأراضي الزراعية، ونظام استغلال الأرض الزراعية، وبيان أهم المحاصيل الزراعية، والصناعات التي قامت على هذه المحاصيل.

وبحث **الفصل الثالث** في التجارة الداخلية من خلال الأسواق بأنواعها التي كانت تقام في المنطقة وكذلك التجارة الخارجية، ودور جنوب بلاد الشام بالاتصال بين الشرق والغرب، إضافة الى السياحة الدينية، كما تناول الفصل الصناعات المعدنية، والزجاجية، وصناعة النسيج، والموازين والمكاييل التي عرفت بالمنطقة.

وبحث الفصل الرابع في المجتمع في جنوب بلاد الشام من حيث فئات السكان ومهنهم وأسلوب معيشتهم، والطوائف الدينية، وأهم العادات والتقاليد والأطعمة والأشربة التي اشتهر الأهالي بصناعتها ولا تزال متوارثه إلى الآن.

وتوصلت الدراسة الى النتائج التالية:

ان منطقة جنوب بلاد الشام خلال العصر العباسي الأول والثاني كانت على قدر كبير من الازدهار الاقتصادي والزراعي.

فالموقع الجغرافي كان له أكبر الأثر في المسالك والطرق التي سلكتها القوافل التجارية، والتي كانت حلقة اتصال وتواصل بين الشرق والغرب وتبادل السلع بينهما.

كان لتنوع المحاصيل الزراعية وانتاجها بكثرة دور في ايجاد صناعات زراعية تميزت بها عن غيرها من الدول، وكان الطلب عليها من مختلف البلاد. كما كان للمزارات الدينية، والأماكن المقدسة عند الطوائف الدينية الثلاث دور بارز في تشجيع السياحة الدينية، وانعاش المنطقة اقتصاديا.

إن كثيرا من العائلات التي تعيش في وقتنا الحاضر في اماكن متفرقة في فلسطين، وشرقي الأردن ما هي إلا امتداد للقبائل العربية التي عاشت في العصور الاسلامية السابقة سواء قبل الفتح الاسلامي للمنطقة أو بعده. وإن كثيرا من العادات والتقاليد التي نمارسها في حياتنا الحاضرة ما هي إلا امتدادا لعادات وتقاليد أجدادنا التي توارثها الأجيال ولكن مع بعض الاختلافات التي تواكب تطور العصر. فما نحن إلا امتداد للشعوب العربية الاسلامية التي سبقتنا.

Abstract

Economic And Agricultural Importance Of Southern Greater Syria(Belad Al Sham) In The First And Second Abbasid Periods

(132 - 447 A.H/749-1055 A.D)

Prepared by

Intisar Rasheed Salloum

Supervised by

Prof. Dr. Youssuf Hasan Ghawanmeh

Southern Belad al-Sham(Greater Syria) played important part in the economic life throughout various historical periods, because of its significant geographical location, which made it connecting link between Egypt, Greater Syria as a whole, Iraq and North Africa. It was the only major natural land passage leading to the Holy places. Thus it was a meeting point for in coming and out going trade caravans Aylah or Aqaba, it must be added, is the outlet of southern Greater Syria to the red sea which links it with the Indian Ocean and the far east. There are seaports on the Mediterranean coast like Arce, Jaffa, Gaza and Akka which lead to western and southern Europe.

This area i.e. southern Belad al-Sham, was the center of trade exchanges between the east and the west, which brought about a trading boost in southern Belad al-Sham.

In addition to the distinguished geo-strategical location, there are other merits enjoyed by south Belad al-Sham like the diversity of climate

and terrain: such as the coastal plain, mountain, Ghor(Jordan Valley Below sea- level) and desert. Further more, the soil is fertile especially in the southern part of Belad al-Sham, which led to the diversity in the crops. It was also well-known for its strategic agricultural crops like wheat. Balqa and Amman. Fore example, were described as the "mine of wheat" because of plentiful production.

Diversity of agricultural crops gave rise to different agricultural industries like sugar and soap. In addition there were several minerals like marble in Beit Jibril and sulphur in the Ghor (Jordan Valley), salt in the Dead sea and other mines. This of course raised the economic and commercial status of the region.

The inhabitants of this region played an important role in exploiting these economic resources through their agricultural and industrial activity. These in habitants of southern Belad al-Sham were composed of Arabs who came from many tribes and some Byzantines who preferred to stay after the Muslim Arabs conquered the country. Three religious predominated in the area: Islam, Christianity and Judaism. After the Muslim conquest Islam prevailed in the entire Greater Syria, but the other religions there enjoyed the respect and protection of Muslims.

The reason why I chose this subject of economic and social importance of southern Greater Syria during the first and second Abbasid periods(132-447 A.H, 749-1055 A.D) is that there has been no previous independent study of this subject. Through this study I have tried to high light the economic importance of the region and its major agricultural crops in addition to the minerals and minerals industries, and the role of the inhabitants in this economic prosperity of both Palestine and TransJordan, drawing on the writings of Arab and Muslim Geographers

and travellers who visited the area during the period covered by the research.

It should be noted, however, that Palestine has a special religious importance because of the Muslim and Christian holy places there. This has encouraged tourism from outside, which in turn led to more economic yield and active trade. It was natural of course that this was positively reflected on the economic life and resources of the people.

I divided the study into four chapters:

Chapter One discussed the name, meaning and derivation of "Sham" (Greater Syria), "Jordan" and "Palestine". Then I moved to the historical topography of southern Belad al-Sham, its administrative partitions, the geographical boundaries of the area, and then its historical significance during the Umayyad and the first and second Abbasid periods.

Chapter Two dealt with the types and categories of agricultural land, the system of it utilization, the major agricultural crops and industries based on them.

Chapter Three was about the internal or domestic trade through the markets of different types held in the region, foreign trade, the role of southern Belad al-Sham in connecting the east with the west without forgetting religious tourism. The chapter also dealt with mineral, glass and textile industries and the weights and measurements known to the region.

Chapter Four was devoted to society in southern Greater Syria. It was mainly concerned with groups and communities, their vocations and way of life, religious sects, most significant customs and traditions, foods

and drinks for which people were famous and which are still known to us nowadays.

The study came to the following conclusions:

During the first and second Abbasid periods Southern Greater Syria or South Belad al-Sham enjoyed a great deal of economic and agricultural prosperity.

The geographical location had also a considerable effect on the routes and courses taken by the trade caravans which were a connecting link between the east and the west and exchange of commodities between both sides.

On the other hand, the diversity and plentiful production of agricultural crops was instrumental in giving rise to agricultural industries that distinguished this area from others, especially because the products were highly demanded by different countries. In this context, one must not forget the part played by religious shrines and holy places of the three monotheist religions in promoting religious tourism and boosting the economy of the region.

Probably another point deserves notice here, i.e. the social side. Many of the present families and clans that live in different parts of Palestine and transJordan are only extensions and offshoots of the Arab tribes which lived either before or after the Muslim conquest. Many habits and traditions observed by us now are mere extension and survival of those followed and practised by our ancestors that were handed down to them through generations but, of course, with certain difference which keep abreast of developments. For, after all, we are only an extension of our Arab and Muslim predecessors and ancestors.